أجاثا كريستي



أكثر الروايات مبيعا

أغنية الموت

دار الحياة
للنشر والتوزيع

اضطجع مستر وورجريف، القاضى بالمعاش، فى مقعده بإحدى عربات الدرجة الأولى بالقطار، وراح ينفث سحبا من الدخان من سيجاره وهو يجرى بعينيه، على الأنباء السياسية بجريدة التايمز.

ولكنه لم يلبث، بعد لحظات، أن وضع الجريدة فوق المقعد،والقى نظرة إلى النافذة، وكان القطار يمر فى هذه اللحظة بأقليم سومرست. ونظر القاضى إلى ساعته... كان لايزال أمامه ساعتان قبل أن يصل إلى نهاية رحلته.

وعندئذ، راح يستعرض فى ذهنه الأنباء التى نشرتها الجرائد بخصوص جزيرة الهَندى، وكانت قد تحدثت قبل كل شىء عن مليونير أمريكى مولع بأسفار البحار وقالت أنه اشترى هذه الجزيرة الصغيرة وأقام فيها منزلاً فخما على أحدث طراز، ولكن، لسوء الحظ، كانت الزوجة الثالثة لهذا الأمريكى الثرى لا تحب البحر، فعرضت الجزيرة والبيت للبيع، وقامت دعاية ضخمة فى الجرائد فى ذلك الوقت، وعرف الناس ذات يوم أن الجزيرة أصبحت ملكا لرجل يدعى مستر أوين.

ولم تلبث الصحف الإنجليزية أن راحت تنشر أعجب الإشاعات، فقالت أن الآنسة جابرييل ثارل، ممثلة هوليود المشهورة، هى التى اشترت الجزيرة فى الواقع، لكى تمضى بها بضعة شهور، بعيداً عن الصحفيين الفضوليين. وقالت إحدى هذه الصحف أن الجزيرة اشتراها زوجان لقضاء شهر العسل. وقيل أن أحد هذين الزوجين هو اللورد ل... وقد رماه كيوبيد بسهم فى قلبه. وأكدت صحيفة ثالثة أن الجزيرة إنما وقعت فى أيدى البحرية الإنجليزية لكى تقوم فيها بسلسلة من التجارب السرية.

صفوة القول، كانت جزيرة الهندى فى ذلك الوقت مصدراً للصحفيين الذين تقطعت بهم الأنباء.



وأخرج القاضى من جيبه رسالة مكتوبة بخط رقيق يتعذر قراءته، ولكن كان فيها هنا وهناك كلمات فى غاية الوضوح.

«الحبيب العزيز لاورنس

«لم تصلنى أخبارك منذ سنوات طويلة... تعالى إلى جزيرة الهندى... إنها مكان ساحر حقاً... هناك أمور كثيرة أحب أن أتحدث معك فيها.. عن الماضى... ونستمتع بجمال الطبيعة.. ونجلس تحت أشعة الشمس الدافئة... الساعة الثانية عشرة والدقيقة الأربعين المنطلق من محطة يادنجتون... سألتقى بك فى أوكبريدج.

وكانت الرسالة تحمل التوقيع التالى... «حبيبتك كونستانس كولنجتون».

حاول القاضى وورجريف أن يتذكر لقاءه الأخير بالليدى كونستانس كولنجتون. كان ذلك اللقاء يرجع إلى سبع أو ثمانى سنوات. وكانت المرأة الشابة مرتحلة عندئذ إلى ايطاليا لقضاء فترة الصيف، وقيل فيما بعد أنها استأنفت الرحلة حتى سوريا لكى تستمتع بالصيف مع الطبيعة والبدو.

وخطر القاضى أن كونستانس كولنجتون جديرة بأن تشترى جزيرة، وأن تحيط نفسها بجو من الأسرار والغموض.

وهز القاضى وورجريف رأسه إزاء منطق رأيه هذا، وترك حركة القطار تهدهده، ولم يلبث أن استغرق فى النوم.

* * *

جلست فيرا كلايتون فى إحدى عربات الدرجة الثالثة مع خمسة من المسافرين، وألقت برأسها إلى الخلف. ما أشد الحر فى هذا القطار!.. وما أجمل الطقس على شاطىء البحر!.. كان هذا الأمر صدفة سعيدة لم تكن الفتاة تتوقعها حقا، فإنك عندما تلتمس وظيفة فى أشهر الصيف عادة يكلفونك بملاحظة حفنة من الأطفال... ووظائف السكرتارية تغدو نادرة فى ذلك الوقت.. ومكتب العمل لم يعطها غير أمل ضئيل.

ولكن جاءتها أخيراً الرسالة التالية: «تلقيت اسمك من مكتب العمل النسوى وأوصانى بك، وقد فهمت أن المديرة تعرفك معرفة شخصية، وأنا مستعدة لأن أمنحك المرتب الذى تطالبين به، وأرجو أن تبدئى العمل فى



الثامن من أغسطس. استقلى قطار الساعة الثانية عشرة والدقيقة الأربعين من محطة بارنجتون، وستجدين من ينتظرك فى محطة أوكسبريدج، تجدين طيه خمسة جنيهات، نفقات الرحلة.

المخلصة: أونا نانسى أوين

وكان العنوان المكتوب فى أعلا الرسالة هو: جزيرة الهندى. ستيكهافن بديفون.

* * *

جزيرة الهند!.. لقد أسهبت الجرائد فى الحديث عن هذه الجزيرة، وسرت اشاعات مختلفة عن هذه البقعة من الأرض التى تحوطها المياه من كل جانب، ولاريب أنه لا توجد ذرة من الحقيقة فى كل هذه الشائعات، وعلى كل حال، فإن البيت الذى شيده ذلك الأمريكى الثرى كان مبنياً على أحدث طراز.

وكانت مس فيرا كلايتون قد تعبت جداً من التدريس فى الشهور الثلاثة الأخيرة ففكرت تقول: أن وظيفة مدرسة ألعاب رياضية فى مدرسة من مدارس الدرجة الثالثة ليست وظيفة براقة... لو أستطيع فقد أن أجد وظيفة فى مدرسة محترمة!

ثم عادت تقول وهى منقبضة القلب: يجب أن أعتبر نفسى سعيدة على كل حال، فإن الناس لا تحب أن تلتحق بخدمتها فتاة حوكمت.. حتى ولو كان القضاء قد برأ ساحتها.

لقد هنأها قاضى التحقيق لسرعة خاطرها وشجاعتها، وكان التحقيق، على العموم، فى صالحها. وقد أظهرت مدام هاملتون طيبة كبيرة نحوها، ولكن هوجو وحده... ولكنها لم تشأ أن تفكر فى هوجو.

وفجأة، وعلى الرغم من جو الغرفة الخانق، اقشعرت وندمت لأنها ذاهبة إلى شاطىء البحر، فقد ارتسمت فى ذهنها صورة، فى وضوح تام. رأت رأس سيريل تصعد وتهبط على سطح البحر... تصعد وتهبط.. وهى نفسها سابحة ممتازة كانت تقترب منه وتشق الأمواج بكل سهولة وهى مقتنعة فى نفس الوقت بأنها ستصل بعد فوات الأوان.

البحر.. وأعماقه الحارة اللازوردية... والصباحيات التى قضتها مستلقاة فوق الرمل.. وهوجو.. هوجو الذى اعترف لها بحبه.

لا يجب أن تفكر فى هوجو بعد اليوم.

وفتحت عينيها وألقت نظرة عابسة إلى المسافر الجالس أمامها، وهو رجل طويل القامة، مليح الوجه، له عينان صافيتان متقاربتان وفم متعجرف تقريباً قاسى السمات. وقالت تحدث نفسها: أراهن أن هذا الرجل قد طاف العالم ورأى أشياء كثيرة الأهمية.

* * *

ألقى فيليب لومبارد نظرة سريعة إلى الفتاة الجالسة ثم قال يحدث نفسه: جميلة جداً.. ولكن يبدو من هيئتها أنها مدرسة.. إنها امرأة معتدلة القامة، مرفوعة الرأس، جديرة بأن تدافع عن نفسها.. سواء فى الحب أو فى الحرب... أود لو أن أتعرف بها.

وقطب جبينه.. كلا. لا فائدة فى أن يفكر فى مثل هذه الأمور الأعمال لأ... يجب أن يركز كل ذهنه فى عمله.

ولك... هو هذا العمل على كل حال؟.. إن ذلك اليهودى القصير أبدى الكثير من الغموض حقا. لقد قال له فى غير اكتراث، كما لو أن مائة جنيه مبلغ يستهان به: «لك أن تقبل أو أن ترفض...» مائة جنيه!.. فى حين أنه كان خاوى الوفاض. ومع ذلك فقد أدرك أن اليهودى القصير لم يصدقه، والمشكلة مع اليهود هو أننا لا نستطيع أن نخدعهم فى الناحية المالية بالذات.. لكأنهم يقرأون أفكارنا.

وكان قد سأله فى غير اكتراث: ألا يمكنك أن تقدم لى معلومات أكثر؟

ولكن مستر اسحق موريس هز رأسه فى قوة وقال: كلا يا كابتن لومبارد. إن عميلى يعتقد أنك رجل شهم واقع فى مأزق، وقد صرح لى أن أعطيك مائة جنيه على أن تمضى فى نظير ذلك إلى ستيكلهافن بديفون. وأقرب محطة إليها هى أوكسبريدج، وهناك ستجد فى انتظارك زورقا بخاريا سيمضى بك إلى جزيرة الهندى حيث تكون تحت تصرف عميلى.

سأله لومبارد فجأة: وكم يوما سأقضى هناك؟

ـ أسبوعا على الأكثر.

وقال الكابتن لومبارد وهو يشد شاربه: من المفهوم طبعا أنه لا يمكن أن يطلب منى الإقدام على عمل غير مشروع.

وألقى لومبارد، وهو ينطق بهذه العبارة، نظرة سريعة إلى محدثه. وارتسمت ابتسامة صغيرة على شفتى اليهودى المكتنزتين وقال بلهجة الجد:

ـ طبعا. إذا طلب منك الإقدام على عمل غير مشروع فإن لك مطلق الحرية فى الرفض.

لعنة الله على هذا اليهودى المعسول القول. لقد ابتسم، ولاريب أنه يعرف أن لومبارد قد أقدم فى الماضى على أعمال كثيرة لا يقرها القانون، ولقد أوشك أن يقع مرة أو مرتين ولكنه استطاع النجاة، وما كان ليتردد كثيراً فى الإقدام على أى شىء.

ولكن فيم الانزعاج مسبقاً؟ أنه ينوى أن يستمتع بوقته فى جزيرة الهندى.

* * *

وفى إحدى العربات، جلست إميلى برنت، معتدلة القامة، كعادتها، على الرغم من أنها قد بلغت الخامسة والستين من عمرها. كانت لا تقر الإهمال أو التهاون، فقد كان أبوها الكولونيل من المدرسة القديمة، وكان صارما فى كل ما له صلة بالزمن والهندام.

أما الجيل الجديد فكان لا يعنى بهندامه ولا بأى شىء آخر.

كانت جالسة وقد أحيطت بها هالة من الاعتدال والمبادئ الصارمة، فى عربة من عربات الدرجة الثالثة ازدحمت بالمسافرين، وقد تغلبت على افتقارها إلى الراحة وعلى الحر، فإن الناس فى أيامنا هذه، يتضايقون من أى شىء، فلابد لهم من المخدر قبل خلع الضرس أو من أقراص منومة إذا عز عليهم النوم، ويسترخون فى مقاعدهم وفوق وسائدهم.

وزمت مس برنت شفتيها وودت لو أن تلقن هؤلاء الناس درسا.

واستعادت فى ذهنها أجازتها فى السنة الماضية. سيختلف الأمر هذه السنة، ففى جزيرة الهندى...

وقرأت فى ذهنها مرة أخرى الرسالة التى جاءتها والتى حفظتها عن ظهر قلب: «عزيزتى مس برنت،

يطيب لى أن أعتقد أنك مازلت تتذكريننى، فقد قضينا معا شهر أغسطس منذ سنوات، فى بنسيون ببلهافن، ورأينا أننا نتفق فى كثير من الأمور.

وأنا الآن أقوم بتأسيس بنسيون فى جزيرة كبيرة بإقليم ديفون.

وقد رأيت، أننى لكى أفلح فى هذا المشروع، لابد من أن أجمع بين مطبخ بسيط ممتاز وامرأة ظريفة من الجيل القديم.. أف للعرى وللجراموفونات فى منتصف الليل!.. ويسرنى لو أن تستطيعى الحضور لقضاء أجازتك فى جزيرة الهندى بصفة مجانية كضيفة لى، فهل يوافقك بداية شهر أغسطس؟ ما رأيك فى اليوم الثامن منه؟

مع خالص تمنياتى «أ. ف.»

ولكن ما اسمها؟.. إن التوقيع غير واضح. وإذ فقدت اميلى برنت صبرها قالت: إن أناسا كثيرين يوقعون بطريقة يتعذر بها قراءة أسمائهم.

واستعرضت فى ذهنها الأشخاص الذين قضت أجازتها بينهم فى بلهافن، حيث قضت الصيف لعامين متتابعين.. مدام... ما اسمها؟.. كانت هناك ابنة كاهن.. وتلك المدعوة مس ادلتون... أو مس أورمن كلا، كانت تدعى أوليفر طبعا، نعم، هذا هو اسمها..

جزيرة الهندى.. لقد تكلمت عنها الجرائد... بخصوص ممثلة سينما.. أو لعل ذلك كان بخصوص مليونير أمريكى.

ومهما يكن فإن الجزيرة لا تساوى الكثير، لأنها لا تروق لكثيرين.. بيد أن فكرة إقامتها فى جزيرة بدت لها فكرة رومانسية.. ولكن ما أن يستقر بالمرء المقام بها حتى يرى مساوئها ويسره أن يتخلص منها.

واختتمت مس برنت أفكارها قائلة: مهما يكن فإن أجازتى هذه السنة لن تكلفنى شيئاً.

ذلك أن دخلها انخفض بكثير ولم تغل أكثر أسهمها ربحا يذكر. ولكن ليتها تتذكر مسز أو مس أوليفر هذه!

* * *

انحنى الجنرال ماك أرثر فوق نافذة مقصورته، كان القطار يدخل محطة اكستر، حيث لابد له أن يستقل قطاراً آخر. إن هذه القطارات الريفية اللعينة تتقدم ببطء شديد مع أن جزيرة الهندى ليست بعيدة.

لم يكن يعرف من هو مستر أوين هذا... ولكن طبقا للظواهر فلابد أن يكون صديق لسبوف جاردنر أو جونى داير.

«سيكون بعض زملائك القدامى بيننا.. وسيسرهم أن يلتقوا بك وأن تتبادلوا الحديث عن الأيام الخوالى».

والواقع أنه لم يكن يطلب أكثر من استعادة الماضى مع الأصدقاء القدامى. فقد خيل له فى الأيام الأخيرة أن أصدقاءه قد قاطعوه ونبذوه. كل هذا بسبب تلك الشائعات السخيفة. كان الأمر شاقا، وكان يرجع إلى ثلاثين سنة، ولم يعرف أرميتاج أن يمسك لسانه، ولكن ما الذى كان يعرفه ذلك الثرثار؟.. أوه.. ولكن فيما الانزعاج؟

إن المرء يتصور أموراً كثيرة، ويخيل له أن الآخرين ينظرون إليه شذرا.

مهما يكن فسوف يروق له أن يرى جزيرة الهندى هذه التى أسهبت الجرائد فى الحديث عنها. لعل هناك شىء صادق فى هذه الضجة التى سرت والتى تقول أن البحرية البريطانية قد استولت عليها.

لاريب أن ذلك الشاب المر روبسون، المليونير الأمريكى قد بنى فيها بيتا فخما كلفه آلاف الجنيهات الإنجليزية... وهو ترف عظيم حقا.

اكستر!. لابد له من الانتظار ساعة أخرى... وعيل صبره، وكان يود لو أن يستمر...

* * *

كان الدكتور أرمسترونج يقود سيارته خلال وادى سالسبورى، وأحس بالإعياء.. فإن للمجد ثمنه. لقد جاء عليه وقت كان يجلس فيه فى عيادته بكل هدوء بشارع هارى، وهو مرتد ثيابه، تحيط به أحدث الآلات والأجهزة الطبية وقطع الأثاث الفخمة.. كان ينتظر طوال النهار نجاح مجهوده أو فشله.

حسنا. لقد انتصر، وابتسم له الحظ، وساعدته اللباقة والكياسة. وغنى عن البيان أن نقول أنه كان يعرف مهنته حق المعرفة... ولكن لم تكن المعرفة



بكافية لكى ينجح ، إذ لابد من الفرصة كذلك. وقد واتته الفرصة... التشخيص الصحيح وامتنان مريضتين.. وهما مريضتان ثريتان من نساء المجتمع... وقد تسببتا فى شهرته.

«يجب أن تمضى لاستشارة أرمسترونج. إنه طبيب شاب، ولكنه كفء جداً. لقد اختلفت بام إلى أطباء كثيرين، سنين طويلة، ولكنه هو وحده عرف داءها على الفور....» وكان لهذا القول فعل السحر.

وقد أصبح الدكتور أرمسترونج الآن طبيبا معروفا، وعرف رواجاً كبيراً بحيث لم يكن ليجد دقيقة واحدة يخلو فيها إلى نفسه. كانت أيامه كلها مملوءة.. ولهذا سره أن يغادر لندن فى صباح ذلك اليوم من أيام أغسطس، وأن يمضى لقضاء بضعة أيام فى جزيرة بشاطئ ديفون.

ولكنها ليست أجازة بمعنى القول، فإن الخطاب الذى جاءه كان يتكلم فى غموض. ولكن لم يكن هناك أى غموض فى الشيك الذى كان مرفقا به... أتعاب خيالية. لا ريب أن آل أوين هؤلاء قوم أثرياء. ويبدو أن الزوج كان منزعجا بخصوص صحة زوجته، وأراد أن يتثبت من طبيعة المرض الذى تشكو منه دون أن تشك فى شىء، فإنها ترفض أن تذهب إلى أى طبيب، وأعصابها..

الأعصاب! هز الطبيب حاجبيه. يا للنساء وأعصابهن! ومهما يكن فإنه لا يصح له أن يشكو من الناحية التجارية، فإن نصف النساء للاتى يأتين لاستشارته لا يشكون إلا من الملل. ولكنه كان يحرص على ألا يصارحهن بذلك، وكان يزعم دائما أنهن مصابات بمرض ما. لقد أوشك أن يسقط... وأصبح حطاما بشريا، ولكنه تمالك نفسه تحت الصدمة، وفى يوم وليلة كف عن الشراب ونجا بأعجوبة.

وسمع بوقا يدوى خلفه فى صوت أصم، ومرقت بجواره سيارة كبيرة من طراز سوبر دالمان وهى تندفع بسرعة مائة وثلاثين كيلومترا فى الساعة. وأوشك أن ينقلب بسيارته فى الخندق الذى يمتد بطول الطريق... شاب آخر من هؤلاء الشبان المجانين الذين ينهبون الأرض نهبا... لم يكن الطبيب يشعر بأى ميل نحوهم. وقد نجا الآن بمعجزة.

انطلق تونى مارستون كالقنبلة فى قرية بير الصغيرة وهو يقول:



- تبا لهذه السيارات التى تزحم الطريق وتحول بينك وبين الانطلاق كما تريد. والشىء الذى يثير الغيظ هو أن أصحابها يلتزمون منتصف الطريق، وقد أصبح من المتعذر قيادة سيارة فى إنجلترا. ما أجمل طرقات فرنسا، فإن فى استطاعة المرء أن ينطلق فيها حقا.

هل يجب أن يتوقف هنا لكى يتناول مرطبا أو أن يتابع طريقه؟ إن أمامه متسعا من الوقت، فلم يعد هناك غير مائة كيلومترا. سوف يطلب كأسا من الجعة أو قدحا من الليمونادة بالزنجبيل.. ياله من جو خانق!

سوف يلهو مع الآخرين كما يحلو له فى تلك الجزيرة لو استمر هذا الجو الجميل، ولكن من هم هؤلاء الآخرون؟.. ألقى أنتونى مارستون على نفسه هذا السؤال، وأجاب عليه فى نفس الوقت فقال لا ريب أنهم بعض محدثى النعمة، وأن آل بارجر لا مثيل لهم حقا فى الوقوع على مثل هؤلاء القوم، ولا ريب أن المسكين أصبح مفلسا تماماً لكى يبلغ هذه المرحلة!

ولكن ليته يجد لديهم مشروبات معتقة، فإن مثل هذا الأمر مشكوك فيه مع الأغنياء الجدد. ومما يؤسف له أن الشائعات التى تدور حول شراء الممثلة جابرييل تارل لهذه الجزيرة كاذبة ولا تستند إلى أى أساس من الصحة، فقد كان يؤثر أن ينضم إلى حلقة المعجبين بالممثلة الجميلة، ولكن لعله يلتقى فى الجزيرة ببعض الفتيات الجميلات.

وإذ خرج من الحانة، تمطى ثم ألقى نظرة إلى السماء الزرقاء، وركب سيارته. وتأمله نساء كثيرات. كانت قامته الطويلة وشعره المجعد ووجهه الملوح وعيناه الزرقاوان قد أثارت إعجابهن.

وضغط على مفتاح الحركة، فانطلقت السيارة على الفور. ووقف الأهالى على جانبى الطريق بدافع الحرص والحذر، وراح الصبية يتابعون العربة الفخمة فى ذهول.

كان مستر بلور يسافر فى القطار البطئ القادم من بليموث، وكان يشاركه فى مقصورته رجل مسن له عينان مغمضتان، ويبدو من مظهره أنه بحار، وكان فى ذلك الوقت نائما.

وكان مستر بلور يكتب فى عناية كبيرة فى دفتر صغير وهو يقول محدثا نفسه: أن القائمة هذه المرة كاملة. إميلى برنت وفيرا كلايتون

والدكتور ارمستروبج، وأنتونى مارستون والقاضى العجوز وفيليب لومبارد والجنرال ماك أرثر والخادم وزوجته، مستر ومسز روجرز.

وأطبق مفكرته ودسها فى جيبه، ثم ألقى نظرة إلى الركن الذى يرقد فيه زميله فى السفر وقال فى صوت منخفض: أننى أخطأت وأضفت واحداً زيادة.

وفكر لحظة ثم قال: سيكون العمل سهلاً جداً، ولا يمكن أن أخطىء، وأرجو ألا ينم مظهرى عن شىء.

ونهض وراح يفحص نفسه فى مرآة المقصورة، وعكست المرآة صورة رجل حربى المظهر، بوجه جامد خال من أى تعبير، وعينين رماديتين وشفتين يعلوهما شارب صغير.

وقال يحدث نفسه: الحق أن من يرانى يحسبنى ميجورا، آه، كلا. إننى نسيت الجنرال. إن هذا الرجل المتزمت لن يلبث أن يكشف أمرى.

واستطرد يناجى نفسه قائلاً: أن أفريقيا الجنوبية هى مجال اختصاصى، ولا يمكن أن يكون أى من هؤلاء الأشخاص قد ذهب إليها. وحيث أننى قرأت كل شىء عن هذه المنطقة فإننى أستطيع أن أتحدث عنها كما لو أننى أعرفها حقاً.

ولحسن الحظ أن هناك أنواعا كثيرة من المستعمرين، وكرجل أصاب ثروة فى أفريقيا الجنوبية، كان مستر بلور يتباهى بانه يستطيع أن يتغلغل بسهولة فى أى مجتمع.

جزيرة الهندى.. تذكر أنه أقام فيها بعض الوقت وهو صبى، وهى عبارة عن صخرة كبيرة تثير الاشمئزاز، وتحط عليها طيور النورس، وتقع على بعد ألف وخمسمائة متر تقريباً من الشاطىء. وقد اكتسبت اسمها هذا لأنها تشبه رأس رجل يبدو كما لو كان من الهنود. وإنها لفكرة غريبة حقا أن يشيد أحد بيتا فوقها. وإنه لمن المزعج أن يعيش المرء فى جزيرة حين تهب العاصفة. ولكن أصحاب الملايين لهم نزوات عجيبة.

واستيقظ الرجل المسن وهو يقول: لا يمكن أن يتوقع الإنسان شيئاً وهو فى البحر... لا يمكن إطلاقاً.

قال مستر بلور فى شىء من العزاء: هذا صحيح، فلا يمكن أن يدرى أحد ما ينتظره.

وسعل البحار فى صوت ضعيف وقال: هناك عاصفة على الأبواب.

أجابه مستر بلور: كلا. كلا يا صاحبى، إن الجو جميل.

غضب الرجل المسن وقال: أقول لك أن العاصفة على الأبواب. إننى أحس بها. قال بلور مسالما: لعلك على حق.

وتوقف القطار فنهض الرجل قائلاً: إننى سأهبط هنا.

وراح يعالج الباب لكى يفتحه. وهب مسز بلور لمساعدته. ورفع البحار يده فى شىء من الوقار وقال قبل أن يهبط على الرصيف: استغفر وصل لربك فإن يوم الحساب يقترب.

وهبط إلى الرصيف أخيراً ورفع عينيه نحو مستر بلور وقال له فى وقار: إننى أخاطبك أنت أيها الرجل. استغفر إلى ربك وصل له فإن يوم الحساب قريب جداً.

وتربع مستر بلور فوق مقعده وقال يحدث نفسه: إنه إلى يوم الحساب أقرب منى بكل تأكيد.

وكان مخطئاً فى ظنه هذا.

وقفت جماعة صغيرة مترددة أمام محطة أوكبريدج، وخلفها بعض الحمالين محملين بالحقائب والأمتعة. ونادى أحدهم قائلاً: جيم!

واقترب منهم سائق سيارة أجرة وسألهم بلهجة أهالى الدينون: هل تذهبون إلى جزيرة الهندى؟

رد عليه أربعة أصوات بالإيجاب، وتبادلوا النظر فيما بينهم.

وتحول سائق سيارة الأجرة إلى القاضى وورجريف بعد ذلك إذ رآه أكبر الجماعة سنا وخاطبه قائلاً: هنا سيارتان يا سيدى، ويجب أن تنتظر إحداهما قطار الركاب القادم من أكستر، بعد خمس دقائق أو ست... فهناك مسافر آخر سيأتى به، ولعل أحدكم يرضى أن ينتظر قليلاً حتى لا يزحم الآخرون بعضهم البعض.

أسرعت فيراكلايتون تقول، شاعرة بوظيفتها الجديدة كسكرتيرة:

- سأنتظر أنا إذا أردتم.

ونظرت إلى الثلاثة الآخرين، وفى نظرتها ولهجتها رنة خفيفة آمرة تنم عن نوع العمل الذى تقوم به. فقد استخدمت نفس اللهجة التى تستخدمها فى إصدار أوامرها لتلاميذها أثناء لعب التنس.

وقالت مس برنت فى حدة: شكرا.

ثم خفضت رأسها وركبت سيارة الأجرة، وكان السائق قد فتح لها الباب. وتبعها القاضى، أما لومبارد فقد جازف قائلاً: سأنتظر مع الآنسة...

أكملت فيرا قائلة: كلايثورن.

ـ أما أنا فاسمى لومبارد... فيليب لومبارد.

وحمل الحمالون سيارة الأجرة بالحقائب التى كانوا يحملونها. وفى داخل السيارة قال القاضى فى حذر: إن الجو جميل اليوم.

أجابت مس برنت: هذا صحيح.

وقالت تحدث نفسها إنه رجل محترم جداً، يختلف كل الاختلاف عن هؤلاء المدعوين الذين نلتقى بهم فى البنسيونات على شاطىء البحر. الواضح أن مستر ومسز أوين يعرفان أناسا من المجتمع.

وسألها القاضى وورجريف: هل تعرفين هذه الناحية من إنجلترا؟

ـ سبق أن ذهبت إلى كورنواى وتوركاى، ولكن هذه أول مرة أزور فيها إقليم ديفون.

قال القاضى: وأنا كذلك.

وانطلقت سيارة الأجرة.

وقال سائق سيارة الأجرة الثانية يسأل الاثنين اللذين بقيا: ألا تريدان الانتظار داخل السيارة؟

أجابت فيرا فى صوت قاطع: أبداً.

وابتسم الكابتن لومبارد وقال: إن هذا المكان المشمس يروق لى كثيراً، إلا إذا كنت تفضلين أن ننتظر داخل المحطة؟

ـ آه. كلا.. إننى مسرورة جداً إذ لا أرى نفسى أمام تلك العربات الخانقة.

قال: إن السفر فى السكة الحديدية فى مثل هذا الحر لمحنة كبيرة.

وأردفت فيرا تقول: أرجو أن يستمر الجو على هذا فإن الصيف فى إنجلترا يدخر لنا مفاجآت كثيرة.

وألقى لومبارد عندئذ سؤالاً غريباً إذ قال: هل تعرفين هذه الناحية من إنجلترا جيداً يا آنسة؟

ـ كلا.. إننى قدمت إليها لأول مرة.

ثم أردفت تقول كما لو كانت قد قررت منذ البداية أن تحدد موقفها من آل أوين: بل إننى لم أر مخدومتى حتى الآن.

ـ مخدومتك؟

ـ نعم، فأنا سكرتيرة مدام أوين.

ـ آه. إننى فهمت.

وتغير موقفه على الفور وقال فى جراءة أكبر: هذا أمر غير متوقع.

ضحكت فيرا وقالت: ولماذا؟.. إننى لا أظن ذلك. لا ريب أن السكرتيرة الخاصة لمدام أوين مرضت فجأة فأبرقت إلى أحد مكاتب العمل لتبحث عن سكرتيرة أخرى، وكان أن أرسلونى أنا.

ـ آه. هكذا تقع الأمور إذن. وماذا يحدث إذا لم ترق لك الوظيفة بعد أن تستقيم لك الإقامة فى البيت.

ضحكت فيرا من جديد وقالت:

ـ أوه. إنها وظيفة مؤقتة، أثناء الأجازة. إن لدى وظيفة ثابتة فى مدرسة للبنات والحقيقة إننى أتلهف لرؤية جزيرة الهندى منذ أن راحت الجرائد تتحدث عنها. أهى جميلة إلى هذا الحد؟

أجاب لومبارد: لا أدرى، فأنا نفسى لم أرها بعد.

ـ حقاً؟ لا ريب أن آل أوين تحمسوا. ولكن من هؤلاء الناس؟

فكر لومبارد لحظة. لقد أصبح الموقف دقيقاً. هل يجب أن يزعم بأنه سبق أن رآهم أم لا؟ وأسرع بتغيير مجرى الحديث فقال:

آه... يوجد دبور على ذراعك. كلا... لا تتحركى.

ولكن يقنعها هش الحشرة بيده وقال: إنه طار.

ـ شكراً لك يا سيدى. إن الدبابير كثيرة هذا الصيف.

ـ لا ريب أن السبب فى كثرتهم هى الحرارة. هل تعرفين من ننتظر هنا؟

ـ ليست لدى أية فكرة.

وسمع صوت القطار وهو يقترب. وقال لومبارد:

هاهو القطار قادم.

* * *

هبط من القطار رجل طويل القامة، عسكرى المظهر، شعره قصير يخوطه المشيب وله شارب صغير يعنى به عناية كبيرة.



وكان خلفه حمال يرزح تحت ثقل حقيبة متينة من الجلد، وأشار الرجل إلى فيرا ولومبارد، فتقدمت فيرا فى هدوء طبيعى وقالت:

- أنا سكرتيرة مدام أوين، سوف نستقل هذه السيارة.

ثم أردفت تقول: أقدم لك مستر لومبارد.

وقيم الوافد الجديد بعينيه المكدودتين بحكم السن الكابتن لومبارد. وقال يحدث نفسه: إنه شاب وسيم. ولكن فيه شيئاً لا يروق لى.

وجلس الثلاثة فى سيارة الأجرة، وما هى إلا لحظة حتى انطلقت بهم فى شوارع مدينة أوكبريدج الصغيرة الهاجعة، ثم انعطفت بعد ذلك إلى الطريق الكبير المؤدى إلى بليموث، وبعد نحو ألف وخمسمائة متر دلفت فى متاهة من الطرق الريفية الخضراء الوعرة.

وقال الجنرال ماك أرثر: إننى أجهل كل شىء عن إقليم ديفون، فإن بيتى الصغير يقع فى الشرق فى حدود إقليم دورست.

وقالت فيرا: إن هذا الريف جميل، وهذه التلال الخضراء والأرض الحمراء تسر الناظرين حقا.

وقال لومبارد فى لهجة الناقد: هذه الأراضى تبدو لى منخفضة جداً وأنى أوثر الأراضى الفسيحة حيث يمتد البصر إلى مدى بعيد.

قال الجنرال ماك أرثر: أفهم من هذا أنك طفت ببلاد كثيرة.

هز لومبارد كتفيه فى غير اكتراث وقال: أوه. إننى تنقلت فى كل بقاع العالم تقريبا.

وقال يحدث نفسه: إن هذا العسكرى العجوز سيسألنى بكل تأكيد هل كنت فى سن تسمح لى بحمل البندقية أثناء الحرب العالمية. إن هؤلاء العسكريين لا يفكرون فى شىء غير الحرب.

ولكن الجنرال ماك أرثر لم يذكر أية إشارة عن الحرب.

وبعد أن ارتقوا التل المنحدر هبطوا إلى قرية ستيكلهافن، وهى قرية صغيرة بها بضعة بيوت وأكشاك للصيد على الساحل.

ووقفوا يتأملون، لأول مرة جزيرة الهندى، وقد بدت أمامهم، جنوبى البحر ووقعت عليها أشعة الشمس الغاربة.

وهتفت فيرا مشدوهة: ولكننا مازلنا بعيدين جداً عنها.



كانت قد تصورتها مختلفة جداً وقريبة جداً من الساحل، فى وسطها بيت أبيض جميل، ولكن لم تقع عيناها على أى مبنى وإنما رأت أمامها صخرة ضخمة تشبه رأس رجل من قبائل الهنود. وبدا شكلها كئيباً. وسرت فى بدنها رعشة.

وأمام حانة القرية الصغيرة جلس ثلاثة أشخاص هم القاضى الكهل بظهره المحدودب ومس برنت بقامتها المعتدلة ورجل آخر متين الجسم تقدم نحو الجماعة الجديدة وقال يقدم نفسه:

- رأينا أن ننتظركم هنا وبهذا نستطيع أن نقوم برحلة واحدة. اسمحوا لى أن أقدم نفسى... اسمى دافيس وقد ولدت فى الناتال بأفريقيا الجنوبية... ها... ها...

وقهقهته المرحة جعلت القاضى ينظر إليه فى شىء من الاستياء. وعاد دافيس يقول فى لهجة المضياف الكريم:

- هل يريد أحدكم أن يتناول كأسا صغيراً قبل أن نبحر؟

ولكن لم يقبل أحد اقتراحه فاستدار ورفع أصبعه وقال: فلنمض إذن... فلا ريب أن مضيفينا فى انتظارنا.

وكان فى استطاعته أن يلحظ شيئاً من الضيق على وجوه المدعوين الآخرين، فقد بدأ أن عبارته الأخيرة قد شلت أفكارهم.

وردا على إشارة من دافيس تقدم رجل كان ينتظر بجوار الجدار واقترب منهم. وكانت خطواته الرشيقة تدل على أنه بحار. كان ملوح الوجه، داكن العينين، حالم النظرة. وقال فى هدوء بلهجة أهالى إقليم ديفون: سيداتى، سادتى... هل تريدون الانتقال إلى الجزيرة الآن حالا؟ إن الزورق على استعداد. يجب أن يأتى رجلان آخران بالسيارة، ولكن مستر أوين أصدر إلى أمره بألا انتظرهما لأنه يمكن أن يأتيا فى أية لحظة..

نهض القوم وتبعوا البحار عبر جسر يقف أمامه زورق بخارى. وقالت إميلى برنت: إنه زورق جميل.

قال البحار فى إقناع: وهو متين وسريع يا سيدتى، وسيصل بكم إلى الجزيرة بأسرع ما يمكن.

وقال القاضى وورجريف فى صوت قاطع: ولكننا كثيرون.

- إنه يمكن أن يحمل ضعف عددكم يا سيدى.



تدخل فيليب لومبارد عندئذ وقال فى صوت رقيق: أوه، سوف يمر كل شيء على ما يرام. أن الجو جميل... والبحر هادئ.

وتركت مس برنت الرجل يساعدها فى الانتقال إلى الزورق دون حماس كبير. وتبعها الآخرون. وحتى ذلك الوقت لم يجر أى حديث بين أفراد الجماعة. وبدا أن كلا منهم كان يفحص الآخر. وعندما هم الزورق بمغادرة المرسى توقف البحار والخطاف فى يده، فعلى الطريق المنحدر أقبلت سيارة كبيرة يجلس أمام عجلة القيادة منها شاب مشط شعره إلى الخلف وبدا تحت أشعة الشمس الغاربة كما لو كان إلها وبطلاً خرج من جوف إحدى أساطير الشمال.

وضغط على مفتاح سيارته فانبعث منها هدير هائل تردد صداه بين صخور الخليج. وبدا أنتونى مارستون فى هذه اللحظة الغريبة فوق مستوى البشر، وقد بقى هذا الانطباع مطبوعا فى ذهن الجميع.

جلس فريد فاراكوت بجوار المحرك وراح يفكر فى الجماعة الغريبة التى تجلس فى زورقه. لم يكن أى منهم من هؤلاء الضيوف الذين كان يتوقع أن يمضى بهم إلى مستر أوين. كان يتوقع أن يرى أناسا أكثر أناقة ونساء فى ثياب جميلة ورجالا يلبسون ثياب اليخت ويبدو عليهم الثراء والجاه.

ولكن هؤلاء كانوا بعيدى الشبه عن ضيوف مستر ألمر روبسون، وارتسمت ابتسامة ساخرة وهو يستعيد ذكرياته. لقد كان المليونير يقدم حفلات عظيمة كانت الشمبانيا تسيل فيها أنهاراً.

ولكن لاريب أن مستر أوين هذا رجل يختلف عنه. وقد استغرب فريد لأنه لم ير مستر أوين حتى اليوم. ولم ير زوجته كذلك، فلم يذهب أى منهما إلى القرية. كان مستر موريس يقوم بكل الطلبات ويسدد كل الفواتير، وكانت التعليمات واضحة جداً والدفع عاجل، ولكن هذا لم يمنع أن الاختلاف كان غريباً. كانت الجرائد تشك فى أن هناك سرا، وكان فاراكوت معهم فى هذا الرأى.

ولكن، لعل الجزيرة ملك للآنسة جابرييل ثارل على كل حال.. ومع ذلك فإن هذه النظرية كانت تكذبها سحنة هؤلاء الركاب، فلم يكن يبدو على أى منهم أنه يدور فى محيط نجمة السينما.

وراح يدربهم فى ذهنه فى برود.

فتاة عانس ساخطة... كان يعرف هذا النوع جيداً، وكان على استعداد لأن يراهن أنها امرأة شرسة.. والرجل العسكرى تدل هيئته عليه.. ثم هذه



الفتاة الجميلة.. ليس فيها شيء غير عادى، وليس فيها ما يدل على أنها من كواكب هوليود، وذلك الرجل الضخم المرح كان يفتقر إلى آداب السلوك، ولعله تاجر اعتزل العمل... خيل لفريد فاراكوت أن هذه هو كل شيء. أما الشاب الآخر، النحيف، ذو العين الحادة والذى يبدو عليه أنه يتضور جوعا فإن أمره عجيب، ربما هو الوحيد الذى يعمل فى الحقل السينمائى. صفوة القول، أنه لم ير فى كل هؤلاء إلا شخصا واحداً يروق له، وهو ذلك الزائر الذى أقبل فى تلك السيارة، ويالها من سيارة. أن أحداً لم ير مثيلاً لها أبداً فى ستيكلهافن، ولاريب أنها كلفته مبلغاً باهظاً. أن مثل هذا الشاب ولد وفى فمه ملعقة من فضة، ولو أن الآخرين كانوا يشبهونه لما استغرب فاراكوت.

الحق أن أمرهم كان غريباً... كان غريباً جداً.

ودار الزورق البخارى بالصخرة محدثا دوامة كبيرة. وظهر البيت عندئذ. وكانت الناحية الجنوبية من الجزيرة مختلفة تماما وتهبط فى منحدر نحو البحر. أما المبنى نفسه فكان منخفضاً ومربعا ومشيدا على الطراز العصرى، بنوافذ مقوسة تطل على الجنوب وتتلقى أشعة الشمس كلها.

كان بيتا جميلاً يتجاوب مع كل ما يمكن أن يحلم به المرء.

وأوقف فريد فاراكوت محركه، ومضى الزورق فى بطء نحو خليج صغير بين الصخور، وقال فيليب لومبارد فى لهجة جافة

– لا ريب أن الرسو هنا متعذر أثناء العواصف.

أجاب فاراكوت فى مرح: لا يجب أن نفكر فى الاقتراب من الجزيرة إذا ما بدأت العاصفة... أحياناً تبقى المواصلات بين الجزيرة والساحل مقطوعة لمدة أسبوع أو أكثر.

واحتك جانب الزورق بالصخور. ووثب فريد فاراكوت إلى الشاطئ. وساعد الركاب، مع لومبارد، فى الهبوط. وربط فاراكوت زورقه فى حلقة مثبتة فى الصخور ثم قاد الجماعة نحو سلم منحوت هو الآخر، فى الصخور.

وصاح الجنرال ماك أرثر يقول: «آه. هذا جميل».

ومع ذلك فإنه أحس فى قرارة نفسه بالقلق والانزعاج. وفكر يقول: يا له من مكان فظيع لا يمكن الإقامة فيه.

ووجد المدعوون أنفسهم فى أعلا السلم، فى شرفة فسيحة. وعادت إليهم شجاعتهم. وأمام الباب الكبير المفتوح رأوا رئيس الخدم يقف فى انتظارهم. وكانت سحنته شريفة، تبدو عليه أمارات الجد بحيث اطمأنوا إليه. أما البيت نفسه فكان مدهشا، والمنظر الذى تطل عليه الشرفة يتجاوز كل التوقعات.

وتقدم الخادم، وانحنى انحناءة خفيفة.. وكان نحيفا، أشيب الشعر، وقور المظهر.

ـ سيداتى، سادتى.. هلا تفضلتم بالدخول؟

وكانت تنتظرهم فى البهو الفسيح مشروبات كثيرة، مختلفة الأنواع.

وأمام منظر الزجاجات استعاد أنتونى مارستون هدوءه وبشاشته، فإن هذه الطبقة الغريبة لم تكن تتفق أبداً مع ميوله. كيف يخطر لبادجر هذا أن يرسله إلى هذه الجزيرة؟.. ولكن الشراب كان جيداً على كل حال، والثلج متوافر. ولكن ماذا يقول ذلك الخادم؟

ـ آه، اضطر مستر أوين إلى أن يتأخر ولن يتمكن من الحضور قبل الغد، وأن رئيس الخدم يضع نفسه تحت تصرف المدعوين، هل يريدون الذهاب إلى غرفهم؟ سوف يكون الطعام معدا فى الساعة الثامنة.

* * *

تبعت فيرا مدام روجرز إلى أعلا السلم. وفتحت الخادمة بابا فى آخر الغرفة، ودخلت الفتاة غرفة نوم جميلة، تطل إحدى نوافذها على البحر، والأخرى على الناحية الشرقية. وأطلقت فيرا كلايتون صيحة تدل على الفرح.

وقالت لها مدام روجرز: ألقت فيرا حولها نظرة. كانت حقائبها موجودة وقد أفرغت مما فيها، وفى ركن من الغرفة كان هناك باب مفتوح يفضى إلى غرفة استحمام، بلاطها أزرق فلح. وقالت:

ـ كلا. لست بحاجة إلى شيء. أشكرك.

ـ إذا أردت شيئاً فما عليك إلا أن تضغطى على الجرس يا آنسة.

كانت مدام روجرز تتكلم فى صوت رتيب عادى فيه لمسة من فضول. ونظرت فيرا إلى هذه المرأة ذات البشرة الشاحبة نظرة فاحصة. وكانت شبحا حقيقيا، مظهرها سليم تماما، بشعرها الممشوط إلى الخلف وثوبها الأسود. وكانت عيناها الشاحبتان المتحركتان لا تنفكان تنظران ذات اليمين وذات اليسار. وقالت فيرا تحدث نفسها: يخيل لى أن مدام روجرز خائفة من ظلها.

وكان هذا حقا، فقد كانت تبدو فريسة خوف مميت.

وسرت رعشة فى بدن الفتاة وتساءلت مم تخاف هذه المرأة التعسة؟ وقالت فى رفق:

ـ أنا السكرتيرة الجديدة لمدام أوين. لا ريب أنك على علم بذلك؟

أجابتها مدام روجرز: كلا. إننى لا أعرف شيئاً. سلمت لى قائمة بأسماء السادة والسيدات لكى أعد لكل منهم غرفته.

سألتها فيرا: ألم تحدثك مدام أوين عنى؟

ـ أننى لم أر مدام أوين بعد. إننا لم نأت هنا إلا منذ يومين.

فكرت فيرا: ما أغرب آل أوين هؤلاء!

ثم قالت فى صوت مسموع: هل الخدم كثيرون؟

ـ لا يوجد غيرى أنا وروجرز يا آنسة.

قطبت فيرا حاجبيها. ثمان من المدعوين فى البيت. أى عشرة أشخاص بما فى ذلك مستر ومدام أوين وخادمين اثنين فقط للإشراف على خدمتهم!

وأردفت مدام روجرز: إننى طاهية ممتازة، وروجرز قدير فى أعمال البيت، ولكننى لم أكن أتوقع مثل هذا العدد من الضيوف.

ـ وكيف ستتصرفين؟

ـ اطمئنى يا آنسة، سأعرف كيف أدبر أمرى. أما إذا أرادت مسز أوين إقامة حفلات فلا ريب أنها ستأتى بخدم آخرين للمساعدة.

قالت فيرا: أرجو ذلك من أجلك.

وانصرفت مدام روجرز فى هدوء ودون أن يصدر منها صوت.

ومضت فيرا إلى النافذة وجلست على الحاجز. بدا لها كل شيء فى هذا البيت غريبا وشاذا... غياب الخدم، ومدام روجرز التى تبدو كشبح من الأشباح، والمدعوين... كان هؤلاء الآخرون أشد غرابة من الباقى وغير متجانسين على الإطلاق.

وفكرت تقول: مهما يكن فقد كنت أود أن أرى مستر ومسز أوين، وأن أكون لنفسى رأياً بخصوصهما.

ونهضت، وراحت تمشى فى غرفتها وهى فريسة للانفعال.

كانت غرفة نوم كل ما فيها حديث... الديكور والسجاد، والجدران مدهونة بطلاء باهت والمرآة الكبيرة تحيط بها المصابيح الكهربائية. وفوق

المدفأة قطعة ضخمة من الرخام تبدو تحفة جميلة وتمثل دبا فى وسطه منبه، ولصق الحائط، فوق المدفأة إطار من المعدن البراق فيه قطعة من الرق مسجل عليها أغنية من أغانى الأطفال.

ووقفت فيرا أمام المدفأة وراحت تقرأ مقاطع الأغنية التى طالما سمعتها وهى طفلة صغيرة.

عشرة أطفال هنود مضوا لتناول العشاء
أختنق أحدهم فلم يبق منهم إلا تسعة

* * *

تسعة أطفال هنود ظلوا سهارى حتى وقت متأخر من الليل، ونسى أحدهم أن يصحوا فأصبحوا ثمانية

* * *

ثمانية أطفال هنود سافروا إلى إقليم ديفون
صمم أحدهم على البقاء هناك فأصبحوا سبعة
سبعة أطفال هنود راحوا يكسرون الخشب بالبلطة
شطر أحدهم نفسه قسمين فلم يبق منهم إلا ستة

* * *

ستة أطفال هنود أخذوا يلعبون حول خلية نحل
لسع دبور أحدهم فلم يبق منهم غير خمسة

* * *

خمسة أطفال هنود ذهبوا لدراسة القانون
صار أحدهم محاميا فلم يبق منهم إلا أربعة
أربعة أطفال هنود ركبوا متن البحر
ابتلع سمك القرش واحداً منهم فلم يبق إلا ثلاثة

* * *

ثلاثة أطفال هنود ذهبوا إلى حديقة الحيوانات
قتل الدب أحدهم فأصبحوا اثنين

* * *

طفلان من الهنود جلسا تحت أشعة الشمس
أصيب أحدهما بضربة شمس فلم يبق غير واحد

* * *

طفل هندى ألفى نفسه وحيدا
فشنق نفسه ولم يبق منهم أحد

لم يسع فيرا إلا أن تبتسم طبعا. أليست موجودة فى جزيرة الهندى؟ ومضت فجلست بجوار النافذة لكى تتأمل منظر البحر.

ما أوسع المحيط! لم تكن ترى من مكانها هذا أية قطعة من اليابسة. وإنما كانت ترى مساحة كبيرة من الماء الأزرق الذى يتموج تحت أشعة شمس الغروب.

البحر هادئ اليوم.. ولكنه قاس فى أغلب الأحيان.. البحر الذى يطويك فى هاويته.. وتغرق.. تغرق.. تغرق.

كلا. إنها لا تريد أن تتذكر.. لا تريد أن تفكر فى هذا الأمر بعد الآن. فكل ذلك قد طواه الماضى.

هبط الدكتور أرمسترونج من الزورق إلى جزيرة الهندى فى نفس اللحظة التى غابت فيها الشمس خلف الأفق. كان قد ثرثر مع النوتى أثناء الطريق. وحاول أن يعرف منه شيئاً عن صاحبى الجزيرة، ولكن أما أن فاراكوت لم يكن يعرف شيئاً أو أنه لم يكن على استعداد للكلام.

واضطر الدكتور أرمستروفج إلى الحديث عندئذ عن الجو والصيد.

كانت رحلته الطويلة فى السيارة قد أرهقته وأتعبت عينيه، فقد كان منطلقا نحو الغرب، وكانت أشعة الشمس تبرق فى وجهه طوال فترة بعد الظهر.

ولكن البحر والهدوء الشامل سوف يبددان تعبه. كان يود لو أن يأخذ أجازة طويلة طبعا ولكنه لم يكن يستطيع أن يمنح نفسه هذا الترف. ولم يكن ذلك بسبب المال، وإنما كان يهمه الاحتفاظ بعملائه قبل كل شيء، فإن الناس سرعان ما ينسى بعضهم البعض فى هذه الأيام، خاصة وأنه، الآن وقد وطد مركزه، لابد له من أن يعمل دون انقطاع.

وفكر، سأحاول الليلة أن أرهم نفسى. بأننى لن أعجل بالعودة إلى لندن، وبأننى فرغت من شارع هارى وكل ما يتعلق به.

وكلمة هندى فيها قوة سحرية، وتعيد إلى الأذهان كل أنواع اللهو والمرح. وإذا ما هبط إليها المرء فقد كل صلة له ببقية العالم، فإن الجزيرة وحدها عالم بأسره.... عالم قد لا يعود منه المرء... وأردف يقول:

ـ سأحاول، ولو مرة واحدة، أن أترك خلفى كل مشاكلى اليومية.

وابتسم، وراح يبنى مشاريع مدهشة للمستقبل.

وكان لا يزال يبتسم وهو يرقى الدرجات المنحوتة فى الصخور.

وفى مقعد بالشرفة، كان يجلس رجل مسن بدأ منظره مألوفا للدكتور أرمسترونج... أين رأى هذا الوجه الشبيه بوجه الضفدعة، وهذا العنق الذى يشبه عنق السلحفاة، وهذا الظهر المحدودب وهاتين العينين الشاحبتين الماكرتين؟.. آه، نعم، إنه القاضى وورجريف الكهل. لقد أدلى أرمسترونج بشهادته أمامه مرة. كان الكهل يبدو دائماً كسولاً ولكنه كان داهية فى كل ماله علاقة بالقانون، وكان له نفوذ كبير على المحلفين، ويقال أنه كان يحملهم على تغيير قرارهم طبقا لإرادته. وقد جعلهم يصدرون أحكاما بالإعدام فى حالات كثيرة.. صفوة القول أنه كان قاضيا شرسا يرسل الناس إلى المشنقة بسهولة كبيرة.

وإنه لمكان عجيب للقاء به، فى هذه الجزيرة، بعيداً عن بقية العالم.

قال القاضى وورجريف يحدث نفسه: أرمسترونج!.. إننى أتذكر أننى رأيته على منصة الشهود.. رجل محترم وحريص... ولكن كل الأطباء وأطباء شارع هارى أسوأ من الجميع.

وعاد ذهنه الميال إلى السوء إلى الحديث الذى تبادله أخيراً فى نفس هذا الشارع مع أحد هؤلاء الأطباء المعسولين. وقال فى صوت مرتفع:

ـ أن المشروبات فى البهو.

قال الدكتور أرمسترونج: سأذهب لتحية صاحب القصر وزوجته.

أطبق مستر وورجريف جفنيه، فزاده ذلك شبها بثعبان وقال: غبى!

أجفل الطبيب وقال: لماذا؟

أجابه القاضى: ليس للبيت صاحب ولا صاحبة؛ والموقف من أشد المواقف غرابة، ولا أفهم شيئاً.

حدق الدكتور أرمسترونج فيه لحظة طويلة، وإذ خيل له أنه أخلد إلى النعاس إذا به يسأل فجأة: هل تعرف كونستانس كولمنجتون؟

ـ إيه؟.. كلا. لا أظن ذلك.

ـ لا أهمية. إنها امرأة مضحكة على كل حال وخطها يتعذر قراءته. وإنى أتساءل إذا لم أكن قد أخطأت العنوان.

هز الدكتور أرمسترونج رأسه، وتابع طريقه حتى البيت.

وفكر القاضى وورجريف لحظة فى حماقة كونستانس كولمنجتون. كانت فى هذا أشبه ببنات جنسها.

وانتقلت أفكاره إلى السيدتين اللتين جاءتا إلى الجزيرة معه... العانس ذات الشفتين المزمومتين والمرأة الشابة. لم يشعر نحو هذه الأخيرة بميل كبير. وقال فى نفسه إنها واحدة من هؤلاء الفتيات الوقحات اللاتى لا يتملكهن الاضطراب أبداً. آه. ولكنهن ثلاث من النسوة، إذا أضاف إليهما زوجة روجرز. وأن هذه الأخيرة لمخلوقة غريبة الأطوار، يبدو عليها الخوف. أنها هى وزوجها لا غبار عليهما، ويبدو أنهما يعرفان مهنتهما جيداً.

وفى هذه اللحظة بالذات ظهر روجرز بالشرفة فناداه القاضى وقال له: هل تعرف إذا كانت الليدى كونستانس كولمنجتون ستأتى الليلة. نظر روجر إليه بعينين متسعتين وقال:

ـ كلا يا سيدى. لا أظن أن أحداً سيأتى.

رفع القاضى حاجبيه واكتفى بان دمدم قائلاً: هذه المسألة مريبة!

كان أنتونى مارستون واقفاً تحت الدش يغتسل فى نشوة ويحرك أعضاءه التى جمدتها رحلته الطويلة فى السيارة. وكانت تدور برأسه أفكار قلة لأنه كان رجلاً حساسا يحب الحركة.

وكان يفكر: يجب أن أستقر على رأى.

وتوقفت أفكاره عند هذا الحد.

الماء الساخن المدهش... والأعضاء المرهقة لفرط التعب.. سوف يحلق ذقنه ثم يتناول شرابا... ثم العشاء بعد ذلك.

* * *

كان مستر بلور يعقد رباط ياقته. وكان هذا العمل يضايقه كل المضايقة. ولكن أهو ذو هيبة ووقار قبل كل شىء؟.. نعم.

لم يبد أحد ودا كبيراً نحوه.. وإنه لأمر غريب أن يتبادل هؤلاء الناس النظرات.. كما لو كانوا يعلمون.

ولكن عليه هو أن يكون فوق الظروف، ولابد له من أن يقوم بالمهمة التى قبلها. ورفع عينيه ونظر إلى الأغنية الموضوعة فى الإطار فوق المدفأة.

إنها لفكرة طيبة أن علقت هذه الأغنية فى هذا المكان.

وفكر يقول: أتذكر أننى زرت هذه الجزيرة وأنا طفل، وما كنت أعتقد أننى سأعود إليها مكلفا بمثل هذه المهمة. ولكن لحسن الحظ أننا لا نعرف المستقبل.

* * *

راح الجنرال ماك أرثر يرغى ويزيد بينه وبين نفسه. فقد بدأت هذه القصة تثقل عليه، ولم يكن يتوقع مثل هذا الاستقبال.

كان يود لو أن يهتدى إلى حجة لكى ينصرف ويتخلص من هذا الأمر. ولكن الزورق البخارى عاد إلى القرية، وكان لابد له من البقاء فى الجزيرة، ثم إن المدعو لومبارد كان رجلاً غريب الأطوار، لم يكن صريحا أبدا، وأنه لعلى استعداد الآن يقسم بأن هذا الرجل ليس صادقاً أبداً.

* * *

عندما دق الجرس إيذانا بموعد العشاء خرج فيليب لومبارد من غرفته وتقدم نحو السلم فى خطوات رشيقة صامتة كخطوات الفهد.. كان فيه شىء من المكر، وكانت هيئته تعيد إلى الذهن هيئة الفريسة التى يحلو للمرأ أن ينظر إليها. وكان يبتسم فى قرارة نفسه.

ـ أسبوع؟.. آه.. سوف ينتهز الفرصة ويستمتع بوقته.

* * *

وكانت أميلى برنت تجلس فى غرفتها وقد أرتدت ثوبا من الحرير الأسود، وراحت تقرأ فى الإنجيل فى انتظار موعد العشاء.

«وسيلقى بالكفار فى الهوة التى حفروها بأنفسهم، وستطأ أقدامهم الفخ الذى نصبوه، وسيكشف الرب عن نفسه يوم الحساب، وسيقع الأشرار فى الشراك التى نصبوها بأنفسهم ويلقى بهم فى النار».

وزمت شفتيها وأطبقت الكتاب المقدس. ونهضت. وعلقت على صدرها حلية من المرو وهبطت لتناول العشاء.

* * *

كان العشاء على وشك الانتهاء، وكان الطعام شهيا والشراب معتقا، وقام روجرز بالخدمة على أكمل وجه.

وكان المدعوون جميعا قد تخلوا عن قلقهم وجزعهم، وانطلقت ألسنتهم.

وكان مستر وورجريف القاضى قد تأثر من النبيذ الجيد فراح يتكلم ويرسل النكتة وراء النكتة فى سخرية لاذعة، وأخذ الدكتور أرمسترونج وأنتونى مارستون يصغيان إليه بسرور. وراحت مس برنت تثرثر مع الجنرال ماك أرثر وقد اكتشف كل منهما فى الأخر نقاطا مشتركة. أما مسز كلايتون فقد راحت تلقى على مستر دافيس أسئلة موضوعية عن أفريقيا الجنوبية. وكان دافيس يعرف هذا الموضوع كل المعرفة، وراح لومبارد يتابع حديثهما. ورفع عينيه مرة أو مرتين رقد قطب جبينه، وأخذ ينقل بصره حول المائدة خلسة وينظر إلى المدعوين الآخرين نظرة دارسة.

وفجأة، صاح أنتونى مارستون يقول: هذا عجيب!... أعنى هذه التماثيل الصغيرة.

فقد كانت هناك، فى وسط المائدة، صينية عليها بضعة تماثيل من الخزف.

وقال أنتونى: إنها تماثيل لهنود. جزيرة الهنود؟ لا ريب أن الفكرة آتية من هنا..

انحنت فيرا إلى الأمام وقالت: هذا صحيح، وإنه لأمر يدعو إلى الطرب. كم عددهم!... عشرة؟

ـ نعم. إنهم عشرة.

صاحت فيرا: أن منظرهم يثير الضحك. إنهم الهنود العشرة الذين تتكلم عنهم الأغنية... إنها مكتوبة فى رقعة من الرق داخل إطار فوق المدفأة، بغرفتى.

قال لومبارد: وهى موجودة فى غرفتى أنا أيضاً.

ـ وفى غرفتى كذلك.

ـ وكذلك فى غرفتى أنا.

وأجمع الجميع على ذلك. وقالت فيرا: فكرة غير عادية.

قال القاضى وورجريف متذمرا: بل قولى إنها فكرة صبيانية.

ألقت أميلى برنت نظرة إلى فيرا كلايتون. وردت هذه الأخيرة على نظرتها بإيماءة خفيفة من رأسها ثم نهضتا معا.

وفى الصالون، تناهت إليهما، من النوافذ الكبيرة المفتوحة، صوت الأمواج وهى تتكسر على الصخور. وقالت أميلى برنت: إننى أحب أن أسمع هدير البحر.



قالت فيرا فى لهجة جافة: أما أنا فأبغض ذلك كل البغض.

تأملتهـا مس برنت فى دهشة كبـيرة، واصطبغ وجه فيـرا عندئذ وقالت وهى تغالب انفعالها:

ـ لن يكون الجو جميلا هنا أثناء العاصفة.

وافقتـهـا أميلى برنت على رأيهـا وقالت: يجب أن يبقى البيت مـغلقاً أثناء الشتاء، وعلى كل حال فإن الخدم لن يقبلوا البقاء فيه.

تمتمت فيرا تقول: لا ريب أن من الصعب العثور على خدم يرضون البقاء هنا فى أى فصل من فصول السنة.

قالت أميلى برنت: يجب أن تعتبـر مسز أوليفر نفسها سعـيدة بحصولها على هذين الخادمين، فإن المرأة طاهية ممتازة حقا.

وفكرت فيرا فى نفسهـا: من العجيب أن الأشخاص المسنين يخلطون بين الأسماء فى أغلب الأحيان.

ثم قالت فى صوت واضح: أن مسز أوين محظوظة حقاً.

وكانت أميلى برنت قـد جاءت فى حقيبـتها اليدوية بقطعـة من القماهش لتطريزها فتوقفت الإبرة فى يدها وتحولت إلى زميلتها وقالت: أوين؟... هل قلت مسز أوين. نعم.

ـ إننى لم أسمع هذا الاسم قبل اليوم.

اتسعت عينا فيرا وقالت: ولكن...

ولم تتم عـبارتهـا، فقـد فتح البـاب وأقبل الرجـال إلى الصالـون. وكان روجرز فى أعقابهم، وفى يده صينية عليها أقداح القهوة.

وتقدم القـاضى وجلس بجوار أميلى برنت، وجلس أرمستـروفج بجوار فيرا. أما أنتونى مارستون فقد سار إلى النافذة المفتوحة وراح بلور يفحص تمثالا صغيرا وهو يتساءل إن كان يمثل امرأة.

وأولى الجنرال ماك أرثر ظهره للمدفأة وراح يداعب شاربه الأبيض. كان العشاء لذيذا، وكان يهنئ نفسه لأنه قبل الدعوة.

وراح لومبـارد يقلب صفحات مـجلة بانش، وكانت موضـوعة مع بعض المجلات الأخرى، فوق طاولة صغيرة بجوار الجدار.

وقدم الخادم أقداح القهوة إلى الجميع.



صفوة القول كان الجميع، بعد ذلك العشاء الشهى اللذيذ سعداء، مغتبطى من أنفسهم ومن الحيـاة. وكانت عقارب الساعة تشير إلى التـاسعة، وساد فى الصالون صمت... صمت كله سعادة وسرور.

وفى وسـط هذا الصـــمت ارتفع صـــوت، لم يكـن أى واحـد منـهم يتوقعه..صوت غريب قاطع. قال:سيداتى، سادتى، سكوت من فضلكم.

أجفل الجميع. وردد كل منهم البصـر حوله، يفحص جيرانه، ويحدق فى الجدران. من هذا الذى يتكلم؟

واستطرد الصوت يقول فى صوت واضح مسموع:

«إنى أتهمكم بالجرائم التالية:

«أدوارد جورج مـارستون، إنك تسـببت فى يوم 14 مارس سنة 1925 فى موت لويزا مارى جليز.

«اميلى كـاروسين برنت، أنك مـسئولة عن موت بيـاتريس تايلور التى ماتت فى 5 نوفمبر سنة 1931.

«وليـام هنرى بلور، إنك تسـببت فى موت جـيمس سـتيـفن لاندور فى العاشر من أكتوبر سنة 1928.

«فيرا اليزابيث كلايتون، إنك قتلت سيريل أوجيلفى هاملتون فى يوم 11 أغسطس سنة 1932.

«فيليب لومـبارد، إنك تسببت فى مـوت واحد وعشرين رجـلاً من إحدى قبائل أفريقيا الشرقية فى شهر فبراير سنة 1932.

«جون جـوردون ماك أرثر، إنك أرسلت عشـيق زوجتك أرثر ريتشـموند إلى الموت بكل هدوء فى 4 يناير سنة 1917.

«أنتونى جيمس مارستون، إنك قتلت فى 4 نوفمبر الماضى جون ولوسى كومبس.

«توماس روجـر وأيتل روجرز، أنكما تركـتما جنيـفر برادى تموت فى 6 مايو سنة 1929.

«لاورنس وورجريف، إنك حكمت بالموت على إدوارد سـتيون فى العاشر من يونيه سنة 1930.

«أيها المتهمون، ألديكم ما تدافعون به عن أنفسكم؟

وسكت الصوت.



وبعد لحظة من الصمت المطبق ارتفع صوت تحطيم أطباق. فقد أفلتت الصينية بما عليها من أدوات القهوة على الأرض.

وفى نفس اللحظة سمعوا صيحة فى البهو وصوت سقوط جسم.

وكان لومبارد أول من نهض، فأسرع إلى الباب وفتحه. وكانت مسز روجرز ممددة فوق الأرض، وقد تكومت حول نفسها.

ونادى لومبارد مارستون لكى يخف لمساعدته.

فأسرع إليه، وحمل الرجلان المرأة ونقلاها إلى الصالون.

وتدخل الدكتور أرمستروفج عندئذ، وقال بعد أن فحص المرأة:

ـ ليس بها أى شىء، مجرد أعياء بسيط. ستعود إلى رشدها.

وقال لومبارد عندئذ يخاطب روجرز: اذهب وأئت ببعض البراندى.

وخرج الخادم على الفور وقد أصفر لونه وارتعشت يداه، وصاحت فيرا: ولكن من الذى تكلم منذ لحظة؟... ومن هو صاحب ذلك الصوت؟ إننى أكاد أقسم.. أكاد أقسم.

وتمتم الجنرال ماك أرثر: ما الذى يدور هنا؟.. ما هذه المزحة السخيفة؟ وارتعشت يداه هو الآخر وتهدلت كتفاه، وبدأ كأنه شاخ عشر سنوات فجأة.

وراح بلور يجفف وجهه بمنديله.

أما القاضى وورجريف فقد ظل محتفظا بهدوئه هو ومس أميلى برنت. وكانت هذه الأخيرة جالسة معتدلة القامة وقد اضطرمت وجنتاها، واحتفظ القاضى بهيئته العادية وراح يحك أذنه فى رفق ولم يتحرك فيه غير عينيه، فقد راح يدور ببصره فى أرجاء الغرفة فاحصا منقبا.

وإذ رأى لومبارد الدكتور أرمستروفج مهتما بالمرأة تحول وقال رداً على سؤال مس كلايتون والجنرال ماك أرثر:

ـ كان الصوت يبدو صادراً من الغرفة التى نحن فيها.

صاحت فيرا: ولكن من الذى تكلم؟.. من؟.. لم يكن الذى تكلم واحداً منا على كل حال.

ودار لومبارد ببصره فى أرجاء الغرفة كما فعل القاضى. وتوقفت عيناه عند النافذة المفتوحة، وهز رأسه، وفجأة ومضت عيناه، وسار فى خطوات سريعة إلى باب بجوار المدفأة، يؤدى إلى الغرفة المجاورة، وأمسك بالأكرة فجأة وفتح الباب. وما أن اجتاز العتبة حتى أطلق صيحة مرحة وقال: آه. إننى وجدت



وانضم إليه الآخرون على الفور. وبقيت مس برنت مكانها.

كانت هناك منضدة بجوار الحاجز الخشبى الذى يفصل الغرفة عن الصالون، وعلى هذه المنضدة جراموفون من طراز قديم مجهز بسماعة قوية. وكان بالحاجز الخشبى نفسه بضعة ثقوب لكى يصل الصوت إلى الصالون.

وثبت لومبارد الإبرة فوق الأسطوانة، وعلى الفور سمعا الصوت يقول: «إننى أتهمكم بالجرائم التالية...».

صاحت فيرا: أوقفه.. أوقفه بالله!.. هذا فظيع!

وأطاعها لومبارد فى حين أطلق الدكتور أرمستروفج تنهيدة تدل على الارتياح وقال: هذه مزحة سخيفة.

سأله القاضى وورجريف بهدوء: إذن فأنت تظن أنها مزحة؟.. نظر الطبيب إليه مليا ثم قال: وماذا تريد أن تكون غير ذلك؟

داعب القاضى شفته العليا بأصبعه فى هدوء وقال: لست مستطيعا إبداء أى رأى فى الوقت الحالى.

وتدخل أنتونى مارستون فقال: إنكم نسيتم نقطة هامة. من الذى أدار الجراموفون بحق الشيطان؟

تمتم وورجريف: هذا صحيح. علينا أن نتحرى هذه النقطة.

وعاد إلى الصالون وتبعه الجميع.

وكان ووجرز قد دخل لتوه وفى يده كأس من البراندى.

وكانت مس برنت منحنية فوق مسز روجرز وكانت تئن وتتأوه، وتسلل روجرز بين المرأتين بكل لباقة وهو يقول: سيدتى، أسمحى لى أن أقول لها كلمة... أتيل... لا تنزعجى... أن الأمر مجرد مزحة سخيفة.. هل تسمعينني؟.. لا تراعى.

كانت مسز روجرز تتنفس فى صعوبة، وراحت تدور بعينيها المذعورتين فى الوجوه المحدقة بها. وعاد زوجها يقول فى إصرار:

ـ لا تنزعجى يا أتيل.. اطمئنى.

وتحدث الدكتور أرمستروفج إليها فقال مشجعا: سوف تشعرين بتحسن بعد لحظة يا مسز روجرز... إن الأمر مجرد دعابة.

ـ هل أغمى على يا سيدى.

ـ نعم يا مسز روجرز.



ـ ذلك الصوت.. ذلك الصوت الفظيع.. كما لو كان قاضيا.

وأصفر لونها من جديد وشردت عيناها وأسرع الدكتور يقول: أين البراندى؟

وكان روجرز قد وضع الكأس على منضدة صغيرة فناوله للطبيب الذى انحنى فوق المرأة الممددة.

ـ خذى يا سيدتى... اشربى هذا.

شربت جرعة وسعلت. وأصابها البراندى بخير كبير. وعاد اللون إلى وجهها، وقالت: إننى أحسن الآن.. لقد أصابتنى هذه المسألة بصدمة عنيفة.

قاطعها زوجها قائلاً: طبعا... وأنا أيضاً.. وقد وقعت الصينية منى. هذه أكاذيب شائنة، وأود لو أن أعرف...

وأخذ السعال بدوره، وكان سعالا حادا كاد يقطع أنفاسه. ونظر إلى القاضى وورجريف الذى راح يسعل ولكن بصورة أخف.

وسأله القاضى: من الذى وضع هذه الأسطوانة على الجراموفون؟ أهو أنت يا روجرز؟

قال روجرز محتجا: لم أكن أعرف أمرها يا سيدى. أقسم لك أننى لم أكن أعرف، ولو أننى عرفت لما أدرتها أبداً.

قال القاضى بصوت قاطع: أننى أريد أن أصدقك طبعا، ومع ذلك فإننى أحب أن تقدم لى بعض الإيضاحات.

جفف رئيس الخدم جبينه بمنديله وقال بكل صراحة: إننى إنما أطعت الأوامر يا سيدى.

ـ أية أوامر؟ أوامر مستر أوين.

قال القاضى فى إصرار: دعنا نوضح هذه النقطة قليلاً. ما هى الأوامر التى أصدرها مستر أوين إليك؟

ـ قال لى أن أضع أسطوانة على الجراموفون، وقد وجدت هذه الأسطوانة فى الدرج، وأدارت زوجتى الجراموفون بينما كنت أقدم القهوة.

تمتم القاضى يقول: هذه القصة تبدو لى عجيبة.

ـ ولكنها الحقيقة مع ذلك يا سيدى، وأقسم بذلك أمام الله. لم أشك فى أمرها لحظة واحدة. كانت على الأسطوانة كتابة، وقد ظننت أنها مقطوعة موسيقية كغيرها من الأسطوانات.



نظر وورجريف إلى لومبارد مستفهما وقال: هل يحمل هذه الأسطوانة عنوانا حقا؟

هز لومبارد رأسه وقال: هذا صحيح يا سيدى. إن عنوان هذه الأسطوانة هو «أغنية البجعة».

* * *

انفجر الجنرال ماك أرثر يقول محنقا: كل هذا غريب... وفظيع.. هل يمكن إلقاء مثل هذه التهم الشنيعة.. يجب أن نتصل فورا بمستر أوين هذا مهما يكن أمره وأن...

قاطعته مس برنت تقول ساخطة: ولكن من هو مستر أوين؟... هذا هو ما نريد أن نعرفه بالذات.

تدخل القاضى وتكلم بتلك السلطة التى اكتسبها طوال حياته التى قضاها فى المحكمة فقال:

ـ يجب أن نوضح هذه النقطة بالذات قبل أى شىء آخر. يحسن بك أن تمضى بزوجتك إلى فراشها يا روجرز ثم تعود بعد ذلك.

ـ حسنا يا سيدى.

وقال الدكتور أرمسترونج: سوف أساعدك يا روجرز.

واعتمدت المرأة على الرجلين، وغادرت الغرفة وهى تترنح.

وعندما خرجوا قال أنتونى مارستون: لا أدرى هل توافقونى على رأيى.. ولكننى سأشرب شيئاً.

قال لومبارد: وأنا أيضاً.

وقال أنتونى وهو يبتعد: سأحاول أن أبحث عن بعض الزجاجات.

وعاد بعض لحظة وهو يقول: ها هى ذى. إننى وجدتها على صينية بجوار الباب، كانت فى انتظارنا.

وألقى حمله فى هدوء وملأ الكئوس للجميع، وطلب الجنرال ماك أرثر والقاضى وورجريف قدراً أكبر من الشراب، فقد أحس كل منهما بأنه بحاجة إلى شراب منعش، أما أميلى برنت فقد كانت الوحيدة التى طلبت كوبا من الماء.

وعاد الدكتور أرمسترونج إلى الصالون بعد قليل، وقال:

ـ إننى أعطيتها مهدئا. آه. هل تشربون؟ أنا أيضاً أريد كأساً.



وملأ الرجال كئوسهم مرة أخرى. وجاء روجرز بعد لحظات. وتكفل القاضى وورجريف باستجوابه، ولم يلبث أن تحول الصالون إلى قاعة محكمة.

قال القاضى: أريد أن نعرف المعنى من كل هذا الآن يا روجرز.... من هو مستر أوين؟

أتسعت عينا روجرز وقال: ولكنه صاحب الجزيرة يا سيدى.

- نعم، نعم. ولكن ماذا تعرف عن ذلك الرجل؟

هز روجرز رأسه وقال: لا أستطيع أن أخبركم بأى شىء يا سيدى، لأننى لم أره أبداً.

بدت الدهشة على الجميع، وقال الجنرال ماك أرثر بدوره:

- لم تره أبداً؟.. ما هذا الذى تقول: لم يمر علينا هنا، أنا وزوجتى غير أسبوع واحد يا سيدى. وقد التحقنا بالعمل عن طريق مكتب للعمل... مكتب ريجينا ببليموث، وقد اتصل بنا كتابة.

هز بلور رأسه وقال: أنه مكتب معروف.

سأله وورجريف: أمعك هذه الرسالة؟

- رسالة الالتحاق بالعمل؟ كلا يا سيدى. إننى لم أحتفظ بها.

- استمر فى قصتك. التحقت بالعمل بواسطة رسالة إذن؟

- نعم يا سيدى. وقد حدد لنا المكتب اليوم الذى يجب أن نأتى فيه، وقد وجدنا هنا كل شىء على ما يرام، كمية كبيرة من التموين. وقد راق لنا على كل شىء، ولم نجد شيئاً نفعله فيما عدا إزالة التراب.

- وبعد ذلك؟

- لا شىء يا سيدى. جاءتنا تعليمات أخرى بواسطة خطاب.. أن نعد الغرف لاستقبال بعض المدعوين، ثم جاءنا الساعى بخطاب آخر من مستر أوين يقول لنا فيه أن عملاً قد احتجزه هو وزوجته، ويوصينى أن نبذل جهدنا أثناء غيابهما، وأعطانا فى نفس الوقت التعليمات اللازمة بخصوص العشاء وطلب منا أن نضع هذه الأسطوانة على الجراموفون أثناء تناول القهوة.

- لابد أن يكون هذا الخطاب معك بكل تأكيد؟

- نعم يا سيدى. أنه معى.

أخرج روجرز الخطاب من جيبه فأخذه القاضى منه ولم يلبث أن قال: آه. أنه يحمل عنوان فندق ريتز، وهو مكتوب على الآلة الكاتبة.



وعلى الفور كان بلور بجواره وقال له:

- هل تسمح بأن ألقى عليه نظرة؟

وأخذه من يد القاضى، وجرى عليه بعينيه ثم قال: أنه مكتوب على آلة كاتبة ماركة كورونيش... جديدة تماما، وليس بها أى عيب، على ورق تجارى عادى... أننا لم نتقدم خطوة واحدة، وقد نجد عليه آثار بصمات، وإن كنت أشك فى ذلك.

كان وورجريف ينظر إليه فى اهتمام مفاجىء، وكان أنتونى واقفا بجوار بلور، ينظر من فوق كتفه، فقال: أن مضيفنا له أسماء غريبة.. أوليك نورمان أوين..

أجفل القاضى وقال: مستر مارستون.. إننى أشكرك كثيراً، فقد لفت نظرى إلى نقطة لها معناها.

وألقى نظرة إلى الجماعة التى التفت حوله، وأقلع عنقه كالسلحفاة عندما تغضب، وقال: جاءت اللحظة لكى نجمع كل ما لدينا من معلومات، ومن الخير أن يذكر كل منا ما يعرفه عن صاحب هذا البيت.

واستطرد يقول بعد لحظة صمت: أننا جميعا مدعوون، ومن رأيى أن من المفيد أن يشرح كل منا الظروف التى جاءت به هنا.

وبعد لحظة صمت قالت أميلى برنت فى لهجة حازمة: أن فى هذه المسألة شيئاً غامضاً. جاءتنى رسالة تعذر على أن أقرأ توقيعها، وبدا لى أنها أتتنى بها امرأة التقيت بها منذ سنتين أو ثلاث على شاطىء البحر.. وخيل لى أن اسمها أوجدن أو أوليفر. والواقع أننى أعرف سيدة باسم أوليفر، كما أعرف سيدة أخرى باسم مسز أوجدن، ولكننى أستطيع أن أؤكد أننى لم ألتق أبداً بامرأة اسمها مسز أوين.

سألها القاضى عندئذ: هل احتفظت بهذا الخطاب؟

- نعم. سأصعد لكى آتى به.

وخرجت، وعادت بعد دقيقة ومعها الخطاب. وقال القاضى بعد أن قرأه:

- أننى بدأت أفهم... وأنت يا مس كلايتون.

وذكرت فيرا كيف التحقت بصفتها سكرتيرة لمسز أوين، فقال القاضى:

- وأنت يا مسز مارستون؟



أجاب أنتونى: جاءتنى برقية من صديق لى يدعى بادجر بركلى، وقد دهشت عندما أستلمتها لأننى كنت أعتقد أنه فى النرويج، وطلب منى فى هذه البرقية أن أسرع بالمجىء هنا.

هز القاضى المسن رأسه وقال: وما أنباؤك أنت يا دكتور أرمستونج؟

ـ إننى استدعيت هنا بداعى العمل.

ـ حسنا. ألم تكن على أية علاقة بأسرة أوين؟

ـ كلا. ذكر لى مستر أوين فى خطابه اسم أحد زملائى.

أومأ القاضى وقال: وبهذا بدأ لك الأمر معقولاً أكثر.. ولم تجد ما يكفى من الوقت طبعا لكى تتأكد من الأمر ومن هذا الزميل.

ـ كلا... كلا فى الواقع.

وكان لومبارد ينظر إلى بلور فاحصاً منذ وقت فصاح:

ـ اسمعوا... لقد أثارتنى فكرة.

رفع القاضى يده وقال: دقيقة واحدة. ولكن؟...

ـ لننصرف بترتيب ونظام يا مستر لومبارد. إننا نبحث الآن الأسباب التى استدعت وجودنا هنا الليلة. وأنت يا جنرال ماك أرثر؟

تمتم الجنرال وهو يشد على طرفى شاربه: جاءنى خطاب.. من ذلك المدعو أوين... حدثنى فيه عن أصدقاء قدامى قال إننى سألتقى بهم، ويعتذر لهذه الدعوة الغريبة شيئاً ما.. ولكننى أحتفظ بهذا الخطاب.

قال وورجريف: وأنت يا مستر لومبارد؟

ولم يكن ذهن لومبارد قد بقى جامدا، فهل يتكلم بكل صراحة. واتخذ قراره فجأة وقال:

ـ نفس القصة كالآخرين. كانت الدعوة تشير إلى بعض الأصدقاء المشتركين. وقد قبلتها على الفور. ولكننى مزقت الخطاب للأسف.

حول القاضى اهتمامه بعد ذلك إلى مستر بلور. وراح يداعب شفته العليا بسبابته وقال فى لهجة مهذبة: لقد مرت بنا محنة قاسية.. جاءنا صوت يبدو أنه من وراء القبور، ونادى كل منا باسمه تقريبا، واتهمه بتهمة سوف نتكلم عنها فيما بعد. ولكننى أهتم فى هذه اللحظة بنقطة أقل أهمية، فإن بين الأسماء التى سمعناها جاء اسم ويليام هنرى بلور، ولكن ليس بيننا أحد بهذا الاسم بقدر ما تعرف. غير أننا لم نسمع اسم دافيس، فما هو ردك على هذا يا مستر دافيس.



ـ ولماذا أخفى الحقيقة عنكم أكثر من ذلك. إن اسمى ليس دافيس.

ـ أنت ويليام هنرى بلور إذن؟ نعم.

تدخل لومبارد وقال: أرجو أن تسمحوا لى بكلمة، إنك لم تأت هنا باسم مستعار فحسب يا مستر بلور، ولكننى ضبطتك الليلة بالذات وأنت متلبس بالكذب، إنك تزعم أنك قادم من الناتال، ولكننى أعرف أفريقيا الجنوبية جيداً، وأنا مستعد بأن أقسم بأنك لم تضع قدمك فيها قط.

تحولت كل الأنظار إلى بلور... أنظار تنطق بالغضب والشك.

وتقدم أنتونى مارستون منه وقد تقبضت يداه وقال:

ـ هل لك أن تفسر لنا موقفك أيها الوغد؟

طرح بلور رأسه إلى الخلف، وشدد الضغط على فكيه ثم قال: إنكم مخطئون فى ظنونكم أيها السادة، إن معى أوراقى الشخصية وأستطيع أن أطلعكم عليها. إننى كنت أنتمى إلى قوة البوليس فيما سبق ، وأدير الآن مكتبا للأبحاث والاستقصاءات فى بليموث. وقد استدعيت هنا بصفة خاصة.

سأله وورجريف:

ـ ومن الذى استدعاك؟

ـ مسز أوين نفسه، وقد أرفق بخطابه مبلغا كبيراً وذكر لى التعليمات التى يجب أن أتبعها. كان على أن أختلط بالمدعوين، وقد أرسل لى قائمة بأسمائهم.. وطلب منى أن أراقب حركاتهم وتصرفاتهم.

ـ وما هو السبب الذى ذكره لك؟

أجاب بلور فى مرارة: مجوهرات مسز أوين. ولكننى لا أصدق ذلك الآن، بل إننى أتساءل إذا كان هناك وجود لمسز أوين أصلاً.

ومن جديد رفع القاضى سبابته إلى شفته وقال: إن استنتاجاتك تبدو لى معقولة. أوليك نورمان أوين!.. وفى الخطاب المرسل لمس برنت يتعذر قراءة اللقب، ولكن الحرفين الأولين من الأسمين واضحان تماما. أونا... نانس. والملاحظ أن الحروف الأولى فى كلتا الحالتين واحدة.. أوليك نورمان أوين.. أونا نانس أوين، أى أن فى كل مرة نجد أ. ن. أوين، أى أننا نستطيع أن ننطق الاسم بشىء من الخيال بحيث يكون أنوين، وهى كلمة معناها باللغة الإنجليزية «المجهول».

صاحت فيرا: ولكن هذا غريب... هذا جنون!



أومأ القاضى برأسه موافقا وقال: أنك على حق يا آنسة.. أنا واثق الآن أن الذى دعانا إلى هنا رجل معتوه... ولا شك فى أنه مجنون... بل إنه مهووس بالجريمة.

* * *

سادت لحظة من الصمت يشوبها الدهشة والفزع ثم عاد القاضى يقول: ننتقل بعد ذلك إلى المرحلة الثانية من التحقيق، وسأوضح الآن معلوماتى الخاصة أى المعلومات التى نملكها.

وأخرج خطابا من جيبه ألقاه فوق المائدة قائلاً: من المفروض أن هذه الرسالة جاءتنى من صديقة قديمة تدعى كونستانس كولمنجتون، وهى صديقة لم أرها منذ سنوات طويلة لأنها سافرت إلى الشرق. وقد استخدم كاتب هذه الرسالة أسلوبها الغامض المشوش لكى يدعونى للانضمام إليها هنا. وهى تحدثنى عن مضيفيها بعبارات مبهمة تماما. وأرجو الملاحظة أننا نجد فى هذه الرسالة نفس الطريقة التى نجدها فى الخطابات الأخرى والتى نستخلص منها أن كاتبها الذى اجتذبنا هنا فى هذه الجزيرة سواء كان رجلاً أو امرأة يعرفنا تماما. أو لعله جمع معلومات شاملة عن كل منا، فهو على علم بعلاقتى الودية بالليدى كونستانس كولمنجتون، ويعرف أسلوبها فى الكتابة، ويعرف زملاء الدكتور أرمسترونج، وعناوينهم الحالية، ويعرف الاسم المستعار لصديق مستر مارستون والطريقة التى يرسل بها برقياته عادة. ثم أنه يعرف المكان الذى قضت فيه مس برنت أجازتها منذ سنتين، وعادات الأشخاص الذين عاشرتهم، كما أن لديه معلومات عن الأصدقاء القدامى للجنرال ماك أرثر.

وأمسك عن الكلام لحظة ثم قال: وبهذا ترون أن مضيفنا يعرف الكثير عنا، وهذا ما سمح له بأن يوجه لنا تلك الاتهامات بالذات.

وكان أن أثارت هذه الملاحظة سيلا من الاحتجاجات، فقد صاح الجنرال ماك أرثر يقول: أن كل هذا ما هو إلا عبارة عن أكاذيب. ووشايات.

فصاحت فيرا كلايتون تقول بدورها: هذه كذبة... كذبة... أننى لم أرتكب أبداً أية جريمة.

وقال أنتونى مارستون متذمراً: إننى أتساءل ما الذى يهدف إليه هذا المجنون.

ورفع القاضى يده فعاد الهدوء إلى الغرفة، وقال وهو ينتقى كلماته:



- إننى أريد أن أدلى ببيان. أن صديقنا المجهول يتهمنى بأننى أرسلت المدعو سيتون إلى الموت. وإننى أتذكر هذا السيتون تماما، فقد مثل أمامى متهما بقتل امرأة عجوز فى يونيه سنة 1930. وقد عرف محاميه كيف يدافع عنه، وكان قد أحدث أطيب الأثر فى نفوس المحلفين. ولكن أتضح من أقوال الشهود أنه لم يكن هناك أى شك فى أنه هو الذى ارتكب الجريمة. وقد ركزت فى قرار الاتهام الذى قدمته إلى المحلفين على هذه النقطة، فأصدر المحلفون قرارهم بأنه مذنب وإذ حكمت على هذاالرجل بالإعدام فما كان ذلك إلا تأييداً لهذا القرار. وقد استأنف المتهم الحكم ولكن محكمة الاستئناف أيدته، وأعدم الرجل. وإننى أصرح أمام الله أننى فى ضميرى وفى أعماق نفسى مستريح، وليس هناك ما آلام عليه. وإذا كنت قد حكمت على هذا القاتل بالإعدام فقد قمت بواجبى ولا أكثر.

جمع أرمسترونج ذكرياته... قضية سيتون... لقد أثار صدور الحكم عليه بالإعدام الدهشة فى العالم أجمع. وقد تناول أرمسترونج العشاء فى اليوم السابق لصدور الحكم مع الأستاذ ماتيوز. وكان المحامى واثقاً كل الثقة فى أن الحكم سيصدر لصالح المتهم، ثم جرت الشائعات مجراها بعد ذلك، وقيل أن القاضى الكهل يعرف القانون معرفة وافية وخيل للجميع أنه أشبع انتقاما خاصاً من المتهم.

تسارعت كل هذه الذكريات فى ذهن الطبيب، وألقى السؤال التالى دون أى تفكير.

- هل كنت تعرف سيتون معرفة شخصية؟.. أعنى قبل القضية؟

استقرت عينا القاضى على أرمسترونج بضع لحظات ثم قال فى صوت جلى واضح: لم أعرف سيتون مطلقا قبل القضية.

ولكن الطبيب لم يسعه إلا أن يفكر ويقول: هذا الكهل الوغد كاذب، وإننى واثق من ذلك.

قالت فيرا كلايتون فى صوت متهدج: أريد أن أقول لكم شيئاً.. بخصوص الغلام سيريل هاملتون الذى كنت أشرف على تربيته.. كنا على ٨ شاطئ البحر، وكان ممنوعا من السباحة إلى مسافة كبيرة. وفى ذات يوم انتهز فرصة عدم انتباهى إليه وتجاوز الحدود المسموح له بها. وقد وثبت إلى الماء على الفور لكى ألحق به، ولكننى وصلت بعد فوات الأوان. وكان



ذلك فظيعا، ولكنني لم أكن مخطئة. وفى التحقيق تحقق القاضى من براءتى، وترفقت بى أم الطفل كثيرا ولم توجه إلى أى لوم، فلماذا يعيد ذلك الرجل إلى ذهنى هذا الحادث الفظيع.. هذا ظلم.. ظلم..

وانهارت الفتاة وقد أصابها الإعياء وطفقت تبكى.

وربت الجنرال ماك أرثر بيده على كتفها فى شىء من العزاء وقال: لا تبكى يا ابنتى ولا تراعى... إننا نعرف جميعا أن كل هذا كذب إنه رجل مجنون.. مختل العقل. مكانه مستشفى المجاذيب.

واعتدل الجنرال وربع كتفيه وصاح يقول: من الخير ألا نعلق أية أهمية على هذه الأكاذيب. ومع ذلك فإننى أقول لكم الآن أنه لا صحة اطلاقاً لهذه القضية حول.. حول الشاب أرثر ريتشموند. لقد كان ضابطا فى فرقتى، وقد أرسلته للاستطلاع، فقتله العدو.. وهذا أمر عادى تماما فى أوقات الحرب.. أما الذى أثار حزنى فهو هذا الايعاز المغرض حول سلوك زوجتى... أشد الزوجات اخلاصا ووفاء.

وجلس الجنرال ماك أرثر، وراح يشد شاربه بيد مرتعشة، فقد كلفه هذا البيان الشاق جهداً كبيراً.

وقال لومبارد ضاحك العينين: بخصوص هؤلاء الأهالى...

حثة مارستون قائلاً: حسنا؟

انفجر فيليب لومبارد ضاحكا وقال: هذه القصة صحيحة تماما. إننى تركتهم لمصيرهم.. كانت مسألة حياة أو موت، فقد ضللنا الطريق فى الغابة، وقد سرقت أنا وزملائى ما بقى من الزاد وهربنا.

أبدى الجنرال ماك أرثر سخطه قائلاً: كيف هذا؟.. هجرت رجالك؟.. وتركتهم يموتون جوعا؟

أجاب لومبارد: طبعا وأظن أن ذلك لم يكن عملاً جديراً منى، ولكن حب البقاء عند الرجل أقوى من أى شىء. ثم أن الزنوج لا يخشون الموت.. وهنا تختلف عقليتهم عنا نحن الأوروبيون.

رفعت فيرا رأسها وحدثت لومبارد وسألته: وتركتهم يموتون؟

أجاب لومبارد: نعم. تركتهم يموتون.

والتقت نظرته المرحة بعينى الفتاة المذعورتين.

* * *



قال أنتونى مارستون وهو بادى الحيرة:

ـ إننى تذكرت.. جون ولوسى كومبس.. لا ريب أنهما الطفلان اللذان صدمتهما بجوار كامبريدج... يا للحظ السيئ!

سأله القاضى وورجريف بحدة: بالنسبة لهما أو بالنسبة لك؟

ـ إذا أردت الحق فإننى كنت أتكلم عن نفسى. ومهما يكن فإنك على حق، فقد كان حظهما سيئا. ولكن كان ذلك مجرد حادث، فقد خرج الطفلان من بيتهما وهما يركضان. وسحب المسئولون الرخصة منى وحرمونى من القيادة لمدة سنة. وقد ضايقنى ذلك كل الضيق.

زجره الدكتور أرمسترونج بعنف قائلاً: أن السرعة المفرطة غير مقبولة... غير مقبولة اطلاقا. وأن الحمقى الذين من أمثالك يمثلون خطراً على الجمهور.

هز أنتونى كتفيه وقال: ولكننا فى عصر السرعة.. والطرقات الإنجليزية مملوءة بالمطبات، ولا يمكن السير فيها إلا كالسلحفاة.

وبحث عن كأسه، وأخذه من فوق المائدة، ومضى نحو البار وصب لنفسه بعض الويسكى والصودا ثم قال من فوق كتفه:

ـ عموماً لم تكن الغلطة غلطتى.. ولم يكن الأمر إلا مجرد حادث.

* * *

بلل الخادم روجرز شفتيه وراح يلوى يديه، ثم تكلم فى صمت حافل بالاعتبار والاحترام فقال: هل تسمحون لى أن أقول لكم شيئاً أيها السادة؟

أجابه لومبارد: أننا نصغى إليك يا روجرز.

تنحنح الخادم ومر بلسانه على شفتيه الجافتين مرة أخرى وقال:

ـ لقد ذكر الصوت منذ قليل اسمى واسم زوجتى وكذلك اسم مس برادى... وليس فيما قال ذرة من الحقيقة يا سيدى. لقد بقيت أنا وزوجتى فى خدمة مس برادى حتى موتها. وكانت دائمة الشكوى من صحتها. وفى الليلة التى زادت فيها حالتها خطورة كانت هناك عاصفة شديدة. وكان التليفون معطلا ولم نستطع الاتصال بالطبيب، فذهبت عندئذ لكى آتى به سيراً على الأقدام. ولكنه جاء بعد فوات الأوان. إننا بذلنا كل مًا فى وسعنا لإنقاذها وكنا مخلصين لها جدا. وسيقول لك الجميع ذلك يا سيدى. لم يحدث أن اشتكت منا أبدا... ولم توجه لنا أى لوم.

تأمل لومبارد وجه الرجل المتوتر وشفتيه الجافتين، والذعر البادى فى عينيه. وتذكر عندئذ الصينية التى وقعت من بين يديه وأحدثت ذلك الدوى الشديد. ولكنه تجنب الإشارة إليها مع ذلك.

وقال بلور بصوته المهنى الحاد: ألم توصى لك بشىء بعد موتها؟

أعتدل روجرز فى وقفته وقال ساخطا: لقد أوصت لنا بمبلغ من المال نظير إخلاصنا وتفانينا فى خدمتها... ولم لا؟

تدخل لومبارد عندئذ وقال: هلا حدثتنا عن نفسك يا مستر بلور؟

ـ عن نفسى؟

ـ نعم. فقد جاء اسمك بين القائمة.

اضطرم وجه بلور وقال: قضية لاندور... كانت تدور حول السطو على بنك لندن التجارى.

تحرك القاضى وورجريف فى مقعده وقال: إننى أتذكر هذه القضية على الرغم من أنها لم تعرض علي. لقد حكم على لاندور بناء على شهادتك يابلور. وأنت الذى توليت التحقيق بصفتك ضابط البوليس.

أجاب بلور: هو ذلك.

ـ وقد حكم على لاندوز بالأشغال الشاقة المؤبدة، ومات فى سجن دارتمور، فقد كانت صحته رقيقة.

قال بلور: كان ذلك الرجل لصا، وهو الذى صرع الحارس الليلى. ولم يكن هناك أى شك فى جرمه.

قال القاضى وورجريف فى بطء: وأظن أنك حصلت على تهنئة لمهارتك فى هذه المناسبة.

أجاب بلور: بل إننى حصلت على ترقية بالذات.

ثم أردف يقول فى لهجة خشنة: كل ما هناك أننى أديت واجبى.

ضحك لومبارد ضحكة كبيرة وقال: أننا هنا مجموعة من الناس لا هم لها إلا احترام القانون وحب الواجب باستثنائى أنا. وأنت يا دكتور حدثنا عن غلطتك الصغيرة... هل يدور الأمر حول عملية غير قانونية؟

نظرت أميلى برنت إلى لومبارد فى اشمئزاز كبير ورجعت بمقعدها إلى الخلف قليلاً. وقال الدكتور أرمسترونج وهو رابط الجأش: أعترف أننى لا أفهم شيئاً فى هذه القصة. والاسم لا يعيد إلى ذاكرتى أى شىء.. أكان

جليس... أو جلوس؟.. لا أتذكر حقاً أننى عالجت شخصا بهذا الاسم مات نتيجة علاجى بالذات. إن كل هذا بالنسبة لى سر غامض، ولكن المسألة قديمة جداً طبعا، ومن الجائز أنها تدور حول عملية فى المستشفى، فإن المرضى غالبا ما يأتون متأخرين جدا، وإذا مات أحدهم تتهم الأسرة الجراح دائما.

وهز رأسه وأطلق تنهيدة كبيرة، ولكنه كان يفكر فى قرارة نفسه ويقول: كنت ثملا.. وهذا كل ما هناك. وأجريت عملية جراحية لامرأة وأنا سكران. وكانت أعصابى ثائرة ويداى ترتعشان، وليس هناك أى شك فى أننى قتلتها. يا للمرأة المسكينة! كانت العملية الجراحية سهلة جدا، وكان من الممكن أن تنجح لو أننى لم أكن مخمورا. ولكن لحسن الحظ أن هناك ما اتفق على تسميته بسر المهنة. كانت الممرضة تعرف الحقيقة، ولكنها لزمت الصمت. كانت صدمة عنيفة بالنسبة لى. وقد تمالكت نفسى فى الوقت المناسب. ولكن من الذى استطاع أن يعرف هذ الأمر بحق الشيطان؟

خيم بالصالون صمت عميق. ونظر الجميع إلى إميلى برنت فى حذر تقريبا، وأدركت بعد لحظة أن الجميع ينتظرون منها أن تتكلم، فرفعت حاجبيها فوق جبينها الضيق وقالت: هل تنتظرون أن أقول لكم أنا الأخرى شيئاً؟.. ليس لدى ما أقول.

سألها القاضى: لا شىء؟

ـ كلا. لا شىء. وضغطت على شفتيها.

وداعب وورجريف وجهه بأصابعه وقال فى رفق: هل تنتظرين حتى تسنح الفرصة لكى تدافعى عن نفسك؟

ـ ليس هذا موضوع نقاش، فإننى أتصرف دائماً بما يمليه على ضميرى، وليس هناك ما ألام عليه.

ظهرت على جميع الوجوه خيبة أمل شديدة. ولكن أميلى برنت لم تكن لتهتم برأى الغير، وبقيت جامدة، هادئة الأعصاب.

وسعل القاضى مرة أو مرتين ثم قال: لقد تأجل التحقيق إلى وقت آخر. والآن، قل لى يا روجرز. هل هناك أحد آخر فى الجزيرة، بخلافك أنت وزوجتك؟ كلا يا سيدى.

- هل أنت واثق؟ كل الثقة يا سيدى.

- إننى لا أعرف شيئاً عن نوايا مضيفنا المجهول بعد... لماذا جمعنا فى هذا البيت؟ إننى أشعر بأن هذا الشخص، سواء كان رجلاً أو امرأة، لا يتمتع بكل قواه العقلية.

وأردف يقول بعد لحظة تفكير: ولكنه، مع ذلك، شخص لا يخلو من خطر. ونفعل خيراً إذا نحن غادرنا الجزيرة بأسرع ما يمكن. ما رأيكم فى أن نرحل الليلة بالذات؟

قال روجرز: ولكن لا توجد زوارق فى الجزيرة.

- لا توجد زوارق.! كلا يا سيدى.

- كيف الاتصال بالشاطئ إذن؟

- أن فريد فاراكوت يأتى هنا صباح كل يوم يا سيدى، فى زورقه البخارى... يأتى بالخبز واللبن والرسائل، ويأخذ الطلبات للموردين.

قال القاضى وورجريف:

- إذا كان الأمر كذلك فيجب أن نستقل جميعا زورق فاراكوت غداً.

ووافقه الجميع على رأيه فيما عدا أنتونى مارستون الذى قال: هذا نوع من الفرار يدل على الجبن، ومن رأيى أننا، قبل أن نغادر الجزيرة، يجب أن نبذل جهدنا لتفسير هذا الأمر... إن هذه المسألة أشبه برواية بوليسية مؤثرة جداً.

قال القاضى فى لهجة حادة: إننى لم أعد أهتم بالمؤثرات وقد بلغت هذه السن.

ضحك أنتونى ساخراً وقال: أن الحياة قصيرة، والمسائل الإجرامية تثير اهتمامى أنا، وإننى أشرب نخب القتلة...

ورفع كأسه إلى شفتيه وأفرغها مرة واحدة.

ولكن يبدو أنه أفرغها على عجل لأنه اختنق، وتوترت ملامحه وأحمرت وجنتاه، وحاول أن يأخذ نفسه، ولكنه هوى من فوق مقعده، وتدحرج كأسه فوق السجادة.

* * *

كانت الصدمة شديدة، ولم يكن يتوقعها أحد بحيث أصيب الجميع بالدهشة وظلوا مكانهم مذهولين. ينظرون إلى الجسد المنهار أمامهم.

وأخيراً هب الدكتور أرمسترونج من مقعده وجثا بجوار الشاب، ورفع رأسه، وتمتم يقول غير مصدق: رباه!... إنه مات.

ولم يفهم الآخرون قوله فى بادىء الأمر.

مات... مات... هذا الشاب الذى كان يتدفق قوة وصحة مات فى طرفة عين؟... ولكن الإنسان لا يموت هكذا فجأة، وفى مثل هذه السن. إن مجرد احتساء شراب الويسكى لا يمكن أن يقتل رجلا له مثل هذا البنية.

وفحص الدكتور أرمسترونج وجه الميت وشم شفتيه الزرقاوين المتوترين، ثم أخذ الكأس الذى شرب فيه مارستون.

وصاح الجنرال ماك أرثر: مات؟ أيمكن أن يكون قد اختنق.

أجاب الطبيب: من المؤكد أنه مات مختنقا.

وراح يشم الكأس من جديد. وبل أصبعه فى القاع ثم رفعه إلى طرف لسانه، وتغيرت ملامحه على الفور.

وتكلم الجنرال ماك أرثر من جديد فقال: لم أر فى حياتى رجلاً يموت بمثل هذه السرعة، من الاختناق.

وقالت أميلى برنت بصوتها الواضح: إن كلا منا عرضة للموت.

اعتدل الدكتور أرمسترونج وقال فجأة: كلا. إن الرجل لا يموت من مجرد الاختناق. إن موت مارستون ليس طبيعيا.

سألته فيرا فى صوت خافت: هل كان شىء... فى الويسكى؟

أجاب أرمسترونج: نعم. لا أستطيع أن أحدد نوع السم، ولكن كل شىء يحمل على الظن بأنه هو السيانور، وهو سم زعاف.

سأله القاضى: هل كان السم فى كأسه؟ نعم.

مضى الطبيب إلى المنضدة حيث توجد زجاجات الشراب. وأخذ من بينها زجاجة الويسكى وشمها، ثم ذاقها بلسانه، وفعل نفس الشىء مع زجاجة الصودا ثم قال وهو يهز رأسه.

- ليس فى هاتين الزجاجتين ما يثير أى شك.

سأله لومبارد عندئذ: هل تظن أنه هو الذى وضع السم فى كأسه؟

أجاب أرمسترونج دوّن اقتناع كبير: هذا ما يبدو.

وقال بلور: انتحار إذن؟.. هذه قصة عجيبة.



وتمتمت فيرا تقول في بطء: ما كان ليخطر لي أبداً أن رجلاً مرحا، في عنفوان الحياة مثله يقدم على الانتحار.. أنه، عندما هبط المنحدر بسيارته مساء اليوم بالذات بدأ كأنه... أوه...

ولكن الجميع خمنوا ما يدور في ذهنها، فإن أنتوني مارستون، في زهرة شبابه وعنفوان رجولته بدأ لهم كأنه مخلوق أبدي، وهو الآن جثة هامدة عند إقدامهم.

وقال الدكتور مارستون: هل تواجهون نظرية أخرى غير نظرية الانتحار؟

هز كل من الموجودين رأسه في بطء. لم ير أي أحد منهم حلاً آخر، فإن الزجاجات سليمة لم يضع أحد فيها شيئاً ما. ورأوا جميعا مارستون وهو يصب لنفسه الشراب، ومن هذا يتضح أنه لو كان هناك سم في كأسه حقا، فمعنى هذا أنه هو الذي وضعه.

ولكن لماذا انتحر أنتوني مارستون؟

وقال بلور في تفكير: كل هذا يبدو لي غير معقول يا دكتور، فإن مستر مارستون لم يكن بالرجل الذي ينتحر هكذا.

أجاب أرمسترونج: إنني أشاركك هذا الرأي.

وبقيت الأمور عند هذا الحد، فماذا كان في مقدورهم أن يفعلوا؟

وتعاون أرمسترونج مع لومبارد في حمل جثة مارستون إلى غرفة نومه وغطياه بملاءة.

وعندما هبطا كان الجميع قد التفوا في دائرة وهم يرتجفون على الرغم من دفء الجو.

وقالت أميلي برنت أخيراً: من الأوفق أن نمضي للنوم، فإن الوقت قد تأخر.

والواقع أن الوقت كان قد تجاوز منتصف الليل. ولم تكن نصيحة أميلي بعيدة عن الحكمة، ومع ذلك فإن كلا من الموجودين تردد، وبدأ كأنه يبحث عن عزاء في بقائه مع الآخرين، غير أن القاضي وورجريف رأى أن من الخير أن يقول: هذا صحيح. إننا جميعا بحاجة إلى النوم.

قال روجرز: ولكنني لم أرفع الأطباق عن المائدة بعد.

قال لومبارد في لهجة آمرة: سوف تفعل هذا غداً صباحاً.

وقال الدكتور أرمسترونج يسأل الخادم: هل تشعر زوجتك بتحسن يا روجرز؟



- سأصعد لكي أراها يا سيدي.

وعاد بعد دقيقة وقال: إنها غارقة في نوم هادىء يا سيدي.

قال الطبيب: حسنا. لا تزعجها إذن.

- كلا يا سيدي. سأرتب غرفة الطعام وأغلق الأبواب بالمفتاح ثم أمضي لأنام بعد ذلك.

واجتاز الردهة لكي يمضي إلى غرفة الطعام.

ومضى كل من المدعوين إلى غرفته على مضض.

ولو أنهم كانوا في قصر عتيق له سلالم وأرضيات خشبية تصدر صريراً كلما وطأها أحد، أركانه مظلمة، وسقوفه مائلة لملئوا رعبا، ولكن البيت كان حديثا. ليست به أية أركان مظلمة ولا ألواح خشبية متحركة، والنور الكهربائي يسطع من كل مكان به... كان كل شيء فيه جديداً براقا... لا يمكن أن يختبئ به أحد. كان يفتقر تماما إلى ذلك الجو الذي يطبق على البيوت القديمة المسكونة.

ومع ذلك فقد أحس الجميع فيه بخوف لم يستطيعوا له تفسيرا.

وتمنى كل منهم للآخر ليلة طيبة ثم دخل غرفته وأغلق الباب خلفه بالمفتاح.

* * *

راح القاضي وورجريف ينضو عنه ثيابه لكي يستلقي في فراشه.

كان يفكر في أدوارسيتون.

وارتسمت صورة المتهم أمامه في وضوح... رأى شعره الأشقر وعينيه الزرقاوين اللتين تحدقان فيه بصراحة. كانت هذه النقطة هي التي أحدثت أثرها في نفوس هيئة المحلفين.

أما المدعي العام فقد افتقر إلى اللباقة، وأراد في بيانه الفخم أن يثبت الكثير في حين أن ماتيوز، محامي الدفاع كان بارعا، عرف كيف يستجوب الشهود بحيث جاء الدفاع في صالح سيتون.

وقد أحسن سيتون نفسه التصرف وأحدث هدوؤه أطيب الأثر في نفوس المحلفين، وأعتقد ماتيوز أنه كسب المعركة.

كانت هذه القضية من القضايا التي استمتع بها أكثر استمتاع، فقد تفوق ماتيوز بدفاعه حقا، ولم يفلح ليلوين الذي تكلم بعده في إزالة الأثر الطيب الذي أحدثه محامي الدفاع.



ثم لخص وورجريف بعد ذلك القضية وأقوال شهود النفى وشهود الإثبات قبل أن ينسحب المحلفون للتداول.

وفى عناية كبيرة خلع القاضى طاقم أسنانه ووضعه فى قدح من الماء، وانطبقت شفتاه المتغضنتان فى قوة مما أكسب فمه سمة قاسية.

وخفض جفنيه وابتسم فى قرارة نفسه.

لقد أفلح على الرغم من كل شىء فى إنهاء حياة سيتون.

وصعد الرجل إلى فراشه وهو يلعن الروماتيزم الذى يعانى منه، وأدار مفتاح الكهرباء.

وقف روجرز فى غرفة الطعام وهو فريسة للحيرة.

كان ينظر إلى التماثيل الخزفية الموضوعة فى وسط المائدة.

وتمتم يقول محدثاً نفسه:

ـ هذا عجيب. أكاد أقسم أنه كانت هناك عشرة تماثيل.

راح الجنرال ماك أرثر يتقلب فى فراشه المرة بعد المرة.

كان النوم يجافيه دون أى شك. واستمر يرى فى الظلام ملامح أرثر ريتشموند.

لقد أحس نحو أرثر بتقدير صادق، وبحب فى نفس الوقت. واغتبط وهو يرى الود الذى تبديه زوجته نحوه.

كانت هذه الأخيرة متقلبة الأطوار، فكم من الشبان افتتنت بهم ونعتتهم بأنهم مخبولون... كانت هذه كلمتها الأثيرة.

ولكن أرثر ريتشموند لم يكن مخبولا أبداً بالنسبة لها، فقد تآلفا على الفور بمجرد أن رأى كلا منهما الآخر وراحا يتناقشان معا فى المسرح والموسيقى. كانت تنكد عليه وتداعبه وتغضبه. ولم يرق لماك أرثر الاهتمام الأموى الذى تبديه زوجته لذلك الشاب.

وباله من اهتمام أموى. أكان من الحماقة بحيث لم يفهم أن ريتشموند فى الثامنة والعشرين وأن ليزى فى التاسعة والعشرين.

لقد أحب ماك أرثر زوجته، وفى هذه اللحظة بالذات كان يرى قسمات ليزى ووجهها الذى له شكل القلب. وعينيها الرماديتين العميقتين. نعم. إنه أحبها ووضع فيها ثقة عمياء.



وهناك، فى الجبهة الفرنسية، فى وسط المعمعة، كان يفكر فيها ويتأمل فى أغلب الأحيان صورتها، وكان يحتفظ بها فى جيبه.

وذات يوم، اكتشف كل شىء.

حدث هذا كما يحدث فى الروايات... رسالة وضعت خطأ فى المظروف الخطأ. كانت ليزى قد كتبت رسالتين للرجلين، ووضعت الرسالة الغرامية التى كتبتها لريتشموند فى المظروف الخاص بزوجها، ومازال ماك أرثر حتى الآن، وبعد مضى كل هذه السنوات الطويلة يتألم كلما تذكر هذه المسألة.

كانت علاقاتهما الآثمة ترجع إلى وقت طويل... وكانت رسالتها تشهد بذلك، فقد كانا يتلاقيان فى أواخر الأسابيع.. وقد التقيا فى آخر أجازة حصل عليها ريتشموند.

ياله من وغد!.. وبالابتسامة الخادعة... وتصرفاته المهذبة نعم يا سيدى الجنرال، ياله من كاذب ومرائى، سارق للزوجات.

لقد غضب أشد الغضب، ولكنه احتفظ بمشاعره لنفسه وبدأ هادئاً ولم يظهر شيئاً مما يعتمل فى أعماقه. حاول أن يحتفظ نحو ريتشموند بنفس موقفه السابق.

فهل أفلح فى ذلك؟ ربما. لم يشتبه ريتشموند فى شىء على كل حال. ومزاجه المتغير كان يمكن تفسيره بسهولة فإن أعصاب الرجال فى الميدان كانت لا تتحمل أى شىء. لاريب أن هذا المدعو أرميتاج فهم نواياه عندما جاء اليوم المناسب. فقد أرسل ماك أرثر ريتشموند إلى الموت برباطة جأش كبيرة.. وما كانت لتعيده سالما إلا معجزة. ولكن هذه المعجزة لم تقع. نعم، أنه أرسل ريتشموند إلى الموت وهو لا يندم على شىء. ولم يكن هناك أسهل من ذلك، فإن مثل هذه الأخطاء تقع كل يوم، وحياة الرجال لا قيمة لها أثناء الحرب وسوف يكتفون بالقول فيما بعد بأن الجنرال ماك أرثر لم يكن متمالكاً لأعصابه وأنه ارتكب هفوة ضخمة وضحى بخير رجاله. وسيكون هذا كل شىء.

ولكن الأمر كان مختلفا كل الاختلاف عند أرميتاج، فإن هذا الشاب كانت له طريقة غريبة فى النظر إلى رئيسه، ولا ريب أنه كان يعرف أنه أرسل ريتشموند لملاقاة الموت عمداً.

فهل تكلم أرميتاج بعد أن انتهت الحرب؟



لم تكن ليزى على علم بأى شىء.. إنها بكت عشيقـها طبعا. ولكن حزنها كان قد تبخـر عندما عاد زوجها إلى إنجلتـرا. ولم يشر أبداً إلى خيانتـها له. وعادت الحياة بينهـما إلى مجراها الأول... ربما فيـما عدا أن ليزى فقـدت فى عينى ماك أرثر طهارتها. وبعد ثلاث سنوات من الهدنة ماتت على أثر نزلة شعبية حادة.

ولكن كل هذا يمت الآن إلى ماض بعيد. خمس عـشرة سنة كان قد هجر الجيش واعتزل فى اقليم ديفون واشتـرى البيت الصغير الذى كان يحلم به منذ وقت طويل... الجـيران ظرفاء، والمنظر جـميل، ومن وقت لآخـر يخرج للصيد وللكنيسة.

أظهر له الجـميع عطفا كـبيرا.. علـى الأقل فى البداية. وبعد ذلك خـامره إحساس بغيض بأنهم يتكلمون خلف ظهره وأنهم ينظرون إليه شذرا كما لو أنهم عرفوا شيئاً كانت الأنباء قد انتشرت.

أرميتاج؟.. لعل أرميتاج هو الذى تكلم.

إنه تجنب الجـميع بعـد ذلك وأنزوى فى برجه العـالى، فإنه ليشق على المرء أن يرى نفسه محل اغتياب.

كانت هذه الحـقائق تتلاشى وتمـحى شيئاً فشيـئاً، واختـفت ليزى فى ماض بعيد، وكذلك ريتشموند، فما الذى يهمه الآن؟

ومع ذلك فقـد قضى حيـاته فى عزلة تقريبـا. وبلغ به الأمر إلى أنه راح يتحاشى رفقاء السلاح.

لو أن أرميتاج هو الذى تكلم فمعنى هذا أنهم يعرفون كل شىء.

وها هو صوت جاء الليلة من وراء القبور وأعلن الحقيقة.

هل اتخذ مـوقفاً مناسـبا؟.. هل ارتجفت شـفته العليـا؟ هل أبدى سخطا واشمئزازاً بما فـيه الكفاية؟.. أو خانته أعصابه وأدانه جـرمه؟.. أسئلة كلها شديدة الحرج.

لم يحمل أى أحد من المدعوين هذا الاتهام محمل الجد طبعا، فإن الصوت نطق بتهم فظيعة بعيدة عن التصديق؟ ألم يعتب مثلاً على تلك الفتاة الظريفة بأنها أغـرقت طفلا؟ هذا سخف طبعـا... لا شك أنه مجنون يستمـتع بإلقاء التهم على الغير جزافا.

أمـيلى برنت!.. بنت أخ صـديقـه فى الجـيش توم برنت... أن الصـوت اتهمها هى الأخرى بارتكاب جـريمة قتل. كان من الواضـح لكل ذى عينين



أن هذه التهمة كاذبة خصوصاً وأن المرأة تقية ورعة وتختلف إلى الكنيسة بانتظام.

يالها من مسألة بغيضة... جنون مطبق!

منذ قدومهم إلى الجزيرة.. ولكن بهذه المناسبة، منذ متى وهم هنا؟.. أنهم هبطوا إليها بعد ظهر اليوم نفسه، ومع ذلك فقد بدأ له أن الوقت طويل جداً.

وتساءل متى يمكنه أن يغادر جزيرة الهندى.

غداً بكل تأكيد... عندما يأتى الزورق البخارى.

غريب!.. إنه فى هذه اللحظة بالذات لم يعد يريد مغادرة الجزيرة. ولا يرد العودة إلى بيته الصغير وإلى مشاكله ومتاعبه... وجاءه من النافذة المفتوحة صوت الأمـواج وهى تتكسر على الصـخور، وقـد زادت الآن حدتة عن ذى قبل، ثم أن العاصفة توشك أن تهب.

وفكر الجنرال. أصوات رتيبـة ومكان هادىء. أن مزية الجزيرة تكمن فى استحالة المقيم بها أن يذهب إلى مكان بعيد. إنه جاء إلى آخر الدنيا.

وفجاة، رأى أنه لم يعد يريد مغادرة هذه الجزيرة.

استلقت فيرا كلايتون على فـراشها وراحت تحدق فى السقف، وكانت قد خافت الظلام فلم تطفىء مصباحها.

وكانت تفكر فى هوجو.. هوجـو.. لماذا أنت قريب منى الليلة هكذا؟ قريب جداً منى.

أين هو الآن؟.. لا أدرى. لن أعرف ذلـك أبداً. فجأة، اخـتفى من حـياتى.. فجـأة. ولكن ما الداعى لتـقليب هذه الذكريات. أن هوجو يـملأ كل أفكارها. كانت تحلم به دائماً... ولن تنسه أبداً.

كورنواى، والصـخور السوداء والرمل الأصـفر الربيع، ومـدام هاملتون الطيبة البدينة شيئاً ما، وسيريل الصغير الذى يلوى يديه دائماً وهو يبكى.

«أريد أن أسبح حتى الصخـرة يامس كلايتون. لماذا تمنعينني من الذهاب إلى هناك؟».

كل مرة ترفع عينيها كانت ترى هوجو وهو ينظر إليها.

ففى الليل، عندمـا يأوى الصغير سـيريل إلى فراشه يرجـوها هوجو أن تخرج معه قائلاً: هلمى بنا نتمشى معا يا مس كلايتون.

ـ حسنا.. كما تشاء.



كانت نزهتهما العادية عند الشاطىء دائماً... ضوء القمر.. وهواء الأطلنطيك الدافىء.

وكان هوجو يطوقها من خصرها ويقول: إننى أحبك.. أحبك يا فيرا... لو تعلمين كم أحبك.

كانت تعرف ذلك.. أو على الأقل كان يخيل لها أنها تعرف.

ـ إننى لا أجرؤ أن أطلب يدك، فلست أملك أية ثروة، بل إننى لا أملك إلا ما يكاد يسد رمقى وحدى، ومع ذلك، فقد رحت أغذى الأمل ثلاثة شهور فى أن أكون ثريا.. فإن سيريل لم يولد إلا بعد وفاة أبيه بثلاث شهور. ولو أنه كان طفلة..

لو أن الطفل كان من الجنس الآخر لورث هوجو اللقب والثروة طبقاً للقانون الإنجليزى، وقد اعترف لها بخيبته الكبيرة.

ـ الواقع أننى لم أكن أتوقع هذا الأمر كثيراً، ولكننى أصبت بصدمة على كل حال، وأنت تعرفين أن كل شىء فى الحياة يقوم على الحظ..

وأن سيريل طفل جميل أحبه كثيراً.

وكانت هذه هى الحقيقة الحقة، فإن هوجو كان يعبد سيريل، وكان يلبى له كل رغباته.. وكانت طيبته العادية لا تعرف أى حقد.

وكان سيريل الصغير ضعيف البنية.. لا يستطيع المقاومة، ولن يعيش طويلاً، كما تدل الظواهر.. وإذن؟

ـ مس كلايتون... لماذا تمنعيننى من السباحة حتى الصخرة؟

هذا السؤال الدائم المحنق المستمر.

ـ ولكن الصخرة بعيدة جداً يا صغيرى سيريل.

ـ ولكن.. دعينى أجرب يا مس كلايتون.

وثبت فيرا من فراشها وأخذت من درج الطاولة ثلاثة أقراص من الأسبرين ابتلعتها وهى تفكر. «لو أن لدى منوما قويا لفرغت من هذه الحياة التعيسة... أود لو أن أتناول جرعة قوية من الفيرونال.. أو من أى شىء آخر.. ولكننى لا أحب السيانور».

وارتجفت عندما تذكرت وجه أنتونى مارستون المتشنج.

وبينما هى تمر أمام المدفأة نظرت إلى الرقعة التى بها أغنية الأطفال الهنود وقرأت: «عشرة أطفال مضوا لتناول العشاء.



أختنق أحدهم ولم يبق منهم إلا تسعة.

وقالت تحدث نفسها: هذا فظيع.. «هذا هو ما حدث الليلة.

لماذا انتحر أنتونى مارستون؟

لم يكن فى نية فيرا أن تنتحر أبداً.

كانت تطرح عن ذهنها فكرة موتها.. الموت.. أنه خير للآخرين.

* * *

كان الدكتور أرمسترونج يحلم.

كان الجو خانقا جداً فى غرفة العمليات، وكان وجهه يتفصد بالعرق، ويداه نديتين لا تجيدان استخدام المشرط.

وكان المشرط حادا بصورة غريبة.

من السهولة بمكان ارتكاب جريمة قتل بمثل هذا السلاح الحاد. وفى هذه اللحظة بالذات كان يقتل مخلوقا بشريا.

وبدت له جثة ضحيته مختلفة. لم تكن تلك المرأة البدينة الكسيحة، وإنما امرأة أخرى نحيفة لم يكن يرى وجهها.

ولكن من هى تلك التى كان يجب أن يقتلها؟

إنه لم يعد يذكر، ومع ذلك فقد كان لابد له من أن يعرف. ماذا لو أن يسأل المرضة؟..

ولكن هذه الأخيرة كانت تراقبه، كلا، لن يسألها شيئاً، فقد كان يرى الشك فى عينيها.

ولكن من هذه المرأة الممدة فوق مائدة العمليات؟..

ولماذا أخفوا وجهها؟

لو يستطيع أن يراها فحسب!

آه. أخيراً.. لقد سحب المعاون المنديل من فوق وجهها.

أميلى برنت طبعاً. ما أشد ما تبرق عيناها بالخبث. أنها تحرك شفتيها فماذا تقول؟.. إن كلا منا عرضة للموت وهو فى أوج الحياة.

كان يقول للممرضة: كلا يا آنسة. لا تغطى وجهها بالمنديل. يجب أن أرى وجهها وأنا أعطيها المخدر. أين زجاجة الأثير؟ أننى جئت بها معى، فماذا فعلت بها يا آنسة؟

أرجوك يا آنسة.. ارفعى هذا المنديل.

آه!.. كنت أعرف تماما أنه أنتونى مارستـون. أن وجهه أحمر ومتشنج. ولكنه ليس ميتا... أنه يضحك ساخراً. أقسم لك أنه يهزل. بل إنه يهز مائدة العمليات.

«ولكن حذار يا صاحبى حذار. أمسكيه جيداً يا آنسة..»

وأستيقظ الدكتور أرمسترونج مفزوعا. كان الوقت صباحا والشمس تملأ الغرفة. وكـان هناك شخص منحن فوقه ويهزه. كان روجـرز الخادم، وقد انقلبت سحنته. وكان يناديه قائلاً:

ـ دكتور.. دكتور.

فتح الطبيب عينيه على سعتهما وجلس فوق الفراش وهو يقول فى حدة: ما الخير؟

ـ زوجتى يا دكتور.. لا أستطيع إيقاظها.. إننى حاولت كثيراً، ولا ريب أن هناك شيئاً خطيراً.

وثب الدكـتور أرمـسـتـرونج من الفراش وارتدى الروب دى شـامبـر وتبع روجرز، وانحنى فوق الفراش الذى ترقد عليـه مسز روجرز، فى هدوء وأخذ يدها الباردة، ورفع جفنها. وبعد بعض لحظات اعتدل وابتعد عن الفراش.

وتمتم روجرز يقول: هل.. هل هى؟

ومر بلسانه على شفتيه الجافتين.

أومأ أرمسترونج برأسه علامة الإيجاب وقال: لقد انتهى كل شىء مع الأسف.

حدق الطبـيب فى الرجل الذى أمامه فى تفكيـر. ومضى كل منهمـا نحو الطاولة الصغيرة الموجودة بجـوار الفراش ثم نحو طاولة الزينة، وعادا بعد ذلك بجوار المرأة الهامدة. وقال روجرز: أهو... أهو قلبها يا دكتور؟

تردد الدكتور أرمسترونج بضع لحظات قبل أن يتكلم فقال:

ـ روجرز، هل، هل كانت تتمتع زوجتك بصحة جيدة؟..

ـ كانت تشكو قليلاً من الروماتيزم يا دكتور.

ـ هل استشارت طبيباً فى الأيام الأخيرة؟

اتسعت عـينا روجرز وقـال: طبيب؟.. إننا لم نذهب إلى أى طـبيب، لا أنا ولا زوجتى، منذ سنوات.

ـ ليس هناك ما يحملك على الافتراض بأنها تشكو من قلبها إذن؟

ـ هذا صحيح يا دكتور. إننى لا أعرف شيئاً.

سأله أرمسترونج: هل كانت تنعم بالنوم؟

تجنبت عينا الخـادم نظرة الطبيب الثاقبـة وراح يلوى يديه فى ارتباك ثم قال: الواقع أنها لم تكن تنعم بالنوم أبداً.

ـ هل كانت تتناول شراباً لكى يساعدها على النوم؟..

بدت الدهشة على روجرز وقال: شرابا؟.. لكى تنام؟.. كلا، بقدر ما أعلم.. بل أننى واثق أنها لم تكن تتناول شيئاً.

عاد أرمستـرونج إلى مائدة الزينة حيث توجد قوارير كثيـرة.. ماء لغسيل الشعر وكولونيا وجلسرين ومعجون أسنان...

وفتح روجرز أدراج مائدة الزينة وأدراج الطاولة، ولكنهما لم يكتشف أى أثر لمخدر سواء كان سائلاً أم أقراصا.

وقال روجرز: أنها لم تأخذ أمس إلا ما أعطيته أنت لها يا دكتور.

* * *

وفى الساعة التاسعة، عندما دق جرس الإفطار، كان جميع المدعوين على استعداد، ولا ينتظرون إلا هذا النداء.

كـان الجنرال ماك أرثر والقـاضى وورجريـف يتمـشيـان فى الشرفـة ويتبادلان الحديث بخصوص الموقف السياسى.

وكانت فيرا كـلايتون وفيليب لومبارد قد صعـدا إلى قمة الجزيرة، خلف البيت، وهناك وجدا ويليام هنرى بلور واقفا ينظر إلى الشاطئ.

وقال عندما رآهمـا: لا أرى الزورق. أننى واقف منذ بعض الوقت ولكننى لم أر له أثراً.

وقالت فيرا وهى تبتـسم: أن الأهالى ينامون إلى الضحى فى هذا الأقليم، واليوم يبدأ متأخراً.

وكان فيليب لومبارد يتأمل الماء فقال فجأة: ما رأيكما فى الجو؟

رفع بلور عينيه إلى السماء ثم قال: سيكون الجو جميلاً اليوم على ما أعتقد.

أطلق لومبارد صفيراً من بين شفتيـه ثم قال: ستهب العاصفة قبل هبوط الليل.

قال بلور: العاصفة؟

وسمعوا صوت الجرس فقـال لومبارد: ها هو جرس الافطار. إن شهيتى مفتوحة اليوم.



وفيما هم يهبطون المنحدر قال بلور يخاطب لومبارد فى شىء من القلق: أننى مازلت مندهشاً. لماذا انتحر هذا الشاب مارستون؟.. إن هذه المسألة أقضت مضجعى طوال الليل.

وكانت فيرا تمشى فى المقدمة قليلاً فأبطأ لومبارد الخطأ وقال:

ـ ألديك فكرة أخرى غير الانتحار؟

ـ لابد لى من أدلة، ودافع أولاً. أظن أن هذا الشاب المتغندر ثرى جداً.

وخرجت أميلى برنت من النافذة الكبيرة وأقبلت للقائهم وسألتهم:

ـ هل أتى الزورق؟

أجابت فيرا: ليس بعد.

ودخلوا قاعة الطعام، وعلى المائدة رأوا طبقا كبيراً من البيض بالجمبون، وشايا وقهوة.

وكان روجرز قد فتح لهم الباب فأغلقه خلفهم. وقالت أميلى برنت:

ـ إن هذا الرجل يبدو مريضاً هذا الصباح.

ووقف الدكتور أرمستروفج بجوار النافذة وتنحنح ثم قال:

ـ يجب أن نظهر شيئاً من السماحة من أجل الخدمة هذا الصباح، فإن روجرز اضطر وحده أن يعد الإفطار، وبذل كل ما فى وسعه. إن مسز روجرز... لم تستطع أن تفعل شيئاً هذا الصباح.

قالت أميلى برنت: مسكينة هذه المرأة.. ماذا دهاها؟

تظاهر الدكتور أرمستروفج بأنه لم يسمع سؤالها وقال فى هدوء: هلموا بنا إلى المائدة قبل أن يبرد البيض. وسنناقش معا أموراً كثيرة فيما بعد.

وتبنى الجميع رأيه. والتفوا حول المائدة، وراحوا يتناولون إفطارهم.

وباتفاق عام لم يشر أى منهم إلى أحداث جزيرة الهندى، ولكنهم تحدثوا عن الأحداث التى تدور فى العالم، وعن الرياضة.

وعندما فرغوا من الطعام أرتد أرمستروفج بمقعده إلى الخلف قليلاً وتنحنح ليثير الانتباه إليه ثم قال: رأيت أن من الأوفق أن ننتظر حتى نفرغ من الطعام قبل أن أطلعكم على هذا النبأ السيئ: أن مسز روجرز ماتت أثناء الليل وهى نائمة.

أجفل الجميع وانطلقت صيحاتهم، وقالت فيرا: ولكن هذا فظيع... ميتتان فى الجزيرة منذ مجيئنا!



وضاقت عينا القاضى وورجريف وقال فى صوت خافت وفى وضوح:

ـ آه. هذا أمر غريب. هل تعرف سبب الموت؟

هز أرمستروفج كتفيه وقال: من المستحيل أن أعرف من أول نظرة.

ـ هل ستقوم بالتشريح؟

ـ لن أستطيع أن أعطى تصريحا بالدفن قبل هذا الإجراء على كل حال، فإننى لا أعرف أى شىء عن الحالة الصحية لمسز روجرز.

قالت فيرا: كانت تبدو عصبية جداً. وقد أصيبت بأزمة عنيفة أمس. ومن رأيى أنها ماتت بسبب أزمة قلبية.

أجاب الطبيب فى حدة: طبعا. لقد خذلها قلبها، ولكن ما الذى تسبب فى خذلانه؟ هذا هو السؤال.

أفلتت كلمة من بين شفتى أميلى برنت فقد قالت: ضميرها.

تحول أرمستروفج إليها وقال ماذا تعنين يامس برنت؟

أجابت هذه الأخيرة وقد زمت شفتيها: أنك سمعت. اتهمها الصوت هى وزوجها بأنهما قتلا مخدومتهما الأخيرة، وهى امرأة مسنة.

ـ إذن فأنت تصدقين ذلك؟

ـ نعم، أظن أن التهمة ثابتة، وقد رأينا أمس مسز روجرز تنهار وتفقد الوعى. أنها لم تتحمل اكتشاف جريمتها.

هز الدكتور أرمستروفج رأسه فى استنكار وقال: أن نظريتك هذه قد تكون مقبولة، ولكننا لا نستطيع قبولها مع ذلك بدون أن نعرف إذا كانت هذه المرأة مصابة بالقلب حقا.

قالت أميلى برنت فى هدوء شديد: إذا شئت، يمكنك أن تقول أن موتها هذا عقاب إلهى!

أستنكر الجميع قولها، وقال مستر بلور فى شىء من الضيق: أنك تبالغين شيئاً ما يامس برنت.

نظرت الفتاة العانس إليهم بعينين براقتين وقد رفعت ذقنها وقالت: هل ترون أن من المستحيل أن ينزل الله غضبه على القوم الآثمين؟

حك القاضى ذقنه وتمتم فى سخرية: أن التجربة علمتنى أن العناية الإلهية تعهد إلينا نحن القائمين بمهمة معاقبة الأشرار، ومهمتنا هذه تحف بها آلاف الصعوبات أحيانا ولا يمكن أن تكون عاجلة.

هزت أميلى برنت كتفيها فى حين قال بلور: ماذا أكلت وشربت أمس عندما أوت إلى فراشها؟

أجاب أرمسترونج: لا شىء.

ـ هل تؤكد أنها لم تتناول شيئاً؟.. ولا حتى قدحا من الشاى.

ـ ولكن روجرز يؤكد أن زوجته لم تتناول شيئاً على الإطلاق.

أجاب بلور فى لهجة غريبة بحيث أن الطبيب رماه بنظرة: طبعا. أنه يستطيع أن يقول ما يريد.

قال فيليب لومبارد يخاطب بلور: أهذا رأيك؟

ـ ولم لا. إننا سمعنا جميعا هذا الاتهام مساء أمس. قد تكون مزحة قذرة اتى بها مجنون ولكن من يدرى. لنفترض لحظة أن التهمة صحيحة.. قتل روجرز وزوجته مخدومتهما وتصورا أنهما فى أمان، وهنأكل منهما الآخر على هذا الحظ السعيد.

قاطعته فيرا قائلة فى صوت أجش: كلا، لم يكن يبدو على مسز روجرز أنها آمنة مطمئنة.

وساء بلور هذه المقاطعة، فنظر إلى الفتاة كما لو كان يقول: هذه هى النساء. واستطرد يقول: ربما. على كل حال لم يكن روجرز أو زوجته يتوقعان أى خطر عندما ارتفع الصوت الغامض وفضح أمرهما. ما الذى حدث عندئذ؟ انهارت المرأة وفقدت الرشد. هل لاحظتم جزع زوجها وحرصه على ألا يدعها وحدها عندما عادت إلى الوعى. كان يدفعه إلى ذلك شىء آخر غير اهتمام الزوج. خيل لى أنه كالقط على جمر النار. كان يخشى أن تكشف سرهما.

«هذا ما وصلنا إليه إذن. ارتكب هذان الزوجان جريمة قتل وخرجا منها دون أى ضرر، ولكن ماذا يحدث لو أن أمرهما انكشف؟ كل الاحتمالات تقول أن المرأة لن تحتم ولن تستطيع أن تكذب حتى النهاية، وبذلك تصبح خطراً دائماً على زوجها. أما هو فيدفعه الذكاء إلى مواجهة الموقف، ولكنه يظل على حذر من زوجته، فإنها إذا تكلمت يعرض نفسه لحبل المشنقة، وإذن.. إن الأمر سهل جداً، ما عليه إلا أن يدس سما زعافا فى قدح من الشاى فيطبق بذلك فم زوجته إلى الأبد.

سادت لحظة صمت، ثم تكلم الجنرال ماك أرثر فقال: يشق على أن أصدق أن يتصرف أى رجل هكذا مع زوجته.

قال بلور: عندما يرى الرجل أن حياته فى خطر فلا سلطان للعاطفة.

وفى هذه اللحظة فتح الباب ودخل روجرز وألقى نظرة ثم قال:

ـ هل أستطيع أن أقدم لكم شيئاً آخر؟ أرجو المعذرة إذا لم يكن هناك ما يكفى من المحمرات، ولكن لم يبق لدى غير قليل من الخبز، وتموين اليوم لم يأت بعد.

تململ القاضى وورجريف فى مقعده وقال: متى يأتى الزورق عادة؟

ـ بين السابعة والثامنة يا سيدى. وأحياناً بعد الساعة الثامنة وإننى أتساءل ما الذى حدث هذا الصباح لفريد فاراكوت. إنه إذا مامرض يرسل أخاه عادة.

وانتظر روجرز لحظة وفجأة خاطبه الجنرال ماك أرثر فقال له: آلمنى أن سمعت النبأ المحزن بخصوص زوجتك يا روجرز. لقد أبلغنا الدكتور أرمسترونج بما حدث الآن فقط.

أحنى روجرز رأسه وقال:

ـ وا أسفاه يا سيدى... إننى أشكرك.

ورفع طبق البيض الفارغ وخرج.

ومن جديد ساد الصمت. وفى الخارج، قال لومبارد وهو واقف بالشرفة: أما عن هذا الزورق البخارى...

نظر بلور إلى محدثه وهز رأسه وقاطعه قائلاً: إننى أخمن ما يدور فى ذهنك يا مستر لومبارد. وقد ألقيت على نفسى نفس السؤال. كان يجب أن يكون الزورق هنا منذ ساعتين على الأقل، ولكنه لم يأت بعد، فلماذا؟

سأله لومبارد: وهل وجدت تفسيراً؟

ـ إننا لسنا أمام حادث عرضى وإنما أظن أن كل هذا مدبر مسبقاً.

قال لومبارد: أنت ترى إذن أن الزورق لن يأتى.

وارتفع صوت خلفهما يقول فى فروغ صبر: أن الزورق لن يأتى.

أدار بلور كتفيه المربعين قليلاً، ورأى الرجل الذى نطق بالعبارة الأخيرة وقال يخاطبه: أتشك أنت أيضاً يا جنرال فى أنه لن يأتى.

قال الجنرال ماك أرثر فى لهجة قاطعة:

ـ لن يأتى طبعا. إننا جميعاً نعتمد على هذا القارب لمغادرة الجزيرة. ولكن إذا أردتما رأيى فها هو.. إننا لن نغادر هذه الجزيرة. لن يخرج منها أى واحد منا. هذه هى النهاية. هل تفهمان؟.. نهاية كل شىء.



واستدار وانصرف، واجتاز الشرفة حتى المنحدر الذى يؤدى إلى البحر، فى آخر الجزيرة، حيث تتفكك الصخور المتزعزعة أحيانا وتسقط فى الماء.

صاح بلور: هذا مجنون آخر. يخيل لى أن الجميع سيفقدون عقولهم.

قال فيليب لومبارد: ولكنك أنت يا بلور لن تفقد عقلك.

انفجر مفتش البوليس السابق ضاحكا وقال: لابد من أن تقع لى أمور كثيرة لكى أفقد عقلى، وأراهن أنك أنت الآخر لن تفقد عقلك.

قال لومبارد: إننى أشعر فى الوقت الحالى بأننى سليم بدنا وعقلاً. شكراً لك.

خرج الدكتور أرمسترونج إلى الشرفة ووقف متردداً لحظة. كان بلور ولومبارد يقفان على يساره، وورجريف على يمينه، وكان يمشى جيئة وذهابا وهو مطرق الرأس.

وبعد لحظة، تحول أرمسترونج نحو القاضى، ولكن فى هذه اللحظة بالذات خرج روجرز من البيت مسرعا وقال: دكتور، هل أستطيع أن أقول لك كلمة من فضلك؟

استدار أرمسترونج، وارتسمت عليه الدهشة وهو يرى نظرة الفزع فى عينى الخادم، كان هذا الأخير أصفر اللون، وكانت يداه ترتعشان.

كان التناقض بين تحفظه منذ قليل وانفعاله الحالى واضحا بحيث أن الطبيب بقى مذهولاً.

وعاد روجرز يقول فى إصرار: أريد أن أتحدث إليك حتما يا دكتور، أرجو أن تأتى إلى الداخل.

عاد الطبيب على أعقابه ودخل البيت مع الخادم المذعور وقال: ما الخبر يا روجرز... ولكن تمالك أعصابك.

بلع الرجل ريقه بكل صعوبة ثم قال فجأة: هنا يا سيدى... تقع أمور غريبة.. أمور لا أفهمها.

ـ ماذا تعنى يا روجرز؟ سوف ترمينى بالجنون يا سيدى، وستقول لى أن هذا ليس شيئاً. ولكن يجب أن نعرف كيف حدث هذا؟..

ـ هلا قلت لى ما الذى يشغلك... إننى لا أحب التخمين.

قال روجرز بشق النفس: إنها هذه التماثيل الصغيرة يا سيدى.. تلك الموجودة وسط المائدة.. التماثيل الخزفية... كان عددها عشرة، وإننى أقسم على ذلك... كانت عشرة تماثيل.



قال أرمسترونج: هذا صحيح. كان عددها عشرة.

اقترب روجرز وقال: هذا هو ما يزعجنى بالذات يا سيدى. عندما رفعت الأطباق أمس عددتها ورأيت أنها أصبحت تسعة، وقد بدا لى الأمر غريباً عندئذ ولكننى لم أعلق عليه أهمية كبيرة. ولكن الآن يا سيدى، هذا الصباح... لم ألحَظ شيئاً وأنا أضع الأطباق للإفطار.. فقد كنت شديد الاضطراب. ولكننى الآن.. أتيت لكى أرفع الأطباق... أرجو أن تعدها أنت بنفسك يا سيدى، إذا كنت لا تصدقنى.. ليس هناك غير ثمانية.. ثمانية تماثيل فقط يا سيدى. هذا أمر غير مفهوم... أليس كذلك.. ثمانية فقط!

* * *

بعد أن فرغوا من الإفطار طلبت أميلى برنت من فيرا كلايتون أن تمضى معها إلى قمة الجزيرة ليترقبا قدوم الزورق.

كان الجو قد رطب، وظهرت فوق البحر قمم صغيرة بيضاء، ولم يكن هناك أى أثر لقوارب الصيد أو للزورق البخارى، بل إن قرية ستيكلهافن اختفت خلف الصخرة الحمراء الكبيرة التى تشرف على الخليج الصغير.

وقالت أميلى برنت: ومع ذلك فإن الرجل الذى أتى بنا أمس كان يبدو جاداً، وإن من العجيب حقاً أن يتأخر اليوم هكذا.

لم تجب فيرا لأنها كانت تحاول أن تتغلب على خوفها المتزايد وكانت تفكر: يجب أن أحتفظ بجأشى. إننى لم أعد أعرف نفسى فى هذه اللحظة لأن من عادتى إلا يتملكنى الخوف بسهولة.

وقالت بعد لحظة، فى صوت مسموع: أننا جميعا نريد مغادرة هذه الجزيرة.

تنهدت فيرا وقالت: هذه المغامرة عجيبة ولا نفهم لها معنى.

قالت العانس: إننى أبغض نفسى لأننى وقعت فى الفخ بهذه السهولة. والحقيقة أن الرسالة التى جاءتنى كانت سخيفة،وكان يجب أن أفحصها عن كثب، ولكننى، فى تلك اللحظة لم يكن لدى أى شك.

تمتمت فيرا: إننى لا أفهمك تماما.

وقالت أميلى: إن الإنسان لا يتوخى الحذر بما فيه الكفاية.

وتنهدت فيرا من جديد وقالت: هل كنت تعنين حقاً ما قلت أثناء طعام الإفطار؟...

ـ بخصوص أى شىء يا عزيزتى.

سألتها فيرا في صوت خافت: هل تعتقدين حقاً أن روجرز وزوجته تركا الآنسة العجوز تموت؟

نظرت أميلي برنت إلى البحر مدة طويلة ثم قالت: أنا شخصيا مقتنعة بهذا، وأنت، ما رأيك؟..

ـ لا أدري ماذا أقول.

ـ كل شيء يبدو كأنه يؤيد نظريتي. أغماء مسز روجرز في نفس اللحظة التي أفلتت فيها الصينية من بين يدي زوجها، ثم تفسيرات روجرز... كانت تبدو زائفة! ليس لدي أي شك. أنهما مذنبان!

عادت فيرا تقول: كانت هذه المرأة تبدو كما لو كانت تخاف من خيالها. لم أر رعبا أبداً كذلك الذي ارتسم على وجهها. لا ريب أن وخز الضمير ظل يلاحقها.

تمتمت مس برنت: إنني أتذكر حكمة كانت معلقة في بيتنا تقول: «ثق إن خطاياك سوف تلاحقك». وهذه هي الحقيقة، فإن المرء لا يستطيع الهرب من ضميره.

وكانت فيرا قد جلست فوق الصخرة فهبت واقفة وقالت:مس برنت، في هذه الحالة... حسنا؟

ـ ما رأيك في الاتهامات الأخرى، هل كانت كلها كاذبة؟.. إذا كان الصوت قد قال الصدق عن آل روجرز...

وأمسكت عن الكلام وهي لا تستطيع أن ترتب أفكارها المشوشة. وعاد الهدوء إلى جبين أميلي برنت وقالت: آه. إنني أفهم ما تعنين. لننظر مثلاً إلى التهم الموجهة إلى مستر لومبارد.. إنه يعترف بأنه تسبب في موت عشرين رجلاً.

قالت فيرا:

ـ ولكنهم كانوا من الزنوج.

قالت أميلي برنت محنقة: إن الرجال جميعا أخوة سواء كانوا زنوجا أو غير زنوج. واستطردت تقول في تفكير: أن بعض الاتهامات مبالغ فيها طبعا وسخيفة، مثال ذلك: العتاب الموجه إلى القاضي وورجريف الذي لم يفعل أكثر من أداء واجبه، كذلك حالة مفتش البوليس السابق... وحالتي أنا أيضاً.

وأردفت تقول بعد سكتة قصيرة: ونظراً للظروف آثرت ألا أقول شيئاً أمس، فقد كان يتعذر على أن أتكلم أمام هؤلاء الرجال.. حقاً؟

وأرفقت فيرا السمع، وروت مس برنت لها القصة التالية: كانت بتاتريس تايلور تشتغل عندي، ولم تكن فتاة محترمة، ولكنني لم أكتشف ذلك إلا فيما بعد، وقد خيبت ظني فيها. كانت تسلك مسلكا حسنا، وكانت نظيفة جداً وطيبة جداً. وأرضتني كل الرضا في البداية. ولكن كل ذلك لم يكن إلا تظاهراً. كانت فتاة مرائية فاسدة الأخلاق... كانت مخلوقة فظيعة.. ومرت شهور طويلة قبل أن أكتشف أنها تواجه متاعب.

حدقت مس فيرا فيها وقالت: وماذا حدث؟

ـ لم أبقها تحت سقف بيتي بعد ذلك ساعة واحدة طبعا، ولن يلومني أحداً أبداً على أنني أشجع الرذيلة.

قالت فيرا في صوت خافت وفي إصرار: وماذا حدث لها؟..

أجابت مس برنت: لم تقنع تلك الساقطة بأنها أثمت مرة فاقدمت على أثم آخر أكبر... وانتحرت.

تمتمت فيرا في هلع: انتحرت؟..

ـ نعم. ألقت بنفسها في البحر.

نظرت فيرا إلى العانس العجوز وهي ترتعش، وسألتها قائلة: وماذا كان شعورك عندما عرفت أن اليأس قد دفع هذه الفتاة المسكينة إلى الانتحار؟ هل وجهت اللوم إلى نفسك!...

قالت أميلي برنت مغتاظة: أنا؟... ولماذا ألوم نفسي؟

ـ ولكن إذا كانت صرامتك قد دفعت بهذه الفتاة إلى الانتحار..

قاطعتها العانس العجوز تقول في حدة: أنها كانت ضحية خطيئتها هي بالذات، فلو أنها تصرفت كما تتصرف كل فتاة شريفة متواضعة لما حدث لها شيء من ذلك.

ولم تعد هذه الفتاة العانس تبدو سخيفة في عيني زميلتها.

وفجأة.. رأت فيرا في أميلي برنت وحشا مهولاً من القسوة.

مرة أخرى غادر أرمستروج غرفة الطعام وخرج إلى الشرفة. ووجد القاضي وورجريف جالسا فوق مقعد ينظر إلى البحر في هدوء، في حين وقف بلور ولومبارد يدخن كل منهما غليونه في صمت.

وتردد الطبيب كما فعل أول مرة وفحصت عيناه مستر وورجريف. كان بحاجة إلى نصيحة، وكان يقدر منطق العجوز وذكاءه، ولكنه لم يجرؤ على



أن يوجه إليه الحديث. لم يكن هناك شك فى أن القاضى يملك عقلاً عجيباً ولكن سنه الكبيرة كانت تتكلم ضده. وأدرك الدكتور أرمسترونج عندئذ أنه بحاجة إلى رجل نشيط.

قال: هل يمكن أن تكرس لى بضع دقائق يا لومبارد.

أجفل فيليب وقال: سمعا وطاعة يا دكتور.

غادر الرجلان الشرفة وهبطا معا المنحدر المؤدى إلى البحر. وعندما ابتعدا عن الآذان المتطفلة بدأ أرمسترونج الحديث فقال:

ـ أريد أن أستشيرك.

أجاب لومبارد وهو يدير عينيه دهشة: ولكن ليست لى أية معرفة طبية يا عزيزى.

ـ كلا. كلا. اطمئن. إننى أعنى موقفنا الحالى.

ـ آه... إن الأمر مختلف إذن. قل لى رأيك فيه صراحة.

وبعد لحظة تفكير أجاب لومبارد: إنه موقف مزعج إذا أردت رأيى، وإنى أتساءل كيف المخرج منه؟

ـ وما رأيك فى موت هذه المرأة؟.. هل تقبل رواية الزوج؟

أطلق لومبارد سحابة من الدخان فى الهواء واعترض قائلاً: أن تفسيراته تبدو لى معقولة.. ذلك إذا لم يكن فى الأمر شىء آخر.

ـ هذا هو ما يثير حيرتى بالذات.

أحس أرمسترونج بارتياح كبير وهو يرى أنه يتكلم مع رجل رشيد.

واستطرد لومبارد يقول: على الأقل، إذا كان مستر روجرز وزوجته قد ارتكبا جريمة لكى يستفيدا منها بكل أمان. ولم لا على كل حال؟ وهل تشك فى أنهما دسا السم للمرأة العجوز؟

أجاب الطبيب فى بطء: ربما دارت الأمور بطريقة أسهل من هذا. إننى سألت روجرز صباح اليوم من أى شىء كانت تشكو سيدته، وتدعى مس برادى، وفتح لى رده آفاقا واسعة. ولا داعى لأن نضيع فى اعتبارات طبية طويلة، ويكفى أن تعلم أن نتريت الأميل يستخدم فى حالات خاصة من آلام القلب، فعندما تشتد الأزمة لابد من تحطيم أنبوبة من هذا المحلول لكى يستنشقها المريض. ولكن إذا حدث ووضعت الأنبوبة سهوا بعيداً عن الأنف فإن العواقب تكون وخيمة.



قال لومبارد: كان الأمر سهلاً جداً إذن. إن الإغراء كان قوياً بما فيه الكفاية.

أجاب الطبيب: طبعا، وليس هناك داع لأى إجراء مورط، ولا حاجة بهما لدس كمية من السيانور أو الزرنيخ، فقد كان يكفيهما ألا يتحركا. وقد أسرع روجرز فى جوف الليل للبحث عن طبيب لكيلا يشك أحد فى أمرهما.

قال فيليب لومبارد فى قلق: وحتى إذا ارتاب أحد فى أمرهما فما كان فى وسعه إثبات ذلك. إن هذا يفسر أموراً كثيرة.

سأله أرمسترونج فى شىء من الحيرة: معذرة؟

ـ أعنى الأحداث التى وقعت فى الجزيرة. أن بعض الجرائم تفلت عن عدالة الإنسان، ومثال ذلك مقتل مس برادى على يد آل روجرز.. ومثال آخر وأعنى به الجريمة التى ارتكبها القاضى وورجريف دون أن يتجاوز حدود القانون.

سأله أرمسترونج: هل تصدق هذه القصة؟

قال لومبارد وعلى شفتيه ابتسامة: إننى لم أشك فيها أبداً. أن وورجريف قتل إدوارد سيتون، تماما، كما لو كان قد طعنه بخنجر فى قلبه. ولكنه كان من البراعة بحيث قتله وهو جالس فى مقعد القضاة، ولا يمكن إدانته طبقا للأساليب العادية.

اخترق وميض ذهن أرمسترونج. جريمة فى المستشفى. جريمة فى غرفة العمليات.. العدالة تبقى عاجزة أمام مثل هذه الأعمال الإجرامية.

وتمتم لومبارد فى تفكير: ومن هنا مستر أوين.. وجزيرة الهندى.

أطلق مستر أرمسترونج تنهيدة عميقة وقال: إننا نصل إلى صميم الموضوع. لأى غرض جاء بنا مستر أوين هنا؟

ـ هل لديك فكرة ما؟

أسرع أرمسترونج بالرد فقال: لننتقل إلى موت هذه المرأة. ما هى النظريات التى تعرض لنا، أن زوجها يقتلها خوفا من أن تفشى سرهما. وهناك احتمال آخر، وهو أنها ربما فقدت جأشها، وأنها فى ذروة يأسها وضعت حدا لحياتها بأن ابتلعت كمية كبيرة من الأقراص المنومة.

سأله لومبارد: هو انتحار إذن؟ أيدهشك هذا؟

ـ لولا موت مارستون لوافقتك على هذه النظرية الثانية، فإن حالتى انتحار فى ظرف أربع وعشرين ساعة يبدوان لى مصادفة مفتعلة. وإذا زعمت أن ذلك الشاب الأرعن مارستون، المجرد من الأخلاق والعاطفة انتحر



طواعية لأنه صدم طفلين فإنه زعم مضحك، ومن ناحية أخرى، من أين له بالسم. إن السيانور ليس من هذه المواد التى يضعها الإنسان فى جيب سترته عندما يمضى إلى حفلة سمر، وأنت تفهم هذه الناحية خيراً منى.

أجابه أرمسترونج: أن الرجل العاقل لا ينتقل وفى جيبه مثل هذا السم، ولا ريب أن شخصا ما جاء به إلى الجزيرة لكى يتخلص من الحشرات الضارة.

قال لومبارد: البستانى؟.. أو صاحب البيت؟.. إنه ليس أنتونى مارستون على كل حال. أن مسألة السيانور هذه تحتاج منا إلى شيء من التفكير.. أما أن انتونى مارستون كان ينوى أن ينتحر عند مجيئه إلى هنا، وبذلك يكون قد أعد عدته لذلك وأما..

سأله أرمسترونج: وأما؟..

ضحك لومبارد فى سخرية وقال: ولماذا ترغمنى على أن أقول ذلك. إن الكلمات على طرف لسانك... وإما أن يكون أحد الأشخاص الموجودين هنا هو الذى دس السم لمارستون.

قال الدكتور أرمسترونج وهو يتنهد: ومسز روجرز؟

أجاب لومبارد فى بطء: كان فى إمكانى أن أصدق بصعوبة أن أنتونى مارستون انتحر لو لم تمت مسز روجرز. ومن ناحية أخرى، كان فى إمكانى أن أصدق أن مسز روجرز انتحرت لو لم يمت مارستون. وما كنت لأبعد تلك النظرية التى تقوم على أن روجرز تخلص من زوجته لولا نهاية أنتونى مارستون المفجعة. إن من الضرورى أن نجد تفسيراً لإحدى هاتين الميتتين اللتين تتابعتا فى مثل هذا الوقت القريب.

قال الدكتور أرمسترونج: ربما أستطيع أن أساعدك فى إزالة الغموض.

وأعاد على سمع زميله المعلومات التى ذكرها له روجرز فيما يتعلق باختفاء التمثالين، فقال لومبارد: نعم. إن التماثيل لهنود، وكان موجوداً منها عشرة مساء أمس فى وقت العشاء. وتقول أنه لم يبق منها غير ثمانية.

قال الدكتور أرمسترونج يردد مقاطع الأغنية:

عشرة أطفال هنود مضوا لتناول العشاء.

أختنق أحدهم فلم يبق منهم إلا تسعة.

تسعة أطفال هنود ظلوا سهارى إلى وقت متأخر من الليلة، ونسى أحدهم أن يصحوا فأصبحوا ثمانية.



تبادل الرجلان النظر. وضحك فيليب لومبارد ساخراً وألقى بسيجارته بعيداً ثم قال: أن هاتين الميتتين واختفاء التمثالين يتطابقان بطريقة عجيبة بحيث يمكن أن يكون الأمر مجرد مصادفة. اختنق أنتونى مارستون بعد العشاء، ونسيت مسز روجرز أن تصحو، لأن أحداً منعها من ذلك.

سأله أرمسترونج: وإذن؟

انتهز لومبارد الفرصة عندئذ وقال: هناك هندى من نوع آخر.. وأعنى به ذلك الذى يختفى فى النفق.. سره الغامض.. مستر أوين.. المجنون المجهول.

قال أرمسترونج فى ارتياح: آه. إنك تشاركنى رأيى. ولكن، هل ترى أين يؤدى بنا هذا الرأى؟.. إن روجرز يقسم أنه ليس فى الجزيرة أحد غيره هو وزوجته وضيوف مستر أوين العشرة.

- إن روجرز مخطئ.. ما لم يكن يكذب.

هز أرمسترونج رأسه وقال: من رأيى أن روجرز لا يكذب، فإنه مذعور إلى حد أنه يكاد يفقد الرشد.

قال فيليب لومبارد عندئذ: لم يأت الزورق البخارى هذا الصباح. وفى هذا توكيد للمؤامرة الصغيرة التى دبرها مستر أوين. ستبقى جزيرة الهندى معزولة عن العالم لكى تسمح لمستر أوين أن يفرغ من مهمته.

امتقع وجه أرمسترونج وقال:

- لابد أن يكون هذا الرجل مجنونا.

أجاب لومبارد بهدوء: لقد نسى مستر أوين نقطة صغيرة.

- وما هى؟

- هذه الجزيرة ما هى إلا صخرة جرداء وسنفتشها بسهولة من أولها إلى آخرها، وسوف نكتشف مخبأ مستر أوين هذا.

قال الطبيب: يجب أن نكون على حذر، فإن هذا الرجل سيكون شديد الخطر.

انفجر لومبارد ضاحكا وقال: شديد الخطر. ومن الذى يخشى الذئب الكبير؟.. أنا الذى ساكون شديد الخطر عندما أضع يدى عليه.

وبعد سكتة قصيرة أردف يقول: من الأوفق أن نقنع بلور بأن يمد لنا يد المساعدة فى هذه العملية. ستكون مساعدته لنا ثمنية فى الساعة الحرجة، ومن الأوفق ألا تذكر شيئاً من ذلك للنساء. أما الآخرون، فإن الجنرال

الشيخ مخرف والقاضى وورجريف يحرص على ألا يتحرك من مقعده. ويمكننا نحن الثلاثة أن نتكفل بالفعل.

* * *

اقتنع بلور بسهولة وأبدى موافقته على الفور وعرض حججه قائلاً: إن ما ذكرتموه لى الآن بخصوص التماثيل الخزفية يلقى ضوءاً جديداً على هذه المسألة. أن هناك نوعا من الجنون مثلاً، وإننى أتساءل إذا لم يكن فى نية صاحبنا مستر أوين أن ينفذ جرائمه بطريق التوكيل.

سأله أرمستروج: ماذا تعنى؟

- إن رأيى أن مارستون ملأه الخوف بعد الاستماع للأسطوانة وانتحر. أما روجرز فإنه قتل زوجته تحت تأثير الخوف. وكل هذا جزء من المخطط الجهنمى الذى وضعه مستر أوين.

هز أرمستروج رأسه وعاد إلى موضوع السيانور فقال بلور: إننى نسيت هذه النقطة. ليس من الطبيعى طبعا أن يتنقل المرء وفى جيبه مثل هذا السم. ولكن قل لى كيف وصل السم إلى الكأس؟

أجاب لومبارد: إننى فكرت طويلاً. أن مارستون شرب كئوسا كثيرة من الويسكى أمس. ولكن انقضى بعض الوقت ما بين الكأس الأخيرة والتى قبلها. وفى هذه الأثناء بقيت كأسه على إحدى المناضد، ولن أذكر شيئاً. ولكن يبدو لى أنه أخذ كأسه من فوق المنضدة الصغيرة الموجودة بجوار النافذة، وكانت مفتوحة طوال الوقت، وربما استطاع أحد أن يدس السم فى كأسه فى هذه الأثناء.

قال بلور مذهولاً: دون أن يراه أى واحد منا.

قال لومبارد: كانت أذهاننا مركزة على أشياء أخرى.

وقال أرمستروج: هذا صحيح. كنا جميعا نتناقش فى ذلك الوقت. وكنا نمشى فى الغرفة محنقين نتبادل الرأى وكل منا مشغول بحالته الخاصة. وهذا الاقتراح معقول طبعا.

هز بلور كتفيه وقال: لاريب أن الأمر قد وقع هكذا. لنبدأ بالعمل الآن إذن. ولا داعى لأن أسألكما هل مع أحدكما مسدس. لو صح ذلك فإن الأمر يكون جميلاً.

قال لومبارد وهو يجس جيبه: معى أنا مسدس.

نظر بلور إليه وقد اتسعت عيناه وقال: وتحمله فى جيبك هكذا دائماً؟

- نعم، فهذه عادة عندى. إننى عشت فى مناطق كانت حياة الرجل فيها فى خطر دائم.

قال بلور: بطيب لى أن أعتقد أنك لم تجد نفسك قبل اليوم فى مكان خطر كهذا. ولو أن هناك مجنوناً يختفى فى هذه الجزيرة فلا شك أنه مجهز بترسانة...

أجفل أرمستروج وقال: قد تكون مخطئا يا بلور، فإن بعض مهاويس الجريمة ما هم إلا أناس هادئون جداً ومسالمون جداً فى مظهرهم.

قال بلور: أما أنا يا دكتور فلا أغزى نفسى بالأوهام فيما يتعلق بصاحبنا هذا.

وبدأ الرجال الثلاثة تفتيش الجزيرة.

وكان التفتيش من أسهل الأمور، فإن شرق الجزيرة الغربى كان عبارة عن صخور شديدة الانحدار حتى البحر لا موضع فيها لمخبأ. أما باقى الجزيرة فكان عبارة عن أشجار وحشائش. وفتش الرجال الجزيرة من قمتها حتى الساحل، وفحصوا كل شبر فيها بترتيب ونظام. ولم تثمر أبحاثهم عن شىء.

وفيما هم يقطعون شاطئ البحر بلغوا المكان الذى يجلس فيه الجنرال ماك أرثر حيث راح يتأمل المحيط.

كان المكان هادئا والأمواج تاتى وتتكسر على الصخور فى هدوء، وكان الرجل يجلس معتدل القامة، يحدق بعينيه فى الأفق البعيد. ولم يبد أى اهتمام باقتراب الرجال الثلاثة. وتضايق هؤلاء من تصرفه هذا، وقال بلور يحدث نفسه: إن هذا الوضع ليس طبيعيا. يخيل لى أنه ثائر الأعصاب.

وتنحنح، وخاطبه قائلاً: أنك وجدت هنا مكانا هادئاً لكى تستريح وتستجم يا سيدى الجنرال.

قطب الجنرال جبينه ورماه بنظرة من فوق كتفه وقال: أن الوقت الباقى لى قليل. قليل جداً. ولا أريد أن يزعجنى أحد.

- ولكننا لن نزعجك يا سيدى الجنرال. إننا ندور بالجزيرة لكى نرى إذا لم يكن هناك من يختبىء فيها.

زاد عبوس الجنرال وقال: إنك لا تفهم.. لا تفهم إطلاقاً.

ابتعد بلور وهو يقول للآخرين: لقد أصيب الرجل بمس من الجنون. ومن الأوفق ألا نتحدث إليه.

قال الدكتور أرمسترونج في حيرة: ليتني أعرف الآن إذا...

فرغ الرجال الثلاثة من بحثهم ووقفوا في أعلا نقطة من الجزيرة ونظروا إلى الساحل فلم يروا أثراً للزورق. وبدأت الرياح تهب.

وقال لومبارد: أن قوارب الصيد لم تخرج اليوم، فإن العاصفة على الأبواب، ومما يؤسف له أننا لا نستطيع أن نرى القرية من هنا، وإلا لأرسلنا بعض الإشارات على الأقل.

قال بلور: ما رأيكما في أن نشعل حريقا كبيرا.

قطب لومبارد جبينه وقال: لسوء الحظ أن مستر أوين توقع كل شيء.

ـ وكيف هذا؟

ـ لا أدري. إننا إزاء دعابة مخيفة. لقد حرص مستر أوين على أن يعزلنا عن العالم في هذه الجزيرة، ولن يحفل أحد لإشاراتنا، ولا ريب أنه أخطر أهالي القرية بأن في الأمر رهانا.

سأله بلور متشككا: هل تعتقد أن الأهالي يتقبلون هذه القصة؟

ـ إن الحقيقة صعبة التصديق أحيانا، فلو أنه قيل لهم أن الجزيرة يجب أن [illegible] معزولة حتى يفرغ مستر أوين هذا من جميع مدعويه، فهل تظن أنهم كا[illegible] يصدقونه؟

أبدى الدكتور أرمسترونج شكوكه فقال: أنا نفسي أتساءل في بعض الأحيان إذا كنت لا أحلم، ومع ذلك.. كشر لومبارد فكشف عن أسنانه البيضاء وقال: ومع ذلك فإن كل شيء يدل على العكس.

ونظر بلور إلى البحر، عند أسفل الصخور، فاحصا، فهز أرمسترونج رأسه وقال: إن المكان شديد الانحدار وليس به أية بقعة يستطيع أن يختبئ فيها إنسان.

قال بلور: ربما كانت هناك ثغرة في الصخور. لو أن معنا قارباً لاستطعنا أن ندور بالجزيرة...

قال لومبارد: لو أن معنا قارباً لكنا الآن في الطريق نحو الشاطئ.

ـ هذا صحيح يا سيدي.

ـ إن هذا الجزء من الصخور ليس به غير مكان واحد يمكن أن يكون مخبأ، وهو المكان الذي على اليمين، من أسفل. وإذا وجدت حبلاً متيناً، فإنني أستطيع أن أهبط وأتحقق من ذلك.

قال بلور: إن الفكرة لا بأس بها، وإن كان الأمر يبدو لي خطراً بعض الشيء. سأذهب لأبحث عن حبل على كل حال.

ومضى إلى القصر في خفة.

ورفع لومبارد عينيه نحو السماء. كانت السحب قد بدأت تتجمع، وأخذت الرياح تشتد شيئاً فشيئاً. وقال أخيراً وهو ينظر إلى أرمسترونج: أراك صموتا يا دكتور، ففيم تفكر؟

ـ إنني أتساءل إلى أية درجة يبلغ جنون الجنرال ماك أرثر.

أحست فيرا بالانفعال طوال الصباح، وتجنبت صحبة أميلي برنت في شيء من الاشمئزاز. وكانت العانس العجوز قد جاءت بمقعد أمام البيت وجلست تطرز.

وكانت فيرا كلما فكرت فيها يخيل لها أنها ترى وجه الغريقة الممتقع، وحول وجهها حشيش البحر... وجها كان جميلاً فيما سبق، ولعله كان جميلاً جداً وأصبح الآن لا يوحي إلا بالعطف.

ومع ذلك فإن أميلي برنت كانت هادئة، وعكفت على التطريز وهي متسربلة في فضيلتها.

وكان القاضي وورجريف جالسا في الشرفة الكبيرة، فوق مقعد من الخيزران، وقد غاصت رأسه في رقبته.

وبعد لحظة، هبطت فيرا في خطوات بطيئة نحو البحر، وبلغت طرف الجزيرة حيث يجلس رجل كهل، يحدق بعينيه في الأفق.

وتحرك الجنرال ماك أرثر عندما اقتربت منه وحول رأسه نحوها، ورأت في عينيه عندئذ وميضا من الفضول والخوف. وانزعجت الفتاة إذ رأت ذلك وخطرت بذهنها فكرة، وقالت تحدث نفسها: هذا غريب. لكأنه يعرف.

وخاطبها الجنرال قائلاً: أه. أهذه أنت؟.. هأنت أخيراً..

جلست فوق الصخرة بجواره وقالت: هل يسرك أن تتأمل البحر هكذا؟

هز رأسه في هدوء وقال: نعم. إن المكان جميل، ويطيب لي أن أنتظر هنا.

أسرعت تقول: تنتظر؟.. ولكن ماذا تنتظر؟

تمتم: النهاية.. ولكنك تعرفين ذلك مثلي تماما. أليس كذلك؟ إننا، جميعا، ننتظر النهاية.

سألته في ذهول: ماذا تعني؟..

أجاب الجنرال ماك أرثر فى صمت عميق: لن يغادر أى واحد منا هذه الجزيرة. إن هذا أمر مدبر. ولكن لماذا تتجاهلين؟.. لماذا لا تفهمين ما هو الشعور بالارتياح.

ـ الشعور بالارتياح؟

ـ نعم، طبعا. إنك مازلت فى عنفوان الشباب، ولم تبلغ بعد المرحلة التى بلغتها أنا. ولكن سوف يأتى ذلك. سوف تشعرين بالارتياح عندما تأتى النهاية، وتعرفين أنك ستلقين الحمل عنك بعد قليل.

قالت فى صوت أجش: إننى مازلت لا أفهم.

وراحت تحرك أصابعها فى انفعال وقد أخافتها فجأة فكرة وجودها وحدها مع ذلك الرجل العسكرى المسن الذى يبدو أنه مكشوف البصيرة.

وقال فى صوت حالم: كنت أحب ليزلى... كنت أحبها كثيراً.

سألته الفتاة: كانت ليزلى زوجتك؟..

ـ أجل. كانت زوجتى. كنت أعبدها، وكنت فخوراً بها. كانت جميلة جداً، ومرحة جداً.

وبعد لحظة من الصمت استطرد يقول: نعم. كنت أحب ليزلى، وهذا هو السبب فيما أقدمت عليه. ماذا تقول؟

هز الجنرال ماك أرثر رأسه فى بطء وقال:

ـ ولماذا الإنكار الآن ما دمنا سنموت جميعا؟.. إننى أرسلت ريتشموند إلى الموت... كانت جريمة طبعا، وهذا عجيب... جريمة مع أننى كنت معروفا بشدة احترامى للقانون. ولكننى فى ذلك الوقت لم أكن أرى الأمور كما أراها اليوم، ولم أشعر بأى تبكيت أو وخز من ضمير. كنت أبرر عملى بأنه استحق ذلك تماماً ولكننى فيما بعد...

قالت تسأله فى إصرار، وفى صوت قاس: حسنا؟

هز رأسه فى ضعف وقد بدأ عليه القلق والحيرة وقال: لا أدرى.. لا أدرى.... إن الحياة بدت لى تحت صورة أخرى. وإننى أجهل إذا كانت ليزلى خمنت الحقيقة. ولكننى لا أظن ذلك. إننى لم أكتشف أبداً ما يدور فى ذهنها.

قالت فيرا تكرر قوله: وحدك.... وحدك.

ورددت الصخور صدى صوتها.

واستطرد الجنرال ماك أرثر يقول: سوف تكونين أنت أيضاً سعيدة عندما تأتى النهاية.

نهضت فيرا وقالت فى حدة: إننى لا أفهم ما الذى توصى به؟

ـ إننى فاهم يا ابنتى... إننى فاهم.

ـ كلا يا جنرال... إنك لا تفهمنى... أبداً.

حول الجنرال ماك أرثر بصره إلى البحر ولم يعد يشعر بوجود الفتاة إلى جواره وقال فى صوت حنون: ليزلى!

عندما عاد بلور من البيت ومعه حبل معقود حول ذراعه وجد أرمسترونج فى نفس المكان الذى تركه فيه، وكان ينظر إلى أعماق البحر، فسأله وهو يلهث: أين مستر لومبارد؟

أجابه أرمسترونج فى صوت طبيعى: أنه ذهب لكى يتحقق من إحدى نظرياته، وسيكون هنا بعد دقيقة. قل لى يا مستر بلور. إننى شديد القلق... يخيل لى أننا جميعا شديدو القلق.

هز الطبيب يده فى فروغ صبر وقال: طبعا، طبعا.. ولكنك لا تفهم ما أعنيه. إننى شديد القلق بخصوص الجنرال.

ـ وماذا به يا سيدى؟

أجاب الدكتور أرمسترونج مكشرا: أننا نبحث عن مجنون ، فما رأيك فى ماك أرثر؟

سأله بلور فى ذهول: هل تعتقد أن نوايا قاتلة تحركه.

ـ كلا. لن أزعم هذا، فأنا لست خبيراً فى الأمراض العقلية، ولم أتبادل الحديث معه، وبهذا لم تسنح لى الفرصة بأن أدرسه.

ـ إنه رجل مخرف وأوافقك على هذا. إما أن تشك فى أنه...

قاطعه أرمسترونج قائلاً: لعلك على حق. إن القاتل يختفى فى الجزيرة. آه. ها هو لومبارد يعود.

وربط الحبل حول وسط لومبارد فى قوة. وقال الشاب: سأساعد نفسى بقدر ما أستطيع. ولكن انتظرا منى أن أهز الحبل على كل حال.

ومرت بالرجلين لحظات وهما يتابعان هبوط لومبارد. وقال بلور فى لهجة عجيبة: إنه خفيف كالقرد.

قال الطبيب: لابد أنه متمرن على تسلق الجبال.

وخيم الصمت بين الرجلين. وقال مفتش البوليس السابق أخيراً: إنه رجل غريب الأطوار. هل تعرف رأيي؟ أنني مصغ إليك.

ـ إنه لا يوحى إلى بالثقة. سأله أرمسترونج: ولماذا؟

زمجر بلور قائلاً: لا أستطيع القول بالضبط، ولكننى أظن أنه خليق بكل شىء.

ـ أنت تعرف أن حياته كلها كانت عبارة عن مغامرات ومجازفات.

قال بلور: نعم. ولكننى أراهن أنه لا يطيب له أن يعرف أحد شيئاً عن مغامراته هذه.

وأمسك عن الكلام بضع لحظات ثم عاد يسأل الطبيب: أتراك أحضرت مسدسك معك يا دكتور؟

حدق أرمسترونج فيه وقال: أنا؟ كلا طبعا. وماذا أفعل به؟

ـ ولماذا جاء لومبارد بمسدسه؟

قال أرمسترونج: بحكم العادة بلا شك.

اهتز الحبل. ومرت بضع لحظات وبلور وأرمسترونج يبذلان جهدهما حتى لا يفلت منهما. وعندما ارتخى أخيراً قال بلور: هناك عادة وعادة. أن يذهب مستر لومبارد إلى البلاد المتوحشة ويأخذ معه مسدسه وموقده وكيس نومه وذخيرة من المسحوق الذى يقتل الحشرات فذلك أمر طبيعى. أما أن يأتى بمسدسه فى مثل هذا المكان فهذا عمل ليس هناك ما يبرره.

هز الدكتور أرمسترونج رأسه وهو بادى الحيرة.

وانحنى كل منهما فوق الصخرة وراحا يتابعان تقدم زميلهما. وكان لومبارد قد فرغ من فحصه، وبدأت أمارات الخيبة واضحة على جبينه. ولم يلبث أن صعد إلى قمة الصخرة وراح يجفف جبينه الذى تفصد بالعرق وقال: حسنا. لكما أن تثقا الآن أنه ليس هناك أى مخبأ بالجزيرة. لم يبق إلا أن نفتش البيت.

قاموا بتفتيش البيت بدون أية صعوبة. وبدأوا بملحقاته ثم وجهوا اهتمامهم إلى البيت نفسه، ففحصوا الدور الأرضى، وكان البيت حديث البناء، مصمما بطريقة بحيث لم يكن هناك أى مكان يصلح للاختباء. وفيما هم يصعدون إلى الطابق العلوى حيث تقع غرف النوم رأوا من إحدى نوافذ البسطة الخادم

روجرز يحمل صينية عليها كئوس الكوكتيل. وقال لومبارد: إن هذا الرجل ظاهرة عجيبة. إنه يباشر عمله بكل هدوء، كما لو أن شيئاً لم يقع.

وقال أرمسترونج يمدح الخادم الأمين: أن روجرز رجل فريد من نوعه وقل أن نجد خادماً مثله.

وقال بلور:

ـ وكانت زوجته طاهية ممتازة هى الأخرى.

ودخلوا أول غرفة من غرف النوم.

وبعد خمس دقائق وجدوا أنفسهم فوق البسطة. لم يكن هناك أى شخص مختبىء. بل لم يكن هناك مكان للاختباء على الإطلاق.

وقال بلور: آه... ما هذا السلم الصغير؟..

أجاب أرمسترونج: إنه السلم الذى يؤدى إلى غرفة الخدم.

قال بلور: لاريب أن هناك مكان مخصص لتخزين المياه أيضاً. هذا هو المكان الوحيد الباقى أمامنا.

وفى هذه اللحظة بالذات سمع الرجال الثلاثة صوتا فوق رءوسهم.. وكان عبارة عن أقدام تمشى متلصصة. وضغط أرمسترونج على ذراع بلور، ورفع لومبارد أصبعا محذرا وقال: صه. اسمعا.

وتكرر الصوت. كان هناك من يتحرك فوق فى هدوء كبير. وتمتم أرمسترونج: إنه فى الغرفة فى هذه اللحظة... فى الغرفة التى ترقد فيها مسز روجرز.

وقال بلور فى صوت خافت: طبعا. ما كان فى مقدوره أن يختار مخبأ أفضل من هذا، فما كان ليخطر لأحد أن يصعد إليه. ولكن لنصعد الآن فى سكون.

وصعدوا السلم بدون ضجة، ووقفوا فى البسطة الصغيرة، أمام غرفة الخدم، وأصاخوا السمع. نعم... كان هناك شخص فى الغرفة. وتناهى إليهم من الداخل صرير خفيف.

وهمس بلور قائلاً: هلموا بنا.

وفتح الباب على مصراعيه واندفع داخلا وخلفه الرجلان الآخران.

ولكنهم توقفوا على الفور، فقد رأوا روجرز أمامهم، ويداه محملتان بالثياب. وكان بلور أول من استرد جأشه فقال: معذرة يا روجرز. إننا سمعنا صوتا فى هذه الغرفة، وحسبنا وأمسك عن الكلام.



فقال روجرز: أرجو المعذرة أيها السادة. كنت أجمع حوائجي. وأظن أنكم لن تمانعوا فى أن أرقد فى الغرفة الصغيرة الشاغرة فى الدور العلوى.

ـ هذا أمر طبيعى. يمكنك أن تنتقل إليها يا روجرز.

تحاشى روجرز النظر إلى الجثة المسجاة فوق الفراش وقال: أشكرك كثيراً يا سيدى.

وخرج الخادم من الغرفة، حاملاً ثيابه وهبط إلى الدور الأول.

ومضى الدكتور أرمسترونج نحو الفراش ورفع الملاءة وفحص وجه الميتة الهادئ. كان الخوف قد تلاشى وإنمحى من وجهها وحلت محله أمارات هدوء العدم. وقال: مما يؤسف له أننى لم آت معى بأدواتى، فقد كنت أود أن أعرف نوع السم الذى تسبب فى وفاتها، ثم قال يحث زميليه: لنفرغ من عملنا أيها السادة. يخيل لى أننا لن نجد شيئاً.

وبذل بلور جهداً كبيراً لكى يفتح باب حجرة صغيرة فى أعلا السلم وقال: أن هذا الرجل يتنقل كالشبح. فقد رأيناه منذ دقيقتين فى الشرفة، ولم يسمعه أى واحد منا وهو يصعد السلم.

قال لومبارد: لعل هذا هو السبب فى أننا تصورنا أن هناك رجلاً غريباً يتحرك فى هذه الغرفة.

واختفى بلور فى غرفة صغيرة مظلمة، وأخرج لومبارد مصباحه الكهربى، وتبعه.

وبعد خمس دقائق عاد الرجال الثلاثة إلى البسطة الصغيرة يعلوهم الغبار وخيوط العنكبوت. وارتسمت على وجوههم أمارات الخيبة الشديدة. فلم يكن بالجزيرة غير ثمانية أشخاص، ولم يكن يختبىء بها أحد.

* * *

قال لومبارد فى بطء: وهكذا لم نجد أحداً. أننا بنينا مأساة مذهلة من الخرافات والخيال. وكل هذا بسبب شخصين اتفق أن ماتا فى وقت واحد.

قال أرمسترونج فى صوت خطير: ومع ذلك فقد كانت استنتاجاتنا سليمة. عجباً!.. إننى طبيب، وأفهم عندما يكون الأمر انتحاراً. لم يكن أنتونى مارستون بالذى ينتحر طواعية.

سأله لومبارد: ألا يمكن أن تكون وفاته قد وقعت عرضا.



قال بلور: إنه ليكون أمراً عجيباً عندئذ، وبخصوص المرأة.

ـ مسز روجرز؟

ـ نعم. إن موتها يمكن أن يكون قد وقع عرضا.

قال لومبارد: عرضا؟... وكيف ذلك؟

بدأ بلور متضايقا بعض الشىء، كان وجهه الأحمر بلون الطوب قد تحول إلى لون داكن، وتمتم يقول:

ـ ولكنك أعطيتها دواء يا دكتور.

ـ دواء؟... ماذا تقصد؟

ـ أنت نفسك قلت مساء أمس أنك ستعطيها شيئاً يساعدها على النوم.

ـ آه، نعم. منوم غير ضار.

ـ ماذا كان هذا المنوم؟ إننى أعطيتها جرعة صغيرة من التريونال، وهو دواء لا خطر منه على الإطلاق.

ازداد اضطرام وجه بلور وقال: ولكن، ألا يمكن أن تكون قد أعطيتها جرعة كبيرة منه؟

صاح الطبيب محنقا: ماذا تقول؟

ولكن بلور لم يتأثر وقال فى هدوء: من الممكن أن تكون أخطأت طبعا. أن مثل هذه الأخطاء تقع من وقت لآخر.

قال الدكتور فى لهجة قاطعة: إننى لم أرتكب أى خطأ، وأن هذا الإيحاء لفظيع!

وأردف يقول فى لهجة لاذعة وقد أحمر وجهه لفرط الغضب: أتهمنى صراحة بأننى أعطيت هذه المرأة جرعة قاتلة من التريونال!

تدخل فيليب لومبارد وقال يهدئ الرجلين: فليتمالك كل منكما نفسه، ولا داعى لأن يتهم بعضنا البعض.

قال بلور عابسا: إنما أحاول فقط أن أعرف إذا لم يكن الدكتور أرمسترونج قد أخطأ.

كشف الطبيب عن أسنانه فى ابتسامة غير متكلفة وقال فى غير مرح: أن الطبيب لا يمكن أن يسمح لنفسه بارتكاب مثل هذه الأخطاء الكبيرة يا صديقى.



قال بلور وهو يزن كلماته: إنها ما كانت لتكون الغلطة الأولى على كل حال إذا صدقنا تلك الأسطوانة.

شحب وجه أرمسترونج. وتحول لومبارد إلى بلور وقال غاضبا: ما معنى هذا الموقف التهجمي؟ أننا جميعا فى الهم سواء، ويجب أن نساند بعضنا البعض. فى مقدورنا نحن أيضاً أن نستجوبك أنت عن تلك الشهادة الكاذبة التى تكلم عنها صاحب الأسطوانة.

تقدم بلور خطوة وقد توترت قبضتاه، وأجاب فى صوت خشن: دعك من قصة الشهادة الكاذبة، فهى ليست إلا فرية. ومهما تكلمت أنت فإنك لن تمنعنى عن الكلام يا مستر لومبارد. بل إننى بحاجة إلى بعض التفسيرات منك أنت بالذات.

ـ منى أنا؟ نعم. أود أن تقول لى لماذا تحمل معك مسدساً، فى حين أنك أتيت هنا بصفتك مدعوا فحسب.

ـ أنك فضولى جداً يا مستر بلور.

ـ هذا حقى يا مستر لومبارد.

وفجأة قال هذا الأخير: أنك لست من الغباء كما يبدو عليك.

ـ هذا جائز. ولكن أجبنى بخصوص هذا المسدس.

ابتسم لومبارد وقال: إننى أتيت به معى لأننى كنت أتوقع أن أقع على وكر من اللصوص.

قال بلور متشككا: ولكنك لم تقل لنا هذا أمس، لقد خدعتنا.

أجاب لومبارد: نعم، نوعا ما.

ـ حسنا.. قل لنا الحقيقة الآن.

ـ قلت لكم أمس أننى مدعو هنا كجميع الآخرين. وليس هذا صحيحا، فالحقيقة أن رجلاً يهودياً اسمه موريس اتصل بى وعرض على مائة جنيه لكى آتى هنا وأفتح عينى. بل إنه أردف يقول إننى مشهور بأننى داهية فى المواقف العصيبة.

قال بلور يستحثه: حسنا.

أجاب لومبارد متذمرا: هذا كل شىء.

قال أرمسترونج: لا ريب أنه قال لك أكثر من هذا.



ـ كلا. لم أستطع أن أستخلص منه شيئاً آخر. قال لى إما أن تقبل وإما أن ترفض، ولما كنت مفلسا فقد قبلت.

سأله بلور مشدوها: لماذا لم تخبرنا بكل هذا أمس؟..

ـ أى صديقى العزيز، وكيف كان فى مقدورى أن أعرف إذا لم يكن حادث الأسطوانة هو السبب فى احضارى هنا؟

وقال له الدكتور أرمسترونج فى خبث: أما الآن فأنت ترى الأمور بطريقة أخرى؟..

تجهم وجه لومبارد وقال: نعم، فإننى أرى الآن أننى فى نفس الموقف معكم جميعا، وأن المائة جنيه كانت الطعم الذى نصبه لى مستر أوين لكى أقع فى الفخ مع الآخرين.

وبعد سكتة قصيرة استطرد يقول:

ـ لأننا وقعنا فى الفخ حقا، وإنى لعلى استعداد لكى أقسم على ذلك، وأن موت مسز روجرز وموت أنتونى مارستون واختفاء التمثالين الصغيرين من فوق المائدة لخير دليل على ذلك. نعم... أن يد مستر أوين ظاهرة فى كل مكان، ولكن أين يوجد مستر أوين هذا بحق الشيطان؟..

ودق الجرس يدعو الجميع إلى الغداء.

كان روجرز يقف على عتبة باب غرفة الطعام. وبينما كان الرجال الثلاثة يهبطون السلم تقدم روجرز نحوهم، وقال فى شىء من القلق: أرجو أن يرضيكم طعام الغداء. يوجد جامبون بارد ولسان بارد وبعض البطاطس، ويوجد أيضاً جبن وبسكويت وفواكه محفوظة.

قال أرمسترونج:

ـ هذه الأصناف تبدو لى مناسبة جداً. ألديك احتياطى كبير من الطعام؟

ـ نعم يا سيدى. وخصوصاً المعلبات. أن المخزن مجهز من جميعه، ومثل هذا الاحتياط ضرورى فى جزيرة يمكن ما بين يوم وآخر أن تعزلها عاصفة عن بقية العالم وقتا غير محدود.

قال لومبارد: هذا صحيح.

واستطرد يقول وهو يتبع الرجال الثلاثة داخل الغرفة: مما يؤسف له أن فريد فاراكوت لم يأت هذا الصباح... هذه كارثة.

دخلت مس برنت الغرفة، وكانت لفيفة الصوف قد أفلتت منها وراحت تلفها حول رسغها فى عناية.

وأقبل القاضى وورجريف بدوره، وكان يتقدم فى خطوات بطيئة ثابتة. ونظر إلى الرجال الثلاث نظرات حادة، وقال: أن يومكم كان مشحوناً جداً.

وكان فى صوته رنة من السخرية.

ودخلت فيرا كلايتون كالقنبلة. وكانت متقطعة الأنفاس، وقالت تعتذر: أرجو ألا أكون قد أرغمتكم على الانتظار. هل تأخرت؟

قالت أميلى برنت: أنت لست الأخيرة، فإن الجنرال لم يأت بعد.

وجلس الجميع حول المائدة. وقال روجرز يخاطب مس برنت: هل أقوم بالخدمة الآن حالا أم أنتظر.

قالت فيرا: أن الجنرال ماك أرثر جالس على شاطئ البحر، وأخشى ألا يكون قد سمع الجرس وهو فى مكانه هذا. وعلى كل حال.

وترددت ثم قالت: يبدو أنه ليس فى حالته الطبيعية اليوم.

أسرع روجرز يقول: سأمضى لكى أخبره أن الغداء جاهز.

ولكن الدكتور أرمسترونج هب واقفا وقال: أنا ذاهب إليه.

ولم يجد المدعوون الخمسة الذين يجلسون حول المائدة ما يتحدثون به، وفى الخارج، راح الهواء يصفر بشدة ثم يعود فيهدأ، وتنهدت فيرا وهى ترتجف، وقالت: ها هى العاصفة قد بدأت.

ودار روجرز بالمائدة لكى يرفع الصحاف. وفجأة توقف والأطباق فى يده، وقال فى صوت هلوع: إننى أسمع شخصا يجرى.

وفعلا، سمع الجميع صوت خطوات مسرعة فى الشرفة. وفى هذه اللحظة بالذات خمن الجميع تلقائيا ما حدث.

ونهضوا كلهم دفعة واحدة والتفتوا نحو الباب. ولم يلبث أن ظهر الدكتور أرمسترونج، وكان مبهور الأنفاس، وتمتم يقول: الجنرال ماك أرثر.

ـ مات؟.... أفلتت هذه الكلمة من بين شفتى فيرا.

ثم ساد صمت... صمت طويل... وتبادل الأشخاص السبعة الموجودون فى الغرفة النظر وهم لا يستطيعون النطق بكلمة واحدة.

وهبت العاصفة بينما كانوا يحملون جثة الجنرال داخل البيت، وكان باقى المدعوين يقفون بالبهو.



فى هذه اللحظة، بدأ الهواء يصفر ويرعد، ولم يلبث المطر أن راح يهطل سيلا، وبينما كان بلور وأرمسترونج يصعدان السلم بحملهما تحولت فيرا فجأة، ودخلت غرفة الطعام.

كانت الغرفة تبدو كما تركاها تماما. وكان الطعام لايزال على المائدة لم يقربه أحد، ومضت فيرا نحو المائدة. وبعد بضع لحظات دخل روجرز خلسة، وأجفل عندما رأى الفتاة، ثم نظر إلى المائدة بعين فاحصة وهو يقول: إننى أتيت لكى... لكى أرى يا آنسة.

وقالت فيرا فى صوت قاس أدهشها هى بالذات: إنك على حق يا روجرز... هأنت ترى بنفسك أنه لم يبق غير سبعة تماثيل.

ألقى الرجلان الجنرال ماك أرثر فوق فراشه، وبعد أن فحص الدكتور أرمسترونج الجثة فحصا أخيرا غادر الغرفة وهبط، ووجد الآخرين مجتمعين فى الصالون.

كانت مس برنت تطرز، أما فيرا كلايتون فقد وقفت بجوار النافذة، وراحت تنظر إلى المطر الذى يهطل كالسيل. وتربع بلور فى مقعد ويداه فوق ركبتيه، وأخذ لومبارد يذرع أرض الغرفة جيئة وذهابا فى انفعال فى حين جلس القاضى وورجريف فى آخر الغرفة وقد أطبق عينيه نصف اطباقه. ولكنه رفع جفنيه عندما دخل الدكتور أرمسترونج وقال فى صوت واضح: حسناً يا دكتور؟...

أجاب أرمسترونج وهو ممتقع اللون: ليست أزمة قلبية أو أى شىء من هذا القبيل... لقد ضرب ماك أرثر على مؤخرة رأسه بآلة حادة.

ارتفعت تمتمة خفيفة. ومرة أخرى قال القاضى فى وضوح: هل وجدت أداة الجريمة؟ كلا.

ـ ولكنك تبدو واثقا مما تقول مع ذلك؟ كل الثقة.

وقال القاضى فى هدوء تام: أصبحنا الآن نعرف موقفنا تماما.

لم يعد هناك شك الآن. أخذ القاضى الكهل الموقف فى يده. كان قد بقى فى مقعده، طوال الصباح جامدا لا يتحرك. أما الآن فقد تولى دفة التحقيق بكل السلطة التى تبيحها له سنواته الطويلة التى قضاها فى عمله، صفوة القول بدأ يرأس المحكمة.



وتنحنح، وبدأ الكلام قائلاً: إننى جلست صباح اليوم أيها السادة فى الشرفة، وتابعت تصرفاتكم وتحركاتكم. وقد فهمت نواياكم تماما، فأنتم قد فتشتم الجزيرة بحثا عن قاتل مجهول.

قال فيليب لومبارد:

ـ هذا صحيح يا سيدى.

واستطرد القاضى يقول: لاريب أنكم تشاركوننى الرأى فيما يتعلق بموت أنتونى مارستون ومسز روجرز، فهما لم يموتا عرضا، ولا يمكن القول بأنهما انتحرا. ولعلكم كونتم لأنفسكم رأيا كذلك فيما يتعلق بنوايا مستر أوين باجتذابنا إلى هذه الجزيرة.

صاح بلور فى صوت أجش: إنه مجنون... مخبول.

سعل القاضى وقال: هذا هو الواقع، ولكنه لا يغير شيئاً من نتائج أعماله، وعلينا أن نوحد جهودنا الآن لكى ننجو بأنفسنا.

قال الدكتور أرمسترونج فى صوت مضطرب: أؤكد لك أنه لا يوجد أحد فى الجزيرة... لا أحد على الإطلاق.

داعب القاضى وجنته وقال فى هدوء: لا أحد بالمعنى الذى تفهمه أنت. وقد توصلت، أنا نفسى، إلى هذه النتيجة صباح اليوم، وقد كان فى مقدورى أن أقول لكم أنه لا جدوى من أبحاثكم، ومع ذلك فإننى مقتنع بأن مستر أوين... ولنطلق عليه هذا الاسم الذى اختاره هو نفسه.. إننى مقتنع بأنه موجود فى الجزيرة، وإننى لمستعد على أن أقسم بحياتى على ما أقول. لقد صمم هذا الرجل على الاقتصاص من بعض الأشخاص الذين أفلتوا من القانون، ولا يمكن أن يملك غير وسيلة واحدة لكى ينفذ خطته، وهى أن يختلط بضحاياه.. من رأيى أن مستر أوين واحد منا نحن.

ـ أوه، كلا... كلا.

نطقت فيرا بهذه الكلمات فى احتجاج واهن، كما لو كانت تتأوه، ورماها القاضى بنظرة ثاقبة وقال: أى ابنتى العزيزة، ليس فى مقدورنا إلا أن ننحنى أمام الواقع. إن الوقت يمضى سراعا ونحن نتعرض لخطر دائم. واحد منا هو مستر أوين، ولا ندرى من هو. ومن الأشخاص العشرة الذين قدموا إلى الجزيرة مات أرثر، ولم يبق منا غير سبعة، وواحد منا نحن السبعة هو مستر أوين كما سبق أن قلت.



ولزم الصمت، وردد البصر حوله. وقال الدكتور أرمسترونج: هذا غريب!.. ولكن لعلك على حق.

وقال بلور: ليس هناك أى شك فى هذا. وإذا أردتم الاستماع إلى فإننى أريد أن أقترح عليكم شيئاً.

أوقفه القاضى وورجريف بحركة سريعة وقال: سوف نرى هذا حالا. أما الآن فيهمنى أن أعرف هل نحن متفقون فى هذه النقطة؟

قالت أميلى برنت وهى لا تزال تطرز: إن استنتاجك هذا يبدو لى منطقيا. نعم. إن واحداً منا يحركه الشيطان.

احتجت فيرا قائلة: ولكننى لا أستطيع أن أصدق هذا.

قال وورجريف: وأنت يا لومبارد؟

ـ إننى أشاركك الرأى يا سيدى.

أتى القاضى بإيماءة من رأسه فى ارتياح وقال:

ـ لنستمع الآن إلى أقوالكم. وأول كل شىء هل يجب أن نشتبه فى أحد على وجه الخصوص؟.. مستر بلور، أظن أنك كنت تريد أن تقول شيئاً؟

تنفس بلور بصعوبة وقال أخيراً: أن مع لومبارد مسدساً، وقد أخفى عنا هذه الحقيقة أمس. وهو يعترف بذلك على كل حال.

ابتسم فيليب لومبارد فى إزدراء وقال: أظن أن الحرص يدفعنى إلى أن أفسر لكم موقفى مرة أخرى.

وتكلم فى كلمات وجيزة، وقال بلور عندما فرغ: وما هو الدليل الذى يمكنك أن تقدمه لنا على ما تقول؟

سعل القاضى وقال: نحن جميعا فى الهم سواء للأسف. لا يمكن لأى منا أن يؤيد ما يقول.

وانحنى إلى الأمام واستطرد قائلاً:

ـ لا يبدو أن أحداً منكم قد أدرك هذا الموقف العجيب. ومن ناحيتى أنا، لا أرى غير طريقة واحدة. هل منكم من يمكن أن نستبعده طبقا للأقوال التى لدينا.

أسرع الدكتور أرمسترونج قائلاً: أنا طبيب معروف جداً. ومجرد فكرة أن من الممكن أن أكون موضع اشتباه...

أوقفه القاضى بحركة من يده وقال فى صوت حاد: أنا أيضاً رجل مشهور جداً، ولكن هذه النقطة لا تدل على شيء يا صديقى. لقد فقد أطباء كثيرون عقولهم، وأصيب قضاة معروفون بالجنون.

وأردف يقول وهو يتحول إلى بلور: وكذلك بعض رجال البوليس.

قال لومبارد: مهما يكن فإنه يطيب لى أن أعتقد أن السيدتين بعيدتين عن هذه الاتهامات.

رفع القاضى حاجبيه وقال بصوته الحاد الذى طالما سمعته قاعة المحكمة: هل يجب أن أستنتج من قولك هذا أن النساء معصومة من جنون الجريمة؟

أجاب لومبارد محنقا: كلا طبعا. ولكن يبدو أن من المستحيل..

وسكت. وتحول القاضى وورجريف إلى الطبيب وخاطبه قائلاً:

ـ أمن رأيك يا دكتور أن المرأة تملك من القوة البدنية ما يكفى لكى توجه الضربة التى قتلت ماك أرثر المسكين؟..

أجاب الطبيب بكل هدوء: تماما، إذا كانت تملك السلاح اللازم.. هراوة أو مطرقة من الكاوتشوك.

ـ ألا يتطلب ذلك مجهوداً كبيراً من ناحيتها؟ أبداً.

هز القاضى رأسه واستطرد يقول: أن الميتتين الأخريين حدثتا نتيجة لتناول السم، وهذه نقطة لا يمكن مناقشتها، وهى أن هذا العمل من الجائز أن يكون قد أقدم عليه شخص لا يتمتع بأية قوة بدنية.

صاحت فيرا فى حدة: لا شك أنك فقدت عقلك.

حول القاضى بصره إليها فى بطء، وشملها بنظرة الرجل الهادىء البارد الذى تعود على تقييم البشر. وفكرت هى تقول: أن هذا القاضى ينظر إلى كما لو كنت موضع تجربة..

وراودتها فكرة عجيبة حقا... إنه لا يحبنى أبدا.

ونصحها القاضى وهو متمكن جداً من نفسه: أى آنستى العزيزة أرجوك أن تسيطرى على مشاعرك. إننى لا أتهمك (وأنحنى نحو الآنسة برنت) وأرجو يا مس برنت ألا يصدمك إصرارى على اعتبار أننا جميعا نقع فى دائرة الشبهة.

لم ترفع مس برنت رأسها من تطريزها وأجابت فى برود: إن مجرد فكرة اتهامى بأننى تسببت فى موت واحدة من بنات جنسى لتبدو سخيفة ومضحكة لكل من يعرف طبعي، فما بالكم بموت ثلاثة أشخاص. بيد أنى

أفهم الموقف، وحيث أن كلا منا هنا غريب عن الآخر فلا يمكن أن ينجو أحد من الشبهة، ولابد لكل منا أن يقدم الأدلة القاطعة على براءته. وكما قلت لكم فإن وحشا رهيبا يعيش بيننا.

قال القاضى: نحن إذن متفقون. سنقوم بالتحرى بدون أى تحيز لأحد، ولن نقيم وزنا لأى واحد منا مهما كان مركزه الاجتماعى.

سأله لومبارد: وفيما يتعلق ببروجرز؟

قال القاضى دون أن يخفض عينيه: حسنا؟

أجاب لومبارد: من رأيى أننا يجب أن نستبعد روجرز.

ـ ولماذا من فضلك!..

ـ لأنه يفتقر أولا إلى الذكاء لكى يقوم بمثل هذا العمل، وثانيا لأن زوجته كانت الضحية الأولى.

رفع القاضى حاجبيه الكثيفين مرة أخرى وقال: رأيت فى شبابى أناسا يمثلون أمامى فى المحكمة متهمين بقتل زوجاتهم، وثبتت أدانتهم بالأدلة الدامغة.

ـ أوه.. إننى لا أحاول أن أكذبك. من المحتمل ان يقتل رجل زوجته، وهذا أمر طبيعي، ولكن روجرز لا ينطبق عليه هذا الاحتمال، وأستطيع أن أسلم بأنه ربما قتل زوجته خوفاً من أن تشى به. أو لأنه كرهها أو لكى يتزوج بفتاة صغيرة، ولكننى لا أستطيع أن أرى فيه مستر أوين الغامض الذى يقيم العدل على طريقته ويبدأ بأن يقتل زوجته لجريمة اشتركا فى ارتكابها.

قال القاضى وورجريف: أنكم كونتم رأيكم هذا استناداً إلى ما سمعتم عنهما. ولكننا لا نعرف إذا كان روجرز وزوجته قتلا سيدتهما حقا. من الجائز أن تكون التهمة كاذبة ولا سبب لها إلا وضع روجرز قد يكون مبعثه أنها تحققت فجأة من جنون زوجها.

قال لومبارد: لك مطلق الحرية فى أن تفكر هكذا. ولكننا معك فى أن مستر أوين واحد منا دون أى استثناء.

ـ أعود فأقول إننى لن أستثنى أى أحد، ولن أقيم أى وزن لشخصية أى أحد أو لمركزه الاجتماعى. والآن يهمنى أن أفحص حالة كل منا استناداً إلى الحقائق، وبمعنى آخر، هل يوجد بيننا شخص أو أكثر لم يكن باستطاعتهم دس السم لأنتونى مارستون أو وضع مخدر لمسز روجرز وضرب الجنرال ماك أرثر.

انبسطت أسارير بلور وانحنى إلى الأمام وقال:

ـ إنك أحسنت القول يا سيدى. لابد لنا من تحرى هذا الأمر. وفيما يتعلق بأنتونى مارستون فإننى لا أرى كيف نحدد الجانى. فقد سبق أن أثبتنا أن السم قد دسه أحد من الخارج من خلال النافذة المفتوحة فى كأس مارستون قبل أن يصب فيها الشراب للمرة الأخيرة. وقد كان فى مقدور أى شخص فى الغرفة أن يدس السم فى الكأس ولا أذكر هل كان روجرز موجودا داخل الغرفة فى ذلك الوقت. ولكن جميع الآخرين كانوا متواجدين فيها.

واستطرد يقول بعد لحظة صمت: لننتقل الآن إلى مقتل مسز روجرز. هناك مشبوهان فى هذه الجريمة بالذات وهما الزوج والطبيب.

نهض أرمستروفج وهو يرتجف. وقال: إننى أحتج. هذا الإيحاء غير متوقع، وأقسم أننى لم أعط هذه المرأة إلا كمية من المخدر لكى...

ـ دكتور أرمستروفج!

كان القاضى يدعو بصوته الضعيف الطبيب إلى مزيد من الاعتدال، فسكت الطبيب فى منتصف عبارته، واستطرد القاضى يقول: أن سخطك طبيعى جداً، ولكن لا شك أنك تفهم أنه لابد من مواجهة الحقائق... كانت لديك أنت وروجرز كل الإمكانيات لإعطاء مسز روجرز الجرعة القاتلة. ولندرس الآن موقف المدعوين الآخرين. ما هى الإمكانيات التى كانت لدينا، أنا والمفتش بلور ومس برنت ومس كلايتون ومستر لومبارد لدس السم لها. هل يمكن أن نبرىء ساحة أى واحد منا. لا أظن ذلك.

صاحت فيرا غاضبة: لم أقترب من هذه المرأة، وكلكم تشهدون على ذلك.

فكر القاضى وورجريف لحظة ثم قال: إليكم ما حدث بقدر ما أذكر. وأرجوكم أن تتفضلوا بتصحيح الخطأ إذا أنا أخطأت. حمل أنتونى مارستون ومستر لومبارد مسز روجرز إلى الأريكة ،ومضى الدكتور أرمستروفج لفحصها. وأرسل روجرز لكى يأتى ببعض البراندى. وعندئذ انشغلنا وأردنا أن نعرف من أين أتى الصوت المتهم ومضينا إلى الغرفة المجاورة فيما عدا مس برنت التى بقيت فى الصالون. وحدها مع المرأة المغمى عليها.

اصطبغت وجنتا أميلى برنت وألقت عنها تطريزها وقالت: فظيع.!

وعاد القاضى وورجريف يقول بصوته الحاد فى غير رقة: وعندما عدنا إلى هذه الغرفة كنت منحنية فوق المرأة الممدة يا مس برنت.

أجابت أميلى برنت: أتكون الشفقة جريمة فى عينيك؟..

قال وورجريف: إنما أكتفى بذكر الحقائق. وفى تلك اللحظة عاد روجرز بالبراندى، ومن الجائز أن يكون قد دس به المخدر قبل ذلك. وشربت المرأة الكأس، وبعد ذلك بقليل ساعدها زوجها والدكتور أرمستروفج فى الاستلقاء للنوم وأعطاها الطبيب منوما.

قال بلور: هذا هو ما حدث. ونبقى بعد ذلك، أنا والقاضى ومستر لومبارد ومس كلايتون بعيدين عن كل شك.

نطق المفتش السابق بهذه العبارة فى صوت قوى وفى لهجة الانتصار، ونظر القاضى وورجريف إليه فى برود وقال: آه، هل تظن ذلك؟ يجب أن نواجه أقل احتمال.

اتسعت عينا بلور وقال: إننى لا أفهمك.

قال القاضى وورجريف: استلقت مسز روجرز فى فراشها وبدأ المنوم الذى أعطاه لها الدكتور أرمستروفج يأتى بمفعوله، فنامت وفقدت كل إرادة لها. لنفرض أن أحداً جاءها فى هذه اللحظة وأيقظها وأعطاها قرصا أو جرعة وهو يقول لها: أن الدكتور يريد أن تأخذى هذا الدواء. فهل تشكون لحظة واحدة فى أنها لم تزدرده بكل هدوء وبدون أى تفكير.

ساد صمت. وحرك بلور قدميه وتجهم جبينه، وتكلم فيليب لومبارد فقال: لا أستطيع أن أقبل هذه الرواية. لم يغادر أحد الصالون ساعات طويلة، بعد أن نقلت مسز روجرز إلى غرفتها، ثم حدثت بعد ذلك وفاة مارستون.

قاطعه القاضى قائلاً: ربما غادر أحدنا غرفة نومه فيما بعد.

تحرك الدكتور أرمستروفج فى انفعال وقال: كلا. لقد هبط روجرز لكى يرفع الصحاف ويرتب المطبخ. وكان فى مقدورى أى أحد أن يدخل غرفة مسز روجرز من غير أن يراه الباقون.

وقالت أميلى برنت: ولكن هذه المرأة كانت مستغرقة فى النوم من تأثير المخدر الذى أعطيته إياها يا دكتور؟

ـ نعم، طبقا لكل الاحتمالات . ولكننا لا نستطيع أن نتأكد من ذلك. إذا لم نصف الدواء للمريض فإننا لا نستطيع أن نتوقع رد الفعل الذى يحدث

عنده. وأحيانا يمر وقت طويل قبل أن يأتى المنوم بمفعوله. والأمر كله متعلق بطبع المريض.

قال لومبارد: أنك تقول لنا ما تريد أن تقول يا دكتور.

ومن جديد تجهم وجه أرمسترونج، ومرة أخرى أوقف الصوت الضعيف البارد الاحتجاج على شفتى الطبيب فقد قال القاضى: أن تبادل الشتائم والسباب لن يقودنا إلى أية نتيجة. إنما الحقائق وحدها هى التى تهم. وكل منا سيقول طواعية أن أحداً منا قد استطاع أن يصعد إلى غرفة مسز روجرز كما سبق أن قلت. واعترف لكم أن هذه النظرية ليست لها إلا قيمة نسبية وأن ظهور مس أميلى برنت أو مس فيرا كلايتون أمام المريضة ما كان ليثير عند هذه الأخيرة أية دهشة فى حين لو أن أحداً منا، أنا أو لومبارد أو بلور ظهر أمامها لأثار ظهوره شكوك المرأة وريبتها.

سأله بلور: وأين يقودنا كل هذا؟..

داعب القاضى وورجريف شفتيه وقال بصوته البارد الهادئ: أننا درسنا الآن ظروف الجريمة الثانية وأثبتنا أن الشبهات تحوط بكل واحد منا.

وسكت سكتة قصيرة ثم سعل وقال: ونصل الآن إلى وفاة الجنرال ماك أرثر التى وقعت صباح اليوم، وأرجو كل من لديه دليل نفى منكم أن يعرضه على فى إيجاز، وأنا نفسى أعترف أننى لا أستطيع أن أقدم دليل نفى معقول، فقد قضيت طوال الصباح جالسا فى الشرفة أفكر فى الأحداث الغريبة التى مرت بنا منذ مساء أمس فى هذه الجزيرة.

«بقيت جالسا فى الشرفة حتى سمعت رنين جرس الغداء، ولكن كانت هناك أوقات كثيرة لم يهتم بى أحد أثناءها، وكان من السهل على أن أهبط حتى ساحل البحر وأن أقتل الجنرال ثم أعود إلى مكانى ثانية. وأؤكد لكم أننى لم أبرح مكانى مطلقا.

قال بلور: أما أنا فقد كنت مع مستر لومبارد والدكتور أرمسترونج، وكل منهما يمكن أن يشهد بذلك.

قال الدكتور أرمسترونج: ولكنك عدت إلى البيت لكى تبحث عن حبل.

قال بلور: هذا صحيح. ولكننى لم أزد عن الذهاب والإياب.

ـ بل أخذت وقتا طويلاً.

أحمر وجه بلور وصاح: ماذا تقصد بحق الشيطان يا دكتور.

عاد أرمسترونج يقول: أقول فقط أنك أخذت وقتاً طويلاً فى هذه المهمة.

ـ كان لابد لى من أن أبحث عن الحبل. فلم يكن من المعقول أن أجد الحبل الذى نريده بالذات فى دقيقة واحدة.

تدخل القاضى وورجريف وقال موجها الحديث إليهما: هل بقيتما معا أثناء غياب المفتش بلور؟..

ـ بحثت عن أفضل مكان لكى أرسل إشارات شمسية إلى الشاطىء، ولم أغب أكثر من دقيقة أو دقيقتين لأننى لم أجد مكانا مناسباً لذلك.

هز الدكتور أرمسترونج رأسه موافقا وقال: هذا صحيح. لم يتغيب ما يكفى من الوقت لكى يرتكب جريمة قتل.

قال القاضى: هل نظر أحدكما إلى الساعة عندئذ؟..

ـ إذا أردت الحق فلا.

وأردف لومبارد يقول: ثم إننى لا أحمل ساعة أبداً.

قال القاضى فى صوت رتيب: أن دقيقة أو دقيقتين لأمر مبهم.

ثم تحول إلى مس برنت بعد ذلك، وكانت جالسة معتدلة القامة، وتطريزها فوق ركبتيها وقال: وأنت يا مس برنت؟... ماذا فعلت صباح اليوم؟..

ـ أننى مضيت إلى قمة الجزيرة مع مس كلايتون، ثم جلست بعد ذلك فى الشرفة لكى أتدفأ تحت أشعة الشمس.

قال القاضى: ولكننى لا أتذكر إننى رأيتك.

ـ ليس هذا بالأمر الغريب، فقد جلست فى الزاوية الشرقية من البيت. بعيداً عن التيارات الهوائية.

ـ وهل بقيت مكانك هذا حتى دق الجرس؟

ـ نعم يا سيدى.

ـ وأنت يا مس كلايتون؟..

أسرعت فيرا تقول فى صوت واضح: إننى تنزهت صباح اليوم مع مسز برنت فعلاً، ثم أخذت أتمشى فى الجزيرة، وجلست مع الجنرال ماك أرثر حيث تبادلت الحديث معه.

قاطعها القاضى قائلاً: وكم كانت الساعة عندئذ؟...

ولأول مرة تهربت فيرا من الرد إذ قالت: لا أدرى. قبل موعد الغداء بساعة تقريباً. أو قبله بقليل.



سألها بلور: أكان ذلك قبل حديثنا معه أو بعده؟..

ـ لا أدرى. وجدت أمره غريباً على كل حال.

قال القاضى: وما وجه الغرابة؟

أجابت فيرا فى صوت خافت: قال لى أننا سنموت جميعا، وأنه ينتظر النهاية، وقد أخافنى.

هز القاضى رأسه واستطرد يقول: وماذا فعلت بعد ذلك؟

ـ عدت إلى البيت ثم خرجت على الفور قبل الغداء وذهبت خلف البيت. أحسست طوال اليوم بانفعال كبير.

داعب القاضى وورجريف ذقنه وقال: لم يعد أمامنا إلا أن نسأل روجرز، ولا أظن أن شهادته ستضيف شيئاً.

ونودى روجرز أمام هذه المحكمة الخاصة، ولكنه لم يستطع أن يقول الكثير، فقد قضى كل الصباح فى أعمال البيت وإعداد الطعام. وبعد الغداء قدم الكوكتيل فى الشرفة ثم صعد إلى غرفته، وجمع حوائجه ونقلها إلى غرفة صغيرة بالدور الأول ولم يلق نظرة واحدة من النافذة طوال الوقت، وبناء على ذلك لا يعرف شيئاً يمكن أن يلقى الضوء على وفاة الجنرال ماك أرثر.

وعندما فرغ الخادم من أقواله خيم صمت عميق فى الصالون.

وتنحنح القاضى وورجريف ثم قال: أننا تحرينا الظروف التى دارت بهذه الوفيات الثلاث. وهناك احتمالات كثيرة تدور حول البعض منا، ولكننا لا نستطيع أن نقول مع ذلك بصفة قاطعة أن الآخرين أبرياء تماما. وإننى أعود فأقول أنه يوجد بيننا، نحن السبعة، قاتل خطير ومجنون دون أى شك. ولا نستطيع أن نعرف من هو هذا الشخص، كما أننا لا نستطيع، فى الوقت الحالى، الاتصال بالشاطئ لطلب النجدة، ولكن إذا تأخرت هذه النجدة، وحالة الطقس الحالية تدل على أنها ستتأخر، فلابد لنا من اتخاذ الاحتياطات اللازمة لتأمين سلامتنا.

وأكون شاكراً لكم لو أنكم فكرتم فى كل هذا وأطلعتمونى على اقتراحاتكم، وفى أثناء ذلك أوصى كل منكم أن يكون على حذر، فإن مهمة القاتل حتى الآن كانت سهلة جداً لأن ضحاياه لم يشكوا فى شىء. ولكن الواجب يهيب بنا الآن أن يشك كل منا فى الآخر. والرجل الحذر لا يمكن أن يؤخذ على غرة. لا داعى للمجازفة، وتجنبوا كل خطر. هذا ما لدى فى الوقت الحاضر.



همس فيليب لومبارد يقول ساخراً: رفعت الجلسة.

* * *

قالت فيرا: هل تظن أن هذا صحيح؟

كانت جالسة على المقعد الصغير بجوار النافذة، فى غرفة الصالون. وكان المطر يهطل كالسيل والهواء يصفر ويرتطم بالألواح الزجاجية.

وأحنى فيليب لومبارد رأسه جانبا قبل أن يقول: هل تسألينني إذا كان صحيحاً ما يؤكده القاضى وورجريف من أن مستر أوين لابد أن يكون واحداً منا؟ نعم.

ـ من الصعب أن أرد عليك يا آنسة. أن المنطق يقول أنه على حق، ومع ذلك...

وانتزعت فيرا الكلمات من بين شفتيه انتزاعا فقال: ومع ذلك فإن الأمر يبدو بعيد الاحتمال ولا يمكن تصديقه. أن القصة كلها عجيبة، ولكن وضحت نقطة بعد موت ماك أرثر على كل حال، وهى أننا لسنا أمام حوادث قتل وقعت قضاء وقدرا أو حالات انتحارية، وإنما أمام جرائم، ثلاث جرائم قتل.

سرت الرعشة فى بدن فيرا وقالت: يخيل لى أننى أعيش كابوسا. ومازلت أعتقد أن مثل هذه الأمور مستحيلة الوقوع.

ـ أننى أفهمك... إننا نرى كل هذا فى منام، ولن نلبث أن نسمع طرقا على الباب، فتدخل الخادمة وبين يديها صينية الشاى.

صاحت فيرا: آه.... ليتك تقول حقا!

وأردف فيليب لومبارد يقول فى خطورة: مما يؤسف له أننا مشتركون جميعا فى هذا الكابوس الرهيب، ولابد لكل منا أن يكون فى منتهى الحذر الآن.

وقالت فيرا وهى تخافت من صوتها: لو... لو أنه واحد منا، فمن تظنه يكون؟

ضحك لومبارد فى سخرية وقال: أرى أنك استثنيتنا نحن الاثنين، وإننى أوافقك على ذلك، فإننى أعرف تماما أننى لست القاتل. أما أنت يا فيرا فإننى أعتقد أنك سليمة العقل، بل إنك أذكى وأعقل فتاة عرفتها، وأقسم على ذلك بشرفى.

أجابت وهى تبتسم ابتسامة خبيثة: أشكرك يا مستر لومبارد.

ـ ولكن ألا تردين لى المجاملة يا مس فيرا كلايتون.

أجابت فيرا بعد تردد يسير: ولكنك اعترفت أنت نفسك بأنك لا تعلق أية أهمية على حياة البشر. ومع ذلك فلا أظن أنك أنت الذى سجلت تلك الأسطوانة.



- إنك على حق، فلو أننى فكرت فى ارتكاب جريمة قتل أو عدة جرائم فلن أفعل ذلك إلا فى سبيل المنفعة المادية، فلست أرى أية فائدة فى مثل هذا القصاص الجماعى. اتفقنا إذن. لنستبعد كلا منا من قائمة المشبوهين ولنركز اهتمامنا فى زملائنا الخمسة. من منهم مستر أوين؟... إننى لأول وهلة، ودون أى دليل أراهن على أنه هو وورجريف.

صاحت فيرا مشدوهة: أوه...

ثم سألته بعد لحظة تفكير: لماذا؟...

- لا أدرى بالضبط. أول كل شىء لأنه رجل مسن، ولأنه رأس المحاكم طوال سنوات. ويقول آخر أنه أقام بدور أله العدل والانتقام بضعة شهور من كل سنة، وهذه السلطة المقدسة يحتمل أن تدير رأس كثير من الرجال، ولعل وورجريف حسب نفسه أنه العلى القدير وأن فى يده حياة البشر وموتهم، فاختل عقله وأعتبر نفسه القاضى الأعلى والجلاد.

قالت فيرا: هذا جائز جداً.

- وما رأيك أنت فيمن يكون مستر أوين؟

أجابت فيرا دون أى تردد: أظن أنه الدكتور أرمسترونج.

أطلق لومبارد صفيرا يدل على دهشته، وقال: الطبيب؟.. إنه آخر شخص كنت أفكر فيه.

هزت فيرا رأسها وقالت: أبداً. لقد مات شخصان بالسم، والسم يشير إلى الطبيب، ثم إنك لا تستطيع أن تنكر أن الدكتور أرمسترونج هو الذى قدم المنوم لمسز روجرز.

قال لومبارد: الواقع أن هذا صحيح.

أصرت فيرا على اتهامها وقالت: وعندما يصاب الطبيب بالجنون فإنه يتعذر اكتشاف ذلك. ولكن كثيرين من الأطباء يرهقون أنفسهم فيختل منهم العقل.

قال فيليب: اتفقنا. ولكننى لا أعتقد أن أرمسترونج استطاع أن يقتل الجنرال ماك أرثر، فإنه لم يجد الوقت الكافى لذلك أثناء الفترة القصيرة التى تركته فيها وحده... إلا إذا كان قد راح يعدو كالأرنب ثم أسرع بالعودة كذلك، بيد أن قلة مرانه الطبيعى لا يسمح له أن يقوم بمثل هذا العمل.

ولكن فيرا قالت فى إصرار: أنه لم يقتله فى ذلك الوقت، وإنما عرضت له الفرصة لذلك فيما بعد.



- متى؟... عندما مضى لكى يدعوه للغداء.

راح فيليب يصغى فى هدوء ثم قال: أنت تظنين إذن أنه ارتكب الجريمة عندئذ؟... لو أن ذلك صحيح فإنه ليكون رجلاً مجازفاً.

قالت فيرا فى فروغ صبر:

- وفيم المجازفة؟.. لا أحد بيننا على دراية طبية غيره، وفى استطاعته أن يقسم أن الوفاة قد وقعت قبل ذلك بساعة دون أن يخالفه أحد.

نظر فيليب إلى الفتاة فى تفكير وقال: أهنئك. إن تفسيرك هذا يدل على براعة كبيرة منك، وإننى لأتساءل...

- من هو القاتل يا مستر بلور؟... أود لو أن أعرفه..

كان روجرز يبدو قلقا مهموما. وأجابه المفتش السابق بلور:

هذا هو السؤال الذى ألقيه على نفسى يا صاحبى.

- لقد قال وورجريف أنه واحد منا، ولكن من هو؟ هذا ما أريد معرفته... من هو هذا الشيطان الذى على صورة البشر؟

- إننا نود جميعا أن نعرف ذلك.

قال روجرز فى إصرار: ولكن لا ريب أن لديك فكرة يا مستر بلور.. أليس كذلك؟

أجاب بلور:

- ربما. إن لدى شكوكا. ولكننى لست متأكداً، وقد أكون مخطئا، ولكن حتى إذا لم أكن كذلك فإن الشخص الذى أشك فيه جرىء... جرىء جرأة الشيطان.

جفف روجرز العرق الذى يسيل فوق جبينه وقال فى صوت أجش: كل هذا يبدو كالكابوس.

سأله بلور وهو ينظر إليه نظرة غريبة: وأنت يا روجرز... ألديك فكرة؟..

هز الخادم رأسه وقال: لا أدرى... لا أدرى أبداً.. وهذا هو ما يخيفنى أكثر من أى شىء.. فيمن أستطيع أن أشك؟

صاح الدكتور أرمسترونج محنقا: لابد لنا من الخروج من هنا.

نظر القاضى وورجريف من نافذة غرفة التدخين نظرة حالمة. كان يلهو بشريط نظارته. وقال: لا أزعم أننى أستطيع التنبؤ بالأحوال الجوية، ولكن يبدو لى أن الاحتمال قليل فى قدوم أى مركب إلى الجزيرة قبل أربع

وعشرين ساعة، حتى ولو عرف الأهالى الموقف المفجع الذى نعانيه، وذلك على شرط أن تهدأ الرياح.

دفن الدكتور أرمسترونج رأسه بين يديه وقال: وفى أثناء ذلك فقد يقتلنا مستر أوين جميعا ونحن نيام.

أجاب القاضى وورجريف: أنا لست متشائما مثلك، وسأتخذ كل الاحتياطات الممكنة لكى أتجنب هذا المصير.

فكر الدكتور أرمسترونج أن مستر وورجريف، على الرغم من السن المتقدمة التى بلغها، يتشبث بالحياة أكثر مما يتشبث بها من هم أصغر منه سنا. وقد لاحظ هذه الظاهرة كثيراً فى حياته الطبية. وهو نفسه يصغر القاضى بنحو عشرين سنة، ولكن غريزة البقاء عنده تبدو له أقل حدة ومضاء. وقال فى صوت مسموع: وقد قتل ثلاثة منا حتى الآن.

قال وورجريف: هذا صحيح. ولكن لا تنس أنهم أخذوا على غرة، بينما أصبحنا نحن على حذر.

قال أرمسترونج فى مرارة: ولكن ماذا نستطيع أن نفعل؟..

أجاب وورجريف: إننى سأتخذ إجراءات كثيرة.

- ولكننا لا نعرف ممن ينبغى أن نكون على حذر.

داعب القاضى ذقنه وتمتم يقول: لن أقول مثل هذا القول.

حدق أرمسترونج فيه وقال: إذن فأنت تعرف من هو؟..

قال القاضى وورجريف فى حذر: إذا تكلمنا عن الأدلة التى تمكن أن تعترف بها المحكمة فإننى أعترف بأننى لا أملك شيئاً منها، ولكننى إذا راجعت الحقائق كما يجب فإننى أستطيع أن أهتدى إلى القاتل تماما.

صاح أرمسترونج وهو لايزال محدقا فى القاضى: إننى لا أفهم.

أوت مس أميلى برنت إلى غرفة نومها وأخذت إنجليها وجلست بجوار النافذة، وفتحت الكتاب ولكنها ترددت دقيقة ثم وضعته جانبا، ومضت إلى منضدة الزينة وفتحت أحد أدراجها، وأخذت منه دفترا صغيراً ذا جلدة سوداء فتحته وراحت تكتب:

«وقع الآن مصاب كبير، فقد مات الجنرال ماك أرثر، وليس هناك أى شك فى أنه مات مقتولاً. وبعد أن فرغنا من الطعام ألقى القاضى محاضرة صغيرة على جانب من الأهمية. إنه مقتنع بأن الجانى واحد منا، وبمعنى آخر، أن

واحدا منا به مس من الشيطان وأنا واثقة من ذلك.. ولكن من عساه يكون؟.. هذا هو السؤال الذى يدور فى ذهن كل منا. ولكننى، أنا وحدى أعرف...

وبقيت لحظة لا تتحرك، وقد غشيت عيناها سحابة، وارتجف القلم فى يدها ثم كتبت فى خط كبير واضح: «أن القاتلة تدعى بياتريس تيلور».

وأطبقت عينيها.

وفجأة أفاقت وهى ترتجف، ونظرت إلى الدفتر المفتوح أمامها، وأطلقت صيحة غاضبة وهى تقرأ العبارة الأخيرة ثم تمتمت تقول: هذا غير ممكن. هل أنا التى كتبت هذا، لا ريب أننى سوف أجن.

اشتدت العاصفة حدة.. وراحت الرياح تصفر حول البيت.

وكانوا قد اجتمعوا جميعا فى الصالون الصغير، وراح كل منهم ينظر إلى الآخر خلسة.

وعندما دخل روجرز وبين يديه صينية الشاى أجفل الجميع، وقال: هل يجب أن أسدل الستائر؟.. سوف يزداد المكان ظلمة.

وإذ ردوا بالإيجاب أسدل الستائر وأضاء النور فأشاع البهجة فى الغرفة على الفور وتلاشت الظلال. غدا سوف تهدأ العاصفة ويأتى الزورق.

وقالت فيرا كلايتون: هل لك أن تصبى الشاى يا مس برنت؟

أجابت العانس العجوز: كلا. أرجو أن تصبيه أنت يا عزيزتى.. إن الأبريق ثقيل جداً.. ثم أننى فقدت لفيفتين من الصوف الرمادى، وهذا الأمر وحده يثير قلقى.

اقتربت فيرا من المائدة وراحت تصب الشاى. وبدأ أن كل شىء قد استعاد مجراه الطبيعى، فإن الشاى بالنسبة للإنجليز عادة مقدسة. ونطق فيليب لومبارد بمزحة رد عليها بلور فى مرح. وروى الدكتور أرمسترونج نادرة مضحكة وراح القاضى وورجريف يحتسى الشاى فى سرور ظاهر مع أنه كان يكرهه عادة.

وفى وسط هذا الجو المرح، أقبل روجرز، وكان مقلوب السحنة. وقال فى انفعال: معذرة سيداتى، سادتى. هل يعرف أحدكم ماذا حدث لستارة غرفة الحمام.

رفع لومبارد رأسه على الفور وقال: ستارة غرفة الحمام؟.. ما هذا الذى تقول يا روجرز؟

- أنها اختفت يا سيدى. لم تعد فى مكانها أمام النافذة. كنت أدور بالغرف لإسدال الستائر ولم أجد ستارة غرفة الحمام.

سأله القاضى وورجريف: هل كانت موجودة صباح اليوم؟

- أوه... نعم يا سيدى. ومن أى نوع هى؟..

- من الحرير الأحمر... كانت تنسجم مع بلاط الغرفة الأحمر.

سأله لومبارد: واختفت؟

- نعم يا سيدى.

تبادل المدعوون النظر ، وقال بلور فى بطء: لا أهمية لهذا على كل حال. أن اختفاءها عجيب... ككل شىء هنا.. ولكن لا داعى للقلق. لا يمكن قتل أحد بستارة من الحرير... فلنفكر الآن فى شىء آخر.

قال روجرز: حسنا يا سيدى... شكرا.

وخرج، وأغلق الباب خلفه.

وفى الصالون، خيم الخوف من جديد. ومرة أخرى، راح المدعوون يختلسون النظر إلى بعضهم البعض.

وجاءت ساعة العشاء، وتناولوا الطعام. وكان مكونا من المعلبات. ورفعت البقايا سريعا.

وخيم فى الصالون، بعد ذلك، جو من التوتر غير محتمل.

وفى الساعة التاسعة نهضت أميلى برنت وقالت: سأذهب لكى أنام.

وقالت فيرا: وأنا أيضاً.

وصعدت المرأتان السلم يرافقهما لومبارد وبلور. ووقف الرجال على البسطة ينظرون إلى فيرا كلايتون وأميلى برنت يدخلان إلى غرفتيهما. وسمعا صوت المزلاجين خلف البابين، كما سمعا صوت المفتاحين وهما يدوران من الداخل.

وقال بلور فى سخرية: لم نكن بحاجة إلى أن ننصحهما بإيصاد بابيهما.

وقال لومبارد: إنهما فى أمان الليلة على كل حال.

وهبط السلم، وتبعه الآخر.

وأوى الرجال إلى غرفهم بعد ساعة، وصعدوا فى وقت واحد. ونظر روجرز وهو واقف فى غرفة الطعام حيث كان يعد المائدة لإفطار الغد، نظر إليهم وهم يصعدون وسمعهم يتوقفون عند أول بسطة. وارتفع صوت

القاضى يقول: لا داعى لأن أنصحكم أيها السادة بأن تغلقوا أبوابكم جيداً.

وعقب بلور يقول: ولا تنسوا أن تضعوا مقعدا تحت الأكرة، فإن فى الإمكان فتح الباب من الخارج.

قال لومبارد: إنك أردى منا بكثير حقا يا عزيزى بلور.

وقال القاضى فى صوت خطير: طابت ليلتكم أيها السادة. أتمنى أن نكون غدا صباحا سالمين ومعافين.

خرج روجرز من غرفة الطعام وصعد السلم فى هدوء. ورأى الرجال الأربعة يختفون خلف أبوابهم. وسمع كلا منهم يضع المزلاج ويدير المفتاح فتمتم يقول: هذا احتياط جميل.

ثم هبط إلى غرفة الطعام.

لقد فرغ الآن من إعداد كل شىء من أجل الصباح. وتأخرت عينه على وسط المنضدة. وأحصى التماثيل الصغيرة فإذا بها سبعة. وقطب جبينه وهو يقول: سأحرص على ألا يقدم أحد على أية مزحة أثناء الليل.

واجتاز الغرفة وأغلق الباب المؤدى إلى المطبخ بالمفتاح؟ ثم مضى إلى البهو من الباب الآخر وأغلقه هو الآخر بالمفتاح ووضع المفتاح فى جيبه.

وأطفأ الأنوار بعد ذلك ثم مضى إلى غرفته فى خطوات خفيفة.

لم يكن فى هذه الغرفة غير مكان واحد يمكن الاختفاء فيه وهو الدولاب الكبير. وأسرع بفحصه على الفور ثم أغلق الباب بالمفتاح والمزلاج، واستلقى فوق الفراش وهو يقول: لن يلمس أحد التماثيل الصغيرة الليلة، فقد أحتطت للأمر.

* * *

استيقظ فيليب لومبارد فى ذلك الصباح فى الفجر كعادته. واعتمد على مرفقه وأرهف السمع. كانت الرياح قد هدأت بعض الشىء، ولكنها كانت لا تزال تعصف. بيد أنه لم يسمع صوت هطول أمطار.

وعادت الرياح فاشتد عصفها من جديد، ولكن لومبارد كان قد غرق فى النوم.

وفى الساعة التاسعة والنصف جلس على فراشة ونظر إلى المنبه ثم قلب شفتيه وكشف عن أسنانه فى ابتسامة أشبه بتكشيرة الذئب، وتمتم يقول: أن الأوان لوضع حد لكل هذه الجرائم.



وفى الساعة العاشرة إلا خمس وعشرين دقيقة كان يطرق باب بلور الموصد بالمفتاح.

وأقبل مفتش البوليس السابق، وفتح الباب فى حذر. وكان شعره لايزال مشعثا، وجفناه وأرمين من أثر النوم، وقال له فيليب لومبارد فى رفق: هل ستقضى طوال النهار نائما؟.. هذا دليل على أنه أنك ناعم البال.

سأله بلور: ماذا حدث؟

- ألم يأت روجرز لإيقاظك ومعه الشاى؟ هل تعرف كم الساعة الآن؟

استدار بلور ونظر إلى المنبه الموضوع بجوار الفراش، وقال: العاشرة إلا الثلث!... ما كان يخطر ببالى أننى سأظل راقداً كل هذه المدة. أين روجرز؟

- سأرد عليك بنفس السؤال. ماذا تعنى؟..

- أعنى أننى لا أدرى أين هو. إنه ليس فى غرفته، ولا فى المطبخ، والغلاية ليست على النار، بل إنه لم يشعل النار فى المطبخ على الإطلاق.

كتم بلور غضبه وقال فى صوت عال: وأين هو بحق الشيطان. لاريب أنه يتمشى فى الجزيرة. انتظر حتى أرتدى ثيابى. وفى هذه الأثناء، يمكنك أن تسأل عنه الآخرين.

وسار فيليب لومبارد نحو الأبواب الموصدة.

ووجد الدكتور أرمسترونج وقد فرغ من ارتداء ثيابه تقريباً.. أما القاضى وورجريف فقد انتزع من نومه كما انتزع بلور. وكانت فيرا كلايتون قد استعدت للهبوط، أما أميلى برنت فلم تكن فى غرفتها.

وقامت الجماعة الصغيرة بتفتيش البيت. كانت غرفة روجرز شاغرة، كما قال لومبارد، وكان الفراش غير مرتب، وموس الحلاقة والصابون والمنشفة لم تجف بعد. وقال لومبارد: لقد صحا روجرز من نومه كالمعتاد.

وقالت فيرا فى صوت خافت وهى تحاول أن تخفى انفعالها: ألا تظنون أنه يختبىء فى مكان ما ويراقبنا؟

قال لومبارد: لا شىء يمكن أن يثير دهشتى بعد اليوم يا صديقتى العزيزة. من الأوفق أن نبقى جنبا إلى جنب طالما لم نعثر عليه.

قال الدكتور أرمسترونج: من رأيى أنه ربما تفرغ لعمل ما فى الجزيرة.

وانضم بلور إليهم بعد أن ارتدى ثيابه، ولكن دون أن يحلق لحيته وقال:

- أين مس برنت؟.. أهو سر آخر؟..



وفيما هم يهبطون إلى البهو دخلت أميلى برنت من الباب العمومى، وكانت تلبس مطعفا واقيا من المطر، وقالت: أن البحر هائج هذا الصباح، ولا أظن أن الزورق يمكن أن يقترب من الجزيرة اليوم.

سأل بلور العانس العجوز فقال: هل خرجت إلى الجزيرة وحدك؟

أجابت أميلى برنت: اطمئن يا مستر بلور، فقد كنت شديدة الحذر واليقظة. - ألم ترى روجرز فى مكان ما؟..

قطبت العانس جبينها وقالت: روجرز؟. كلا. لم أره هذا الصباح. لماذا؟

هبط القاضى وورجريف السلم فى هذه اللحظة وقد استيقظ تماما. وكان قد حلق ذقنه ولبس طاقم أسنانه. وسار نحو الباب المفتوح لغرفة الطعام وقال: آه... إن المائدة معدة للإفطار.

قال لومبارد: لا ريب أن روجرز أعدها مساء أمس.

ودخلوا جميعا الغرفة، ونظروا إلى الأطباق والفضيات الموضوعة فوق المائدة بنظام دقيق، والأقداح المعدة للقهوة واللبن الساخنين.

وكانت فيرا أول من لاحظت الأمر فأمسكت القاضى من ذراعه فى حدة وهى تصيح: التماثيل!.. انظر.

لم يكن بأحد منها فوق المائدة غير ستة فحسب.

وجدوه، بعد بحث قصير، فى غرفة الغسيل فى الناحية الأخرى من الفناء. وكان قد اقتطع بعض الخشب لإشعال النار فى المطبخ، ولايزال يمسك بالبلطة الصغيرة فى يده، وبجواره لصق الباب، بلطة أكبر حجما حدها ملوث بالدم، ولم يكن هناك أى شك فى أنها هى التى تسببت فى الجرح الكبير الذى فى رأسه.

وقال الدكتور أرمسترونج: أن الأمر سهل جدا. لقد تسلل القاتل خلفه، ورفع البلطة الثقيلة وتركها تقع على رأس روجرز فى اللحظة التى انحنى فيها.

فحص بلور مقبض البلطة ورش عليه بعضا من مسحوق الدقيق بحثا عن أثر لبصمات الأصابع. وقال القاضى يخاطب الدكتور أرمسترونج: هل لابد للقاتل أن يتمتع بقوة بدنية كبيرة لكى يضرب مثل هذه الضربة؟

أجاب أرمسترونج بكل جد: يمكن لامرأة أن توجه مثل هذه الضربة.

وألقى الطبيب نظرة حوله. كانت فيرا كلايتون وأميلى برنت قد ذهبتا إلى المطبخ، فاستطرد يقول: وفى مقدور الفتاة أن تفعل ذلك بكل سهولة لأنها

قوية العضلات، أما مس برنت فتبدو هشة، ولكن هذا النوع من النساء يتمتع بقوة عصبية كبيرة، ولا تنس أن الشخص المصاب بالجنون يمكن أن يظهر قدراً من الطاقة غير متوقع.

هز القاضي رأسه فى تفكير، واعتدل بلور فى وقفته وقال:

ـ لا يوجد أى أثر لبصمات الأصابع. لقد حرص القاتل على أن يمسح المقبض بعد جريمته.

وارتفعت ضحكة خلفهم فالتفتوا ورأوا فيرا كلايتون واقفة فى وسط البهو وقد غلبتها أزمة من الضحك وراحت تصرخ فى صوت حاد: هل يوجد نحل فى هذه الجزيرة؟... قولوا لى أين نجد العسل؟ ها.. ها.

نظروا إليها وهم لا يفهمون. وخيل إليهم أن هذه الفتاة العاقلة المتزنة قد أصيبت بالجنون فجأة، وراحت تصرخ بأعلى صوتها:

ـ لماذا تنظرون إلى هكذا؟.. هل تحسبوننى مجنونة؟.. إن سؤالى عادى جداً.. نحل... وخليات نحل... نحل... ألا تفهمون؟.. ألم تقرأوا أغنية الأولاد... ولكنها موجودة فى غرف نومكم مع ذلك. ولو أننا فكرنا لحظة واحدة لأتينا إلى غرفة الغسيل مباشرة حيث كان روجرز يقتطع الخشب... سبعة أطفال هنود راحوا يقتطعون الخشب بالبلطة.. والمقطع التالى... أوه، إننى أعرف الأغنية كلها عن ظهر قلب... ستة أطفال هنود أخذوا يلعبون حول خلية نحل... ولهذا السبب أسالكم هل يوجد نحل فى هذه الجزيرة... أوه، ما أغرب هذا... يا إلهى!

وارتفعت ضحكتها الجنونية من جديد، وتقدم الدكتور أرمستروفج خطوة إلى الأمام ورفع يده وصفعها على وجهها صفعة قوية.

لهثت فيرا وأخذتها غصة، وازدردت ريقها، وقالت بعد لحظة من الجمود: أشكرك يا دكتور... أشعر الآن باننى على ما يرام.

وعاد صوتها إلى هدوئه. واستردت فيرا كلايتون أتزانها واعتدالها كمدرسة ألعاب رياضية، واستدارت نصف استدارة ومضت إلى المطبخ وهى تقول: سأعد أنا ومس برنت طعام الإفطار. هل يمكنكم أن تأتوا معكم ببعض الخشب لإشعال النار.

وكانت أصابع الطبيب قد خلفت آثارا حمراء على وجنة فيرا.

وفيما هى تختفى فى المطبخ قال بلور لأرمستروفج: حسنا يا دكتور.. إنك عنيف فى تصرفاتك.

أجاب الطبيب كما لو كان يعتذر: كان لابد من ذلك، فلدينا من المشاكل ما يكفينا بحيث لا يجب أن نشغل أنفسنا بالأزمات العصبية.

قال فيليب لومبارد: أوه، أن مس كلايتون ليست فتاة عصبية على الإطلاق، ولكن كل هذه الانفعالات العصبية يمكن أن تقع لأى شخص.

وكان روجرز قد اقتطع كمية من الأخشاب قبل أن يلقى مصرعه فجمعوها وأخذوها معهم إلى المطبخ، حيث كانت أميلى برنت وفيرا كلايتون منهمكتين فى العمل. كانت مس برنت تفرغ رماد الموقد أما فيرا فكانت تمسك فى يدها سكينا راحت تقطع به قطعا من اللحم.

قالت أميلى تخاطب الرجلين اللذين جاءاها بالخشب: شكرا لكما. سوف نسرع الآن. بعد نصف ساعة أو ثلاثة أرباع الساعة على الأكثر سيكون كل شيء معداً.

قال فيليب لومبارد يسأل المفتش السابق بلور فى صوت أجش:

ـ هل تعرف فيم أفكر؟

أجاب لومبارد ضاحكا: ما دمت ستقول لى ذلك فلا أرى داعياً لكى أقدح زناد فكرى وأخمن.

كان المفتش السابق بلور رجلاً رصيناً لا يعرف الهزل، واستطرد يقول دون أى قلق: هذه القضية تعيد إلى ذهنى قضية أخرى وقعت فى أمريكا، فقد قتل رجل مسن زوجته بالبلطة، ووقعت المأساة أثناء النهار، ولم يكن بالبيت أحد فيما عدا ابنتهما والخادمة، وقد ثبت فى التحقيق أن هذه الأخيرة لم يكن بمقدورها ارتكاب الجريمة. أما الابنة فكانت عزباء وناضجة السن وتتمتع بسمعة طيبة وبرئت ساحتها. ولم يكتشف الجانى حتى الآن، وقد عادت هذه القصة إلى ذهنى عندما رأيت البلطة والعانس العجوز هادئة هكذا فى المطبخ... إنها لم تتحرك. أما الفتاة فقد كان من الطبيعى جداً أن تعتريها هذه الأزمة العصبية. ألا توافقوننى على ذلك؟..

أجاب فيليب لومبارد فى إيجاز: ربما.

واستطرد بلور يقول: ولكن الأخرى الهادئة التى تقوم بعملها فى المطبخ وهى ترتدى مئزرة مسز روجرز وتقول لنا: «أن الطعام سيكون معداً بعد نصف ساعة»... إذا أردتم رأيى فإن هذه المرأة مجنونة، فى غاية الجنون، وكثيراً من العوانس ينتهين إلى هذه النهاية، ولا أريد أن أقول أن شهوة

القتل تتملكهن ولكنهن يفقدن عقولهن. وأنني بدأت أعتقد الآن أن مس برنت مصابة بنوع من الجنون الصوفى، وتتصور أنها أداة الله أو شىء من ذلك، وهى لا تفعل شيئاً فى غرفتها غير قراءة الإنجيل.

أطلق فيليب لومبارد تنهيدة وقال: أن قراءة الإنجيل ليست دليلاً على اختلال العقل.

ولكن مفتش البوليس السابق قال فى إصرار: وقد خرجت صباح اليوم وهى مرتدية معطفها الواقى من الماء، وقالت لنا أنها ذهبت لكى تتأمل البحر.

هز الآخر رأسه وقال: لقد قتل روجرز وهو يقتطع الخشب، أى فى أولى ساعات النهار، ولم تكن مس برنت بحاجة إلى أن تتمشى فى الجزيرة بعد ارتكاب الجريمة بساعات. صدقنى أن قاتل روجرز قد دبر أمره لكى نجده صباح اليوم يغط فى نومه.

قال بلور: لاحظ يا مستر لومبارد أن هذه الفتاة لو كانت بريئة لخافت من المشى وحدها فى الجزيرة. وإذا كانت قد فعلت ذلك فذلك لأنها لم تعد تخشى أحداً، وهذا معناه أن مس برنت هى الجانية.

قال لومبارد: هذا الاستدلال له قيمته ولم أفكر فيه.

وأردف يقول ساخراً: ويسرنى أنك لا تشتبه فى أمرى.

أجاب بلور فى شىء من الارتباك: أننى اشتبهت فيك فى بادىء الأمر.. فذلك المساس، والقصة الغريبة التى رويتها لنا.. أو بالأحرى التى أخفيتها عنا. ولكننى أرى الآن أنه ليس هناك أى شك فى براءتك.

وسكت قليلاً ثم أردف يقول: أرجو أن تشعر بنفس المشاعر نحوى.

أجاب فيليب فى تفكير: ربما أكون مخطئاً، ولكننى لا أظن أنك تتمتع بما يكفى من الخيال لكى ترتكب كل هذه الجرائم. وكل ما أستطيع قوله هو أنه إذا كنت أنت الجانى فإننى أعجب كثيراً بموهبتك العجيبة فى التمثيل.

واستطرد يقول فى صوت منخفض: وفيما بيننا يا بلور، وحيث أنه يحتمل أن نكون جثتين هامدتين فى آخر النهار فهل اشتركت حقا فى تلك القضية وأدليت بشهادة الزور؟..

أجاب بلور وقد ازداد ارتباكه: لم يعد للأمر أهمية الآن.. حسنا، نعم. كان لاندور بريئا.. ولكن عصابة المجرمين هددتنى واضطررت للإدلاء بتلك

الشهادة متوقعا أن يصدر الحكم عليه بالسجن سنة، ولكن هذا سر بيننا طبعا، وما كنت لأعترف بهذا.

أكمل لومبارد الحديث ساخرا: أمام شهود... اطمئن فلن يعرف أحد شيئاً من ذلك. ولكن لعلك استفدت على الأقل بمبلغ كبير نظير شهادتك هذه؟

ـ لم تدر على القضية ما كنت أتوقع، فإن آل بورسل كانوا عصابة من الطماعين، ولكننى حصلت على ترقية.

ـ وحكم على لاندور بالسجن المؤبد، ومات فى السجن.

قال بلور: وهل كان فى وسعى أن أعرف أنه سيموت.

ـ كلا. وهذا من سوء حظك.

ـ سوء حظى؟.. بل من سوء حظه هو.

ـ وسوء حظك أيضاً. لأن حياتك سوف تنتهى نتيجة لذلك.

حدق بلور فيه بعينيه وقال: كلا. هل تتصور أننى لن أقاوم، كما فعل روجرز والآخرون؟.. كلا. اطمئن. سوف أكون على حذر.

أجاب لومبارد: إننى لا أريد أن أراهن على كل حال، خاصة وأنك إذا مت فلن تستطيع أن تدفع لى.

ـ ما هذا الذى تقول يا مستر لومبارد؟..

كشف لومبارد عن أسنانه من جديد وقال:

ـ أقول يا عزيزى بلور أنه ليس أمامك أية فرصة للإفلات من مصيرك.

ـ ماذا؟

ـ إن افتقارك إلى الخيال يجعل منك هدفا واضحا، أن قاتلاً قديراً كمستر أوين سيعرف كيف يلقى عليك شباكه فى اللحظة التى تروق له.

اضطرم وجه بلور وسأله محنقا: وأنت يا مستر لومبارد؟..

قست ملامح لومبارد وأجاب: أما أنا فرجل داهية، وقد سبق أن وجدت نفسى فى مواقف أشد خطراً وخرجت منها سالما. وأظن أننى سأنجو هذه المرة، ولن أزيد عن ذلك كلمة واحدة.

كان البيض يغلى فوق النار، وكانت فيرا تحمل بعض الخبز ففكرت تقول: لماذا تملكتنى هذه الأزمة العصبية؟ إننى كنت سخيفة، وقد أخطأت بذلك. لابد لى من أن ألتزم الهدوء.



كانت حتى هذه اللحظة تفتخر بأنها رابطة الجأش.

ولقد أبدت مس كلايتون رباطة جأش كبيرة وألقت بنفسها فى الماء دون تفكير، وأسرعت إلى نجدة الغلام سيريل.

ولكن لماذا تستعيد هذه الذكرى؟ لقد أصبح كل هذا طى الماضى.. كان سيريل قد اختفى قبل أن تصل إلى الصخرة بوقت طويل.. وأحست بالتيار يغلبها ويدفعها بعيداً فى البحر. وتركت الموج يسحبها وهى تسبح فى بطء وتطفو فوق سطح الماء إلى أن جاء زورق لانقاذها أخيراً.

وقد أشاد الجميع بشجاعتها ورباطة جاشها.

الجميع... فيما عدا هوجو... اكتفى هوجو بأن راح يحدق فيها بعينيه.

آه. شد ما تتعذب وهى تفكر فى هوجو... حتى بعد هذا الوقت الطويل.

أين هو الآن؟ وماذا يفعل؟.. أتراه خطب؟.. أم تزوج؟

وأعادتها أميلى برنت إلى دنيا الواقع. قالت لها: فيرا... إن الخبز يحترق.

ـ هذا صحيح يا مس برنت.. أرجو المعذرة.. ما أغبانى!..

ورفعت أميلى برنت آخر بيضة من الغلاية. ووضعت فيرا كسرة أخرى من الخبز فوق الشواية وقالت: إنك هادئة جداً يا مس برنت.

أجابت أميلى برنت وهى تضغط على شفتيها: إنهم علمونى فى حداثتى أن أبقى متمالكة لأعصابى وألا أنزعج أبداً.

وعلى الفور فكرت فى نفسها قائلة: مكبوتة منذ صغرها... هذا يدل على الكثير.

وسألتها فى صوت مسموع: أنت لا تخافين من شىء إذن يا مس برنت؟

وسكتت سكتة قصيرة ثم أردفت تقول: أو لعلك تخافين الموت؟

الموت؟.. أحست أميلى برنت أن منقابا حادا يخترق نافوخها.. الموت؟.. إن الآخرين يموتون.. أما أميلى برنت فلا. إن هذه الفيرا لا تفهم شيئاً. أن آل برنت لم يخافوا شيئاً ما أبداً. إن أهلهم جميعا كانوا فى خدمة الملك، وقد واجهوا الموت بكل شجاعة. كانوا يحيون حياة مستقيمة مثلها تماما. وهى لم تفعل ما يخجل منه الجبين، ولهذا السبب لن تموت.

ولكن سرعان ما عادت كلمات الجنرال ماك أرثر إلى ذهنها «لن يخرج أحد منا من هذه الجزيرة»... إنه قال لى هذه العبارة كما لو كان يتقبل الموت بكل هدوء. وهذا كفر منه طبعا.. وأن البعض يستخف بالموت، ويقدمون



بأنفسهم على الانتحار... بياتريس تايلور.. إنها رأت بياتريس فى الليلة الماضية فى المنام.. رأتها أمام نافذتها وقد ألصقت وجهها بلوحها الزجاجى، وراحت تتوسل إليها لكى تدعها تدخل. ولكن أميلى تركتها بالخارج، فلو أنها تركتها تدخل لوقعت كارثة حتما.

ارتجفت أميلى فجأة، واستردت وعيها، ورأت فيرا تنظر إليها نظرة غريبة فأسرعت تقول هل أعددت كل شىء؟ حسنا. سوف نقدم الطعام إذن.

وخرج هذا الغداء عن المألوف، فقد بادر كل من المدعوين إلى خدمة جاره:

ـ مس برنت، هل أستطيع أن أقدم لك القهوة؟

ـ مس كلايتون، هل تريدين شريحة من الجامبون؟

ـ قطعة أخرى من اللحم؟

كان هناك ستة أشخاص كلهم طبيعيون، متمالكون لجأشهم، ولكن الأفكار كانت تدور فى أعماق أنفسهم كما يدور العصفور فى القفص.

على من الدور؟.. على من؟.. وكيف؟

هل ستفلح الضربة هذه المرة؟ إننى أتساءل.. لا بأس من المخاطرة، هذا إذا وجدت الوقت المناسب. يا إلهى! هل أجد الوقت لذلك؟

جنون صافى... هو ذلك حقا.. ولكن من ينظر إليها لا يشك فيها أبداً.. ولكننى ربما أكون مخطئا.

هذا جنون.. جنون مطبق. أنا نفسى لم أعد أدرى... الصوف اختفى والستارة الحريرية الحمراء.. لا معنى لكل هذا.. لا أفهم شيئاً أبداً.

هذا الغبى المأفون.. إنه صدق كل ما قلت له... ولكن حذار ستة تماثيل من الخزف.. لم يبق غير ستة تماثيل.. كم سيتبقى منها الليلة؟

ـ لمن البيضة الأخيرة؟

ـ أقليل من المربى؟

ـ شكراً.. قطعة من البسكويت؟

كانوا ستة يتناولون الغداء. وقد تصرف كل منهم تصرف الإنسان الطبيعى.

* * *

وبعد أن فرغوا من الطعام تنحنح القاضى وورجريف وقال فى لهجة آمرة: أظن أن من الحكمة الآن أن نجتمع لكى نناقش الموقف. ما رأيكم فى أن نجتمع فى الصالون بعد نصف ساعة.

أبدى الجميع موافقتهم على هذا الاقتراح.

وجمعت فيرا الأطباق بعضها فوق البعض وقالت: سأمضى لأغسل الأطباق.

ونهضت أميلى برنت ولكنها عادت فجلست وهى تصيح: يا إلهى!

سألها القاضى: ماذا بك يا مس برنت؟

اعتذرت أميلى قائلة: كنت أريد أن أساعد مس كلايتون ولكننى لا أدرى ما الذى دهانى؟.. إننى أشعر بدوار.

قال الدكتور أرمسترونج وهو يقترب منها: دوار؟.. ليس هذا بغريب. إنه رد الفعل، سأعطيك شيئاً. كلا.

وأفلتت الكلمة من بين شفتيها كالقنبلة حين تنفجر:

وشده الجميع وأحمر وجه الطبيب.

وكان وجه الفتاة العانس ينم عن الخوف والشك بكل وضوح.

وقال الطبيب فى صوت قاطع: كما تريدين يا آنسة.

ـ لا أريد أن آخذ شيئاً على الإطلاق. سأبقى جالسة مكانى فى هدوء حتى يزول ما بى.

وكانوا قد فرغوا من رفع الأطباق، وقال بلور يخاطب فيرا: مس كلايتون. إننى رجل بيت، وإذا أردت فإننى أستطيع مساعدتك.

أجابت الفتاة:

ـ كما تشاء. شكراً لك.

وبقيت أميلى برنت وحدها فى غرفة الطعام. وتناهت إليها من المطبخ همسات وأصوات.

وبدأ إحساسها بالدوار يختفى شيئاً فشيئاً، وأصبحت تحس بشىء من المخدر كما لو كانت توشك على النوم.

ودوت أذناها... أو لعل هناك طنين فى الغرفة.

وفكرت... آه... يخيل لى أنه طنين نحلة.

ولم تلبث أن رأت النحلة تتسلق النافذة.

ألم تتكلم فيرا كلايتون عن النحل صباح اليوم بالذات؟

عن النحل... والعسل.

كانت تحب العسل.. أقراص العسل الذى يستخرجونه بالضغط فى كيس من النسيج الشفاف... والذى يسقط قطرة قطرة.

كان هناك شخص فى الغرفة... شخص مبتل الثياب... بياتريس تيلور خارجة من النهر.

ولو أنها أدارت رأسها فإنها سوف تراها.

ولكنها لا تستطيع أن تدير رأسها.

لو أن تصرخ! ولكنها لا تستطيع أن تصرخ كذلك.

ليس فى البيت أحد غيرها... كانت وحدها تماما.

وسمعت صوت خطى... خطى صامتة وثقيلة تتسلل خلفها.. خطى الغريقة المترنحة.

وتصاعدت إلى خياشيمها رائحة رطبة.

وعلى لوح النافذة كانت النحلة تطن... وتطن. وفى هذه اللحظة أحست بالوخزة... غرزت النحلة أبرتها فى عنق مس برنت.

وفى الصالون كانوا ينتظرون قدوم مس برنت. وقالت فيرا كلايتون: هل تريدون أن أذهب لكى أبحث عنها؟

قال بلور: انتظرى دقيقة.

جلست فيرا، وألقى كل من الآخرين نظرة متسائلة إلى بلور فقال: اسمعونى جيداً. هذا هو رأيى. لا داعى للبحث أكثر من ذلك. أن الذى ارتكب كل هذه الجرائم المتتابعة هو تلك المرأة الموجودة الآن فى غرفة الطعام.

ـ وما دليلك على هذا الاتهام؟

ـ الجنون الصوفى... ما رأيك يا دكتور؟

ـ هذا تفسير معقول تماما. وليس لدى اعتراض عليه، ولكن لابد لنا من أدلة قبل كل شىء.

قالت فيرا: كان أمرها غريبا أثناء إعداد الطعام. لا تحكموا عليها نتيجة لذلك. أننا جميعا لا نفكر جيداً فى الوقت الحاضر.

قال بلور: هناك شىء آخر. إنها الوحيدة بيننا التى رفضت أن تفسر موقفها بعد أن استمعنا إلى الاسطوانة. فلماذا؟.. لأنه لم يكن بمقدورها أن تقدم أى تفسير.

تململت فيرا فى مقعدها وقالت: ليس هذا صحيحا تماما. فقد أطلعتنى على ما حدث لها.

سألها وورجريف: وماذا قالت لك يا مس كلايتون؟



أعادت الفتاة على مسامعهم قصة بياتريس تايلور. وقال القاضي عندئذ: هذه القصة تبدو لى صادقة، وإنى أصدقها طواعية. ولكن قولى لى يا مسّ كلايتون أنها تشعر بتبكيت الضمير إزاء موقفها هذا.

ـ أبداً. لم أتبين عندها أى تأثر.

قال القاضى: الساعة الآن الحادية عشرة إلا عشر دقائق، ومن الأوفق أن نطلب من مس برنت أن تأتى وتنضم إلينا.

قال بلور: ألن تتخذوا بشأنها قرارا ما؟

أجاب القاضى: وأى قرار يمكن أن نتخذه. أننا لا نملك فى الوقت الحالى غير شكوك. ومع ذلك فسأطلب من الدكتور أرمسترونج أن يتكرم ويراقب حركاتها وتصرفاتها. من الأجدر أن نذهب إلى غرفة الطعام الآن.

ووجدوا أميلى برنت جالسة فى المقعد الذى تركوها فيه. وكانت تولى ظهرها للباب، ولم يروا شيئاً غير عادى فيما عدا أنها لم تتحرك كما لو أنها لم تسمعهم يدخلون.

ثم رأوا وجهها... المتورم وشفتيها الزرقاوين وعينيها المذعورتين.

وصاح بلور: يا إلهى!.. إنها ميتة.

قال القاضى وورجريف بصوته الرقيق... شخص آخر منا ظهرت براءته، بعد فوات الأوان.

انحنى أرمسترونج فوق الميتة وشم شفتيها وهز رأسه ثم فحص جفنيها وسأله لومبارد وقد فرغ صبره.

ـ مم ماتت يا دكتور؟ كانت فى صحة جيدة عندما غادرنا غرفة الطعام.

لفتت علامة صغيرة فى الناحية اليمنى من عنق المرأة اهتمام الطبيب، وقال: هذا أثر حقنة تحت الجلد.

وسمعوا فى هذه اللحظة طنينا عند النافذة وهتفت فيرا: انظروا... نحلة.. تذكرون ما قلت لكم هذا الصباح.

قال أرمسترونج: هذه ليست وخزة نحلة.. وإنما أثر حقنة.

سأله القاضى: وما هو السم الذى حقنت به؟

أجاب أرمسترونج: يبدو لأول وهلة أنه سم السيانور.. نفس السم الذى استخدم فى قتل أنتونى مارستون، ولا ريب أنها ماتت على الفور نتيجة للاختناق.



قالت فيرا: ومع ذلك فإن هذه النحلة لا يمكن أن يكون وجودها مصادفة.

قال لومبارد فى كآبة: أوه، كلا طبعا. ليست مصادفة. إن قاتلنا يصر على إضفاء قليل من اللون المحلى على جرائمه. أنه مهزار مرح يطبق فقرات أغنية الأطفال بحذافيرها.

ولأول مرة تكلم الكابتن لومبارد فى صوت مفعم بالقلق، وبدا أن هذا الرجل الذى حفلت حياته بالمغامرات قد بدأ يفقد جأشه.

وصاح يقول فى غضب: هذا محال، محال، إننا جميعا مجانين.

تدخل القاضى وقال بصوته الرتيب: إننى أقول أننا مازلنا نحتفظ بكل قوانا العقلية. هل جاء أحدكم إلى البيت بحقنة؟

اعتدل الدكتور أرمسترونج وقال فى ارتباك: أنا يا سيدى.

تحولت جميع الأنظار إليه، فقال وقد أغاظته نظراتهم المعادية:

ـ إننى لا أنتقل إلى أى مكان بدون الحقنة، وكل الأطباء مثلى.

قال القاضى ووجريف وقد عاد إليه هدوءه:

ـ هذا صحيح. هل لك أن تخبرنا أين توجد هذه الحقنة الآن؟

ـ فوق، فى حقيبتى.

ـ ربما استطعنا أن نتحقق من ذلك.

وصعد المدعوون الخمسة السلم فى صمت.

وقلبت محتويات الحقيبة فوق الأرض ولكنهم لم يجدوا الحقنة.

وصاح الدكتور أرمسترونج محنقا: أنها سرقت منى.

وخيم الصمت فى الغرفة.

كان الدكتور أرمسترونج واقفا موسيا ظهره للنافذة، وبدأ الاتهام واضحاً فى عيون أربعة أشخاص تحدق فيه.

تبادل بلور ولومبارد النظر، وقال القاضى فى صوت مهيب:

ـ إننا خمسة أشخاص هنا، فى هذه الغرفة، وواحد منا قاتل وموقفنا يزداد خطورة، ويجب أن نبذل كل شىء للإبقاء على حياة أربعة أبرياء. وأرجوك يا دكتور أن تقول لى ما هى الأدوية التى معك.

أجابه الطبيب: أن معى هنا عدتى الطبية، ويمكنك أن تفحصها. أن بها بعض المنومات وأقراص من السلفونال وكيس من البرومور وبيكربونات الصودا وبعض أقراص من الأسبرين.

قال القاضى بدوره: وأنا أيضاً أحضرت معى بعض الأقراص لمعالجة الأرق وأظن أنها من السلفونال، ولكن أظن أنها إذا أخذت بكمية كبيرة تتسبب فى الموت. وأنت يا مستر لومبارد؟.. سمعت أن معك مسدساً؟

صاح لومبارد وقد استشاط غضبا: وبعد؟

ـ كل ما هنالك إننى أقترح أن نجمع أدوية الدكتور والاقراص المنومة ومسدسك يا مستر لومبارد، وكذلك كل ما له صلة بالمنتجات الصيدلية والأسلحة النارية وأن نضعها فى مكان أمين. وبعد أن نفرغ من هذا نقوم بتفتيش كل منا تفتيشا دقيقا لشخصه وحوائجه.

احتد لومبارد وقال: لن أتخلى عن مسدسى إلا وأنا جثة هامدة.

أجاب القاضى بصوته الحاد: أنت رجل قوى ومتين البناء يا مستر لومبارد، ولكن المفتش السابق يتمتع بقوة بدنية كبيرة هو الآخر. ولا أعرف من منكما يمكن أن يقهر الآخر، ولكننى أستطيع أن أؤكد هذا. أن الدكتور أرمستروفج ومس كلايتون وأنا نفسى سنقف فى صف بلور وسنساعده بقدر ما نستطيع، وبهذا ترى أن كل الفرص ستنقلب ضدك عند أول مقاومة.

طوح لومبارد برأسه إلى الخلف. ولكنه اعترف بهزيمته قائلاً: بما أنكم تقفون ضدى.

هز القاضى رأسه وقال: أنك تأخذ جانب الصواب أخيراً. أين مسدسك؟

ـ فى درج الطاولة الصغيرة بجوار فراشى.

ـ حسنا. سأمضى لكى آتيكم به.

ـ أظن أن من الأوفق أن نرافقك.

أجاب فيليب وعلى شفتيه ابتسامة بدت كما لو كانت تكشيرة:

... أنت حريص جداً على الأقل.

إجتازوا الطرقة، ودخلوا غرفة لومبارد، ومضى الشاب رأسا على الطاولة التى بجوار الفراش وفتح درجها، وما كاد يفعل حتى ارتد إلى الوراء وهو يكتم سبة. فقد كان الدرج خاليا.

وقال: أظن أنكم استرحتم الآن.

ووقف لومبارد يشاهد الرجلين الآخرين وهما يقومان بتفتيش غرفته وثيابه تفتيشاً دقيقاً، فى حين بقيت مس كلايتون تنتظر فى الطرقة.

وتم التفتيش بترتيب ونظام. وخضع الدكتور أرمستروفج والقاضى وورجريف والمفتش السابق بلور للتفتيش هم الآخرون.

وخرج الرجال الأربعة من غرفة بلور وانضموا إلى مس كلايتون، وخاطبها القاضى قائلاً: أرجو أن تفهمى يا مس كلايتون أننا لا نستطيع استثناء أحد. يجب أن نجد هذا المسدس بكل الطرق. لا ريب أن لديك مايوها بين جوانحك؟

وإذ أومأت فيرا بالإيجاب عاد يقول: أرجوك أن تذهبى إلى غرفتك وأن تخلعى ثيابك وترتدى المايوه وأن تعودى إلينا بعد ذلك.

دخلت فيرا غرفتها وأغلقت الباب، وبعد بضع دقائق عادت وهى تلبس مايوها من الحرير المسرود يكشف عن مفاتنها. وقال لها القاضى فى ارتياح: شكراً لك يا مس كلايتون. هل لك أن تنتظرينا هنا ريثما نفتش غرفتك.

وقفت فيرا فى الطرقة صابرة حتى عاد الرجال ثم مضت بعد ذلك وارتدت ثيابها ثم انضمت إليهم. وقال القاضى: أننا تأكدنا الآن من نقطة واحدة وهى أنه ليس مع أى أحد منا أسلحة أو سموما قاتلة. وسنضع الآن الأدوية فى مكان أمين، فى المطبخ، فى الدولاب الخاص بالفضيات.

قال بلور: كل هذا جميل. ولكن من الذى سيحتفظ بالمفتاح؟

لم يجب القاضى وورجريف، وهبط إلى المطبخ يتبعه زملاؤه الأربعة. وهناك وضع الأدوية المختلفة فى صندوق صغير أغلقه بالمفتاح، ثم وضع الصندوق فى دولاب الفضيات وأغلق بابه بالمفتاح هو الآخر. وبعد ذلك أعطى مفتاح الصندوق للومبارد ومفتاح الدولاب لبلور وقال: أنتما أقوى منا بدنيا، ومن الصعب على أى منكما أن يأخذ المفتاح من الآخر، ولا يمكن لأى واحد منا نحن الثلاثة أن يأخذه منكما، ومن الجنون محاولة تحطم باب الدولاب والصندوق عنوة لأن الضجة التى ستحدث عندئذ ستثير ظنون الآخرين.

وسكت سكتة قصيرة ثم قال: وما زالت أمامنا مشكلة يجب أن نجلوها وهى ماذا حدث لمسدس مستر لومبارد؟

قال بلور: إن لى رأيا متواضعا وهو أن صاحبه وحده هو الذى يستطيع أن يرد على هذا السؤال.

قال فيليب لومبارد وقد استشاط غضبا: أيها المأفون الأحمق! قلت لك أنه سرق منى.

سأله وورجريف: متى رأيته لآخر مرة؟



- مساء أمس. كان موجوداً فى الدرج عندماأويت إلى فراشى.

قال القاضى: أنه سرق أذن صباح اليوم أثناء البلبلة التى حدثت ونحن نبحث عن الخادم أو بعد العثور على جثته.

قالت فيرا: لا ريب أنه فى البيت. فلنقم بالتفتيش مرة أخرى.

داعب القاضى ذقنه كما هى عادته وقال: لا أعتقد أننا سنصل إلى نتيجة، فلا ريب أن قاتلنا وجد ما يكفى من الوقت لكى يخفيه فى مكان أمين. إننى أصبحت يائسا من العثور عليه الآن.

قال بلور فى قوة: إننى لا أعرف أين اختفى هذا المسدس، ولكنى أعرف أين أجد هذه الحقنة.

وفتح الباب العمومى وتقدمهم إلى الخارج.

وأمام نافذة غرفة الطعام رأوا الحقنة، وبجوارها تمثال خزفى صغير، وهو تمثال الهندى الخامس.

وقال بلور فى زهو: ما كان يمكن للحقنة أن تكون فى مكان آخر غير هذا. بعد أن قتل القاتل مس برنت فتح النافذة وألقى بالحقنة ثم أخذ التمثال الخامس ورماه فى الخارج هو الآخر.

ولم يجدوا أية بصمة على الحقنة، فقد أزيل ما عليها من آثار بكل عناية.

وقالت فيرا فى حزم: فلنبحث عن المسدس الآن.

قال القاضى: هو ذلك. ولكن فلنبق معا دائماً. تذكروا أننا إذا افترقنا فإننا نقدم للقاتل المجنون كل الفرص.

وفتشوا البيت تفتيشا دقيقا للمرة الثانية، من القبو حتى الدور العلوى، ولكن دون أية نتيجة.

فإنهم لم يعثروا على المسدس فى أى مكان.

* * *

واحد منا... واحد منا... واحد منا.

راحت هذه الكلمات ترن فى أذهانهم المحمومة دون انقطاع.

كان هناك خمسة أشخاص يعيشون فى الجزيرة يعذبهم الخوف.. خمسة أشخاص يتجسس كل منهم على الآخر دون أن يحاول أى منهم إخفاء مشاعره.

لم يكن هناك أى ضغط ولا أية مجاملة فى معاملة كل منهم للآخر. لم يعد هناك غير خمسة أعداء تربط بينهم غريزة حب البقاء.



وفجأة هبطوا جميعاً إلى آخر درجة من الإنسانية وانحطوا إلى مستوى الحيوان. وبقى القاضى وورجريف محدودب الظهر كالسلحفاة المكدودة، ثاقب العينين وعلى حذر دائما. وبدأ المفتش السابق بلور ثقيل الحركة على غير عادته، وأخذ يأتى بحركات خرقاء لم تكن تصدر منه من قبل، واحتقنت عيناه وراح يمشى متلصصا. كان كل شىء فيه ينطق بالقسوة والغباء وبدأ كالحيوان المذعور على أهبة الهجوم على مطارديه. أما فيليب لومبارد فقد بدأ كما لو أن غرائزه تزداد حدة. وراح يرهف السمع عند أقل حركة. وأصبحت خطوته أخف وأسرع، وازداد جسمه ليونة ورشاقة. وكان يبتسم كثيراً فيكشف عن أسنانه البيضاء الحادة.

أما فيرا فقد أصابها الاكتئاب، وقضت معظم اليوم وهى مسترخية فى مقعدها وعيناها مفتوحتان، تنظر إلى الفراغ كالعصفور الذى جاء واصطدم برأسه فى لوح الزجاج والتقطته يد بشرية فأصابه الذعر وشلت حركته يداخله الأمل فى البقاء على قيد الحياة.

وكانت أعصاب أرمسترونج فى حالة يرثى لها، وراحت عضلات وجهه تتحرك بصورة غريبة ويداه ترتجفان. وكان يشعل السيجارة تلو الأخرى ثم يلقيها بعد أن يأخذ منها بضعة أنفاس... وكان يهذى من وقت لآخر فيقول: ما كان يجب أن نبقى هنا بلا عمل... يجب أن نفعل شيئاً... وأن نتصرف، ونجد طريقة للخروج من هذا الجحيم...

وتبنى الزملاء الخمسة خطة للعمل فجلسوا فى الصالون، ولم يكن يغادره أكثر من واحد منهم فى كل مرة وينتظر الأربعة الآخرون عودته.

وقال لومبارد: إن هى إلا مسألة وقت، سوف تصحو السماء، وعندئذ يمكننا أن نفكر فى نجاتنا.

وراح أرمسترونج يقول ساخراً: مسألة وقت! ولكننا لا نستطيع أن نسمح لأنفسنا بالانتظار... إننا جميعا محكوم علينا بالموت.

قال القاضى وورجريف بصوته الواضح المشوب بالحزم: إذا لم نأخذ حذرنا... ولكن ما علينا إلا المحافظه على حياتنا.

وتناولوا الغداء دون أية مراعاة للتقاليد، فمضوا جميعا إلى المطبخ، وكان يوجد فى الدولاب عدد كبير من المعلبات. وفتحوا علبه من لحم البقر



وعلبتين من الفاكهة المحفوظة، وأكلوا وهم وقوف ثم عادوا إلى الصالون. وجلسوا وكل منهم يراقب الآخر.

وتحولت الأفكار التى راحت تدور فى أذهانهم إلى أفكار قاتلة غير محترمة وغير عادية تماماً.

- أن القاضى هو أرمسترونج.. إننى ضبطته وهو ينظر إلى شذرا.. إن له عينى مجنون.. معتوه.. ولعله ليس طبيبا.. نعم، هذه هى الحقيقة.. إنه مجنون هارب من مستشفى المجاذيب، ويتظاهر بأنه طبيب. هل تحب أن أقول ذلك للآخرين؟.. كلا. سيعرفك عندئذ كيف يأخذ حذره أكثر.. ثم أنه يقوم تماما بدور الرجل المتماسك لكل قواه العقلية.. كم الساعة الآن؟ الثالثة والربع فقط! يا إلهى! إننى أكاد أجن، ليس هناك شك فى أنه أرمسترونج.. إنه يراقبنى الآن.

«كلا. إنهم لن ينالونى فإننى من القوة بحيث أستطيع أن أدافع عن نفسى، فليست هذه أول مرة أجد نفسى فيها فى مثل هذا الموقف الحرج... ولكن أين ذهب هذا المسدس بحق الشيطان!.. من الذى سرقه؟.. ومع من يوجد الآن؟.. إنه غير موجود مع أى أحد لأنهم فتشونا جميعا.. إنه ليس موجوداً مع أى أحد.. ولكن أحدنا يعرف أين هو.

- سوف يصاب الآخرون بالجنون... كلهم.. فهم يخافون من الموت.. إننا جميعا نخاف من الموت، وأنا نفسى أخاف منه، ولكننى أعرف أنه لا مفر منه مع ذلك... تكون الفتاة هى القاتلة؟.. سأراقبها.. نعم، سأراقبها عن كثب.

- الساعة الرابعة إلا الربع... الرابعة إلا الربع فقط!.. ولكن قد تكون هذه الساعة تالفة.. كلا، إننى لا أفهم شيئاً. أن مثل هذه الأمور لا يمكن أن تقع... ومع ذلك فقد وقعت، لماذا لا نستيقظ!.. يجب أن نستيقظ. أن اليوم يوم الحساب.. رأسى!.. رأسى المسكينة!.. إنها ستنفجر.. أن أموراً غريبة تقع، كم الساعة الآن، يا إلهى! مازالت الرابعة إلا الربع!

يجب أن أحتفظ برباطة جأشى.. ليتنى لا أفقد رشدى... أن كل هذا واضح.. دبرته يد قديرة... ولكن لا يجب أن يشك أحد.. يجب أن ننجو.. بأية طريقة.. على من الدور الآن؟ هذا هو السؤال؟ نعم... أعتقد أنه عليه هو.

ودقت الساعة تعلن الخامسة فأجفل الجميع. وقالت فيرا: هل منكم من يريد الشاى؟



وسادت لحظة صمت، وقال بلور أخيراً: أريد قدحاً منه.

نهضت فيرا وقالت: سأمضى لإعداده. يمكنكم أن تبقوا هنا.

قال القاضى وورجريف فى صوت رقيق: أى آنستى العزيزة... أننا نفضل أن نأتى معك ونراك وأنت تعدين الشاى.

حدقت فيرا فيه ثم ضحكت وقالت: طبعا، كنت أتوقع هذا.

ومضى الخمسة إلى المطبخ، وأعدت فيرا الشاى وشربت قدحاً مع بلور. أما الثلاثة الآخرون فقد شربوا ويسكى، فتحوا زجاجة مقفلة وأخرى من الصودا من صندوق مغلق لم يكن قد فتح بعد.

وقال القاضى وهو يبتسم: أن الإحتياط أسلم.

وعادوا إلى الصالون، وعلى الرغم من أن الوقت كان صيفا فقد كانت الغرفة مظلمة، وأدار لومبارد مفتاح النور، ولكن دون جدوى فقال: هذا طبيعى، فإن المحرك لا يدور، وروجرز لم يعد موجوداً لكى يهتم به.

وقال بعد تردد يسير: يمكننا أن نذهب وندير المحرك.

ولكن القاضى قال: رأيت كمية كبيرة من الشموع فى الدولاب. ومن الأفضل أن نستخدم بعضها.

خرج لومبارد من الغرفة، وبقى الأربعة الآخرون يراقبون بعضهم بعضا. ولم يلبث أن عاد الشاب وبين يديه صندوق من الشمع وعدد من الأطباق. وأشعلوا خمس شمعات وضعوها فى أماكن مختلفة من الصالون. وكانت الساعة قد بلغت السادسة إلا ربعا.

وفى السادسة والدقيقة العشرين تعبت فيرا من الجلوس بلا عمل فرأت ان تصعد إلى غرفتها لكى تغسل رأسها بالماء البارد.

ونهضت، وسارت نحو الباب، ولكنها عدلت وعادت فأخذت شمعة من الصندوق وأشعلتها. وأسقطت بضع قطرات منها فى صحن صغير وثبتتها فيه بعد ذلك ثم غادرت الغرفة، وصعدت السلم وبلغت غرفتها.

وما أن فتحت الباب حتى ارتدت خطوة وتوقفت.

وأرتجفت خياشيمها، فقد اشتمت رائحة البحر...

كانت الرائحة رائحة بحر تريدينيك حقا... ولا يمكن أن يكون هناك أى خطأ، فلم تكن هناك أية غرابة فى أن تستنشق رائحة البحر لأنها فى جزيرة، ولكنها أحست مع ذلك بإحساس غريب، فإن هذه الرائحة هى نفس



الرائحة التى انبعثت فى ذلك اليوم فـى شاطىء تريدينيك، حيث انحسر المد وكشف الصخور التى يغطيها الطحلب الذى أخذ يجف تحت أشعة الشمس.

- هل أستطيع أن أسبح حتى الجزيرة يا مس كلايتون؟

لماذا تمنعيننى من الذهاب إلى الجزيرة؟

يا للغلام المدلل الرهيب!.. لولاه لأصبح هوجو ثريا.. ولاستطاع أن يتزوج بمن يحب.

هوجو.. لا ريب أنه موجود هنا، على مقربة منها.. كلا. بل إنه ينتظرها فى غرفتها.

وتقدمت خطوة إلى الأمام، وخبا نور الشمعة بتأثير التيار الذى اندفع من النافذة المفتوحة ولم يلبث أن انطفأ.

واستولى الخوف على فيرا وهى ترى نفسها فى الظلام، وقالت تحدث نفسها: لا تكونى حمقاء هكذا. لماذا الخوف؟.. أن الآخرين موجودون تحت... الأربعة كلهم، ولا يوجد أحد فى الغرفة طبعا.. إننى أتوهم أشياء غريبة!

ولكن هذه الرائحة... هذه الرائحة التى تعيد إلى ذهنها شاطىء تريدينيك لم تكن مجرد خيال أو وهم.. وإنما حقيقة.

إن فى غرفتها شخصا دون أى شك، فقد سمعت حركة، كانت مقتنعة من ذلك.

وإذ هى تصيخ السمع مست عنقها يـد باردة لزجة... يد مبتلة تفوح منها رائحة البحر.

وأطلقت صرخة.. صرخة حادة طويلة، واستولى الخوف على كيانها كله وراحت تصرخ طالبة النجدة.

ولم تسمع الضجة التى حدثت فى الصالون، فـقد مقعدها، وانفتح باب فى عنف وصعدت أقدام السلم أربعا أربعا، وكانت فيرا فريسة لذعر حقيقى.

ولم تلبث أن سطعت الأنوار على عتبة الباب. ودخل الرجال ومعهم الشموع، واستردت جأشها شيئاً فشيئا.

- ماذا دهانى؟.. يا إلهى!.. ما هذا؟

وارتجفت، وتهاوت على الأرض.



وخيل لها كأن شخصا منحنيا فوقها يحاول أن يحنى رأسها حتى ركبتيها، ثم سمعت صيحة تقول: يا إلهى!.. انظروا إلى هذا.. فتمالكت نفسها وفتحت عينيها ورفعت رأسها ورأت ما رآه الرجال على ضوء شموعهم.

كان يتدلى من السقف حبل طويل من حشيش البحر.. هو الذى لمس عنقها فى الظلام وحسبته يدا مبتلة لزجة... يد غريق عائد من مملكة الأشباح، لكى ينتزع منها الحياة.

وانفجرت تضحك وهى تتمطى وقالت: كانت قطعة من عشب البحر، حسبتها شيئاً آخر.

وبعد لحظة صمت انفجر لومبارد ضاحكا وقال فى لهجة المديح:

- أخيراً يا فيرا.. مازلت بعقلك، وذلك على الرغم من الذعر الذى كان يسيطر عليك منذ لحظة. سأهبط لكى آتيك بزجاجة مقفلة.

وانصرف مسرعا.

وقالت فيرا وهى لا تدرى ماذا تقول: أنا الآن أحسن بكثير، وأفضل أن أشرب ماء.

واعتمدت على الدكتور أرمسترونج ووقفت. ومضت إلى الحوض وهى متعلقة بالطبيب لكى تحفظ توازنها، وفتحت الصنبور وملأت كوباً.

وقال بلور فى غيظ: ولكن هذا البراندى غير مؤذ.

سأله أرمسترونج: وكيف عرفت ذلك؟

صاح بلور محنقا: إننى لم أدس فيه شيئاً، وأنت تريد أن تحملهم على الظن بغير ذلك.

- إننى لا أتهمك بشىء، ولكن فى إمكانك أنت، أو فى إمكان أى شخص آخر أن يدس السم فى هذا الشراب.

وعاد لومبارد فى هذه اللحظة إلى الغرفة وفى يده زجاجة وفتاحة، ووضع الزجاجة تحت أنف فيرا وهو يقول: انظرى يا عزيزتى... لن يخدعك أحد هذه المرة.

ونزع السدادة المعدنية ثم فتح الزجاجة بالفتاحة وهو يقول: لحسن الحظ أن مخزون الخمر كثير، وهذا كرم كبير من مستر أوين.

وسرت رعشة شديدة فى بدن فيرا وأمسك أرمسترونج بالكأس ريثما صب فيليب فيه الويسكى. وقال الطبيب:



- اشربى هذا يا مس كلايتون، أنك تعرضت لمحنة شديدة.

بللت فيرا شفتيها بالشراب، وعاد اللون إلى وجنتيها. وقال فيليب وهو يضحك: هذه جريمة لم تتم طبقا للبرنامج.

تمتمت فيرا تقول: هل تعتقد... أننى كنت مقصودة بالقتل؟

أومأ لومبارد برأسه وقال: لقد توقع القاتل أن تموتى من الخوف: ومثل هذا الأمر يحدث لأناس كثيرين، أليس كذلك.

أجاب أرمستروفج فى شيء من الدهشة دون أن يورط نفسه: آه. لا أستطيع أن أجزم بذلك، ولكن مس كلايتون فى مقتبل العمر، وتتمتع بصحة جيدة، وهى لا تشكو من قلبها ومن...

وأخذ كأس البراندى الذى جاء به بلور وغمس أصبعه فيه ثم رفعه إلى فمه فى حذر، وبقيت ملامحه كما هى وقال وفى صوته رنة من الشك: آه... أن طعمه يبدو لى عاديا.

تقدم بلور وقال وهو يغلى: قل أن هذا الشراب مسموم فأحطم وجهك على الفور.

غيرت فيرا مجرى الحديث بعد أن استردت شيئاً من قوتها بفضل البراندى، وقالت: أين القاضى؟

- آه... هذا غريب... ظننت أنه صعد معنا.

قال بلور: وأنا كذلك.. أنك صعدت السلم خلفى يا دكتور.

أجاب أرمستروفج: خيل لى أنه كان يتبعنى. إنه بطيء عنا طبعا لأنه مسن جداً.

قال لومبارد: إننى لا أفهم شيئاً.

وقال بلور مقترحا: فلنمض لكى نبحث عنه.

ومشى نحو الباب، وتبعه الرجلان وخلفهما فيرا.

وقال أرمستروفج وهم يهبطون السلم: أنه بقى فى الصالون طبعا.

واجتازوا البهو وصاح الطبيب فى صوت قوى وورجريف.. وورجريف.. أين كنت؟..

ولم يسمع ردا، وخيم صمت عميق لم يقطعه غير صوت ارتطام المطر الرتيب. وإذ بلغ أرمستروفج عتبة الصالون توقف على الفور، وأسرع الآخرون خلفه ونظروا من فوق كتفه. وصرخ أحدهم.



فقد كان القاضى وورجريف جالسا فى آخر الغرفة، فى مقعد ذى مسند عال، وفى كل ناحية منه شمعتان مضيئتان. ولكن الشيء الذى أدهش الجميع وأثار ارتباكهم هو أنه كان يرتدى الثوب الأحمر الذى يرتديه أثناء نظر القضايا، ويضع فوق رأسه باروكة.

وأشار الدكتور أرمستروفج للآخرين أن يرتدوا إلى الخلف، وعبر هو الغرفة وهو يترنح كما لو كان مخمورا، واقترب من القاضى ذى النظرة الثابتة، وانحنى فوقه وفحص الوجه الجامد، ثم بحركة مفاجئة رفع الباروكة، فسقطت على الأرض وكشفت عن جبين القاضى العالى والأصلع. وظهر فى وسطه ثقب أحمر تسيل منه مادة لزجة.

ورفع الدكتور أرمستروفج يدا رخوة وجس نبضها، ثم تحول إلى الآخرين، وقال فى غير انفعال: أنه قتل برصاصة من مسدس.

صاح بلور: يا إلهى!... المسدس، واستطرد الطبيب يقول بصوته الكئيب البعيد: أصابته الرصاصة فى نافوخه، وكان الموت سريعا.

توقفت فيرا أمام الباروكة وقالت فى صوت يتهدج من الخوف:

- الصوف الرمادى الذى فقدته مس برنت.

وأردف بلور يقول: والستارة الحمراء التى ضاعت من الحمام.

- هذا هو السبب فى أن القاتل أخذ هذه الأشياء.

وفجأة انفجر لومبارد ضاحكا وقال: خمسة أطفال هنود ذهبوا لدراسة القانون.. أصبح أحدهم محاميا ولم يبق منهم إلا أربعة... هذه هى نهاية وورجريف... القاضى المتعطش للدماء... إنه لن يصدر أحكاما بعد اليوم، ولن يضع على رأسه قبعته السوداء.. لقد رأس المحكمة لآخر مرة، ولن يرسل أبرياء إلى المشنقة بعد الآن.. لو أن إدوارد سيتون كان موجوداً معنا لظل يضحك ما شاء له الضحك.. يا إلهى!.

صدمت هذه الغضبة شعور الآخرين. وصاحت فيرا تقول: ولكنك اتهمته صباح اليوم بالذات بأنه هو القاتل المجنون.

تغيرت ملامح لومبارد، وقال فى صوت هادئ:

- هذا صحيح.. إننى أتهمته، حسنا. إننى أخطأت... هذا واحد آخر منا ظهرت براءته، بعد فوات الأوان.

نقلوا جثة القاضى وورجريف إلى غرفته، واسجوه فوق فراشه، ثم هبطوا بعد ذلك إلى البهو وراحوا يتراشقون بالنظرات.

وقال بلور: ماذا نفعل الآن؟

أسرع لومبارد يقول: فلنفكر فى تجديد قوانا أولا. لابد من أن نأكل لكى نعيش.

ومرة أخرى مضوا إلى المطبخ، وفتحوا علبة من لحم البقر، وأكل الأربعة فى حركات ميكانيكية، ودون شهية تذكر.

وقالت فيرا: لن آكل لحم البقر بعد اليوم أبداً.

وإذ فرغوا من الطعام بقوا جالسين حول المائدة، كل منهم يحدق فى الآخر.

وقال بلور: لم نعد الآن غير أربعة، فعلى من الدور؟

اتسعت عينا الدكتور أرمسترونج وقال: يجب على كل منا أن يحتاط..

قاطعه بلور قائلاً: هكذا قال... وقد مات الآن.

قال أرمسترونج: إننى أتساءل كيف حدث هذا؟

أطلق لومبارد سبة وقال:

- لقد دبر القاتل أمره على خير ما يكون. فإن حشيش البحر الذى علقه فى سقف غرفة مس كلايتون قام بالدور الذى توقعه، فقد أسرع كل منا، يخامره الإحساس بأنها قتلت، وانتهز صاحبنا الارتباك الذى ساد وقتل القاضى بعد أن تخلى عن كل حذر.

سأله بلور: وكيف تفسر أننا لم نسمع صوت الرصاصة؟

هز لومبارد رأسه وقال: كانت مس كلايتون تصرخ، وكانت الرياح تعصف، وهذا هو السبب فى أننا لم نسمع شيئاً. ولكننا لن نقع فى مثل هذا الشرك مرة أخرى. يجب أن نكون أكثر ذكاء فى المرة القادمة.

نصحه بلور قائلاً: يجب أن تتوقع ذلك.

كانت رنة صوته بغيضة. وتبادل الرجلان النظر. وقال الدكتور أرمسترونج: نحن أربعة، ولا ندرى من...

وقال بلور بلهجة اليقين: أما أنا فأعرفه.

بدأت فيرا تقول: ما كنت لأظن أبداً...

وقال أرمسترونج فى بطء: أظن أننى أعرف فى الواقع...

قال لومبارد: أما أنا فيبدو لى أن فكرتى هى الصحيحة.

وراحوا يتبادلون النظر من جديد.

ونهضت فيرا، كانت ساقاها متخاذلتين، وقالت: أشعر بأننى لست على ما يرام. سأذهب لكى أنام. فلم أعد أستطيع الاحتمال.

قال لومبارد:

- من الأوفق أن نفعل مثلك. فلا خير لنا فى البقاء.

قال بلور: لست أرى مانعاً.

وتمتم الطبيب: أن أفضل ما نفعله هو أن يأوى كل منا إلى غرفته وإن كنا لن نستطيع النوم.

ومضوا نحو الباب. وقال بلور: وددت لو أن أعرف أين يوجد هذا المسدس الآن. وصعد الأربعة السلم.

ووقف كل منهم أمام باب غرفته، ويده على الأكرة. وعندئذ، وكأنما تلبية لإشارة ما دخل كل منهم غرفته وأغلق الباب خلفه، وتناهت إلى الأسماع بعد ذلك أصوات المزاليج، وقطع الأثاث وهى تنقل من أماكنها. وهكذا، أوصد أربعة من البشر، يتملكهم الذعر، الأبواب خلفهم لقضاء الليل.

أطلق فيليب لومبارد تنهيدة ارتياح بعد أن وضع مقعده تحت أكرة بابه، وثبته بحيث لا يستطيع أحد أن يفتحه من الخارج.

ثم مضى إلى منضدة الزينة، ونظر إلى ملامحه فى المرآة على ضوء الشمعة المتراقص، وقال يحدث نفسه: إنك مكرت ما استطعت إلى المكر سبيلا يا صاحبى، ولكن كل هذه المسائل قد بدأت تبعث الاضطراب إلى ذهنك.

وابتسم ابتسامة ذئب، وفضا عنه ثيابه مسرعا ثم فتح درج الطاولة، وما كان يفعل حتى استولى عليه الذهول، وراح ينظر إلى المسدس الذى به وهو لا يصدق عينيه.

كانت فيرا كلايتون مستلقية فوق فراشها، والشمعة لا تزال تحترق بجوارها، فلم تواتها الشجاعة على أطفائها...

كانت لا تنفك تقول: إننى آمنة حتى صباح الغد. لم يقع شىء فى الليلة الماضية، ولن يقع شىء هذه الليلة... لا شىء.. إننى أغلقت بابى بالمفتاح والمزلاج، ولا يمكن لأحد أن يدخل غرفتى.

ثم راحت تفكر وتقول: طبعا... أستطيع البقاء.. حبيسة فى غرفتى.. ومسألة الطعام مسألة ثانوية، يمكننى البقاء هنا إلى أن يأتوا لنجدتنا. حتى إذا اضطررت إلى البقاء سجينة فى غرفتى يوما أو يومين.

حسنا.. يمكنها البقاء فى غرفتها إذن؟.. ولكن هل تستطيع ذلك حقا، هل تجد الجرأة لكى تبقى وحدها فى غرفتها ساعات طويلة دون أن تتحدث مع أحد ودون أن تفعل شيئاً.

وعادت ذكرياتها إلى إقليم كورنواى وإلى هوجو وسيريل... هذه الأفكار الفظيعة التى تصر على إزعاجها.

«مس كلايتون... لماذا تمنعيننى من السباحة حتى تلك الصخرة؟.. إننى أعرف أننى أستطيع ذلك.

- هل تسمحين لى أن أفعل إذن؟

- ولكنك تفهم يا سيريل. أن أمك شديدة القلق عليك. ولكن أصغ إلى جيداً. تستطيع أن تسبح حتى تلك الصخرة، وسأشغل أمك بالحديث ونحن على الشاطئ لكى أحول اهتمامها عنك. وعندما تبحث عنك ستكون قد وقفت على الصخرة وتشير إليها. وستكون مفاجأة جميلة لها.

- آه. أنت ظريفة يا مس كلايتون. سوف ألهو كثيراً.

وعدته. غدا.... كان هوجو ينوى أن يقضى نهار الغد فى نيوكاى، وعند عودته سيكون كل شىء قد انتهى.

نعم. ولكن لنفترض أن الأمور تجرى بصورة أخرى. لنفرض أن كل شىء يقع بخلاف ماتريد؟ وأن ينقذ أحدهم سيريل فى الوقت المناسب؟ وعندئذ سيقول الغلام:

- «أن مس كلايتون هى التى سمحت لى بأن أذهب حتى الصخرة».

ولكن وبعد؟ يجب أن تقوم ببعض المجازفة على كل حال، وإذا حدثت أسوأ الأمور فسوف تواجه الموقف بشجاعة.

كيف يمكن أن تنطق بمثل هذه الكذبة يا سيريل؟ ولكننى لم أسمح لك بذلك أبداً. لن يضعوا قولها موضع الشك فإن سيريل يجب أن يروى الأقاصيص، ولا يمكن أن يصدقوه تماما. وسيفهم الغلام طبعا، ولكن ما الأهمية؟.. ستجرى الأمور كما تتوقع، وستحاول أن تسرع إلى نجدته ولكنها سوف تصل متأخرة... لن يشك فيها أحد.

- هل اشتبه هوجو فيها؟.. ما معنى تلك النظرة الطويلة التى شملها بها؟.. هل يعرف؟

ألهذا السبب أسرع بالاختفاء بعد انتهاء التحقيق؟...

إنه لم يرد على الخطاب الذى أرسلته إليه.

راحت فيرا تتقلب فوق فراشها. كلا، كلا. لا يجب أن تفكر فى هوجو بعد الآن فإن ذكراه تعذبها كثيراً... لقد انتهى كل شىء.

لماذا أحست هذه الليلة بالذات أن هوجو موجود بجوارها؟

ورفعت عينيها إلى السقف فرأت الحلقة الكبيرة السوداء المثبتة فيه، ولم تكن قد لفتت نظرها قبل ذلك.

لقد علق القاتل حشيشة البحر الطويلة فى هذه الحلقة... وسرت فى بدنها رعشة وهى تتذكر اليد اللزجة التى مست عنقها.

وسحرتها تلك الحلقة الكبيرة، وجذبت اهتمامها بصورة غريبة.

جلس مفتش البوليس السابق على حافة فراشه، وراحت عيناه المحمومتان تتابع ظلال غرفته، وبدا كما لو كان خنزيرا بريا يهم بالهجوم على عدوه. لم يشعر بأية رغبة فى النوم.

لقد أصبح الخطر عاجلاً، وأخذ يزداد دنوا من وقت لآخر، ولم يبق منهم، هم العشرة غير أربعة. وراح يشخر فى فرح وحشى.

ماذا قال هذا الكهل... ليحتاط كل منا وليكن على حذر..

هذا المنافق المسن.. كان يعتبر نفسه وهو يرأس المحكمة رسول الله فى أرضه... ولكنه لقى الآن جزاءه على كل حال.

مات ستة أشخاص من العشرة الذين هبطوا إلى الجزيرة.. ولم يبق غير أربعة... فيرا ولومبارد وأرمسترونج وهو نفسه.

ولكن لم يلبث أن يموت شخص سابع. غير أن هذا الشخص لن يكون ويليام هنرى بلور، وسوف يحرص على ذلك.

ولكن أين ذلك المسدس؟.. كانت هذه هى الناحية التى تثير القلق فى المسألة... المسدس!

وراح بلور يفكر فى اختفاء المسدس مقطب الجبين. وسمع الساعة فى الدور الأرضى تعلن انتصاف الليل.

وارتخت أعصابه قليلا، وتمدد فوق فراشه، ولكن من غير أن يخلع ثيابه.



وبقى جامداً وقد غرق فى أفكاره، وهو يستعيد فى ذهنه الطريقة التى مرت بها الأحداث منذ قدومهم إلى الجزيرة كما كان يفعل تماما حتى كان يسجل تقاريره البوليسية التى كان يرسلها إلى اسكوتلانديارد.

وراحت شعلة الشمعة تخبو، فنفخ فيها وأطفأها بعد أن تأكد من أن علبة الثقاب فى متناول يده.

والغريب أن الظلام ضخم جزعه. ومرت بذهنه مخاوف جنونية، وحلقت فى الجو وجوه... وجه القاضى وفوق رأسه باروكة من الصوف الرمادى، ووجه مسز روجرز البارد ووجه أنتونى مارستون المتشنج.

وظهر وجه آخر أصفر بأنف تعلوه نظارة وشارب صغير.

وجه سبق أن رآه قبل ذلك... ولكن أين؟.. لم يره فى الجزيرة.. كلا. إن هذا الوجه يعود إلى وقت بعيد... بعيد جداً.

ولكن الغريب أنه لم يستطع أن يتذكر صاحب هذا الوجه المكشر المخيف.... وفجأة عادت إليه الذاكرة... أنه وجه لاندور.

كيف استطاع أن ينسى وجه لاندور بهذه الصورة؟.. لقد حاول، قبل ذلك أن يستعيد قسماته عبثا.

ولكنه أصبح يرى لاندور الآن فى وضوح، كما لو كان قد تحدث إليه بالأمس.

كان لاندور متزوجا... زوجة جميلة، وكانت لها ابنة فى الرابعة عشرة تقريباً، ولأول مرة تساءل بلور ماذا عساه حدث لها؟

المسدس... أين المسدس؟.. هذا هو السؤال الذى يعلو على كل الأسئلة.. كلما فكر فيه كلما زاد الأمر تعقيداً...

هناك شخص يعرف أين يوجد ذلك المسدس.

ودقت الساعة فى الدور الأرضى تعلن الواحدة صباحا.

وتوقفت أفكار بلور على الفور، وجلس على الفراش، وقد تنبهت حواسه، فقد سمع حركة، حركة خافتة جداً فى الناحية الأخرى من بابه.. كان هناك من يتحرك فى البيت الذى يخيم عليه الظلام.

وتفصد جبينه بالعرق... من ذلك الذى يتسلل خفية فى الطرقة؟ لا ريب أنه شخص تحركه نوايا سيئة.. وإنه ليقسم على ذلك.



وفى خفة ونشاط، وعلى الرغم من بدانته، وثب من فوق الفراش، وفى خطوتين اثنتين كان بجوار الباب وقد أرهف أذنيه.

ولكنه لم يسمع شيئاً، ومع ذلك فإن بلور كان مقتنعا بأنه لم يخطىء. لقد أحتك بعضهم بباب غرفته. ووقف شعر رأسه.

كان هناك شخص يمشى فى الطرقة متسللاً... وأصاخ السمع من جديد، ولكن الصمت عاد فخيم حوله.

واستولى عليه إغراء جديد... تلهف على الخروج من غرفته لكى يرى ما يحدث فى الخارج. لو يستطيع فقط أن يرى ذلك الشخص الذى يتسلل فى الظلام!

ولكن من الجنون أن يفتح بابه، لأن هذا هو ما يتوقعه الآخر بلا ريب، ولعله تعمد إصدار هذه الحركة لكى يخرج بلور من غرفته.

توتر بلور مكانه، وتناهى إلى سمعه الآن صوت جديد، صادر من كل مكان.. صوت احتكاك مصحوب بهمسات، ولكنه لم يلبث أن أدرك أن كل ذلك إنما هى أوهام من بنات أفكاره.

وفجأة، سمع صوتا... ولكنه لم يكن واهما هذه المرة.. خطوات متلصصة حذرة، ولكنها على الرغم من ذلك لم تفلت من أذن بلور المرهفة، وعبرت الخطوات الطرقة فى بطء، وكانت غرفتا لومبارد وأرمسترونج تقعان فى آخره، ومرت أمام بابه هو بالذات.

اتخذ بلور قراره فى نفس هذه اللحظة، فقد أراد أن يعرف من ذلك المتسلل الليلى، وكانت الخطوات تهبط الدرج حينئذ، وتساءل أين يمضى صاحبها؟

وعندما صمم على العمل تحرك بسرعة وبخفة لرجل فى مثل بدانته فعاد إلى فراشه ووضع علبة الكبريت فى جيبه ثم رفع البريزة الكهربية الخاصة بالأباجورة الموجودة فوق الطاولة، بجوار فراشه، ولف السلك حول عمودها المعدنى. وخطر له أن الأباجورة نفسها سلاح له وزنه فى ساعة الخطر، خاصة وأن قاعدتها من الصلب، ورفع المقعد من تحت أكرة الباب فى حرص كبير، ورفع المزلاج وفتحه. وتقدم فى الطرقة. وجاء من البهو صوت خافت، ومشى بلور بالجورب حتى درابزين السلم.

ومن هذه اللحظة أدرك لماذا سمع خطوات المجهول بكل وضوح، فقد هدأت الرياح؟ وصفت صفحة السماء، ومن نافذة البسطة دخل شعاع باهت



القمر أضاء البهو أسفل السلم.

ولمح بلور فى لمحة خاطفة شبحا اندفع من الباب العمومى إلى الخارج، فهبط السلم أربعا أربعا لكى يلحق به، ولكنه لم يلبث أن توقف على الفور. ذلك أنه أوشك أن يتصرف تصرفا أحمق مرة أخرى. أليس هذا فخا نصبه له الهارب لكى يستدرجه خارج البيت؟

ولكن الشىء الذى لم يفهمه الآخر هو أنه هو نفسه أقدم على حماقة وأوقع نفسه فى يدى بلور، لأن غرفة من غرف زملائه الثلاثة لابد أن تكون شاغرة الآن، ولابد له أن يعرف من هى.

وعاد بلور إلى الطرقة مسرعا، وطرق باب الدكتور أرمسترونج ولكن لم يجبه أحد.

وانتظر دقيقة ثم مضى إلى غرفة فيليب لومبارد. وهناك جاءه الرد على الفور: من الطارق؟

- أنا بلور. يبدو أن أرمسترونج ليس فى غرفته.. انتظر لحظة.

وطرق باب آخر وهو يقول: مس كلايتون... مس كلايتون.

وردت فيرا عليه قائلة فى اضطراب: من؟.. ما الخبر؟..

- لا شىء يا مس كلايتون. انتظرى لحظة فسوف أعود.

وأسرع عائداً إلى غرفة لومبارد. وكان هذا الأخير قد فتح الباب ووقف على عتبته والشمعة فى يده اليسرى، فى حين كانت يده اليمنى فى جيب بيجامته. وقال: ما الذى حدث بحق الشيطان؟

أخبره بلور بالموقف فى بضع لحظات، واتسعت عينا لومبارد وقال:

- أرمسترونج؟.. هو مستر أوين إذن؟..

ومضى إلى غرفة الطبيب وهو يقول: معذرة، ولكننى لا أستطيع أن أصدق الآن إلا ما أراه.

وطرق الباب وهو يقول: أرمسترونج... أرمسترونج...

وجثا على ركبتيه ونظر من ثقب الباب ثم قال: أن المفتاح ليس بالباب.

- لا ريب أنه أخذه معه.

قال لومبارد: هذا احتياط طبيعى تماما... سوف نلحق به يا بلور. إنه لن يفلت منا هذه المرة. ولكن دقيقة واحدة...

وجرى نحو غرفة فيرا وقال: فيرا! نعم.



- إننا سنبحث عن أرمسترونج، فهو ليس فى غرفته، فلا تفتحى الباب لأحد، هل تسمعين؟

- نعم..

إذا جاء أرمسترونج وقال لك أن أحدنا، أنا أو بلور قد أصابه شىء فلا تصدقيه ولا تفتحى الباب إلا إذا تكلمت أنا أو بلور. هل فهمت؟

- نعم. إننى لست غبية تماما.

وعاد إلى بلور وقال له: فلنطارده الآن.

قال بلور: ولكن لنبق على حذر. لا تنس أن المسدس معه.

قال فيليب وهما يهبطان السلم سريعا: أنت مخطىء فى هذه النقطة فإن المسدس معى أنا.

وأخرج نصفه تقريبا من جيبه واستطرد: وجدته هذه الليلة فى الدرج.. أعاده إليه من أخذه منه قبل ذلك.

توقف بلور على عتبة الباب على الفور، ولاحظ فيليب أن وجهه امتقع فجأة، فقال له محنقا: لا تكن غبيا يا بلور. إننى لن أقتلك. عد إلى غرفتك وأوصد بابها عليك إذا أردت. أما أنا فسأذهب لمطاردة أرمسترونج.

وانصرف تحت ضوء القمر. وتردد بلور لحظة ثم تبعه وهو يقول: يخيل لى أننى أسعى لحتفى، ومهما يكن...

مهما يكن فلم تكن هذه أول مرة يواجه فيها مجرمين مسلحين.

وكانت فيرا تنتظر نتيجة المطاردة. ولكنها جلست أثناء ذلك أمام طاولة الزينة وراحت تتجمل.

وألقت نظرة إلى الباب مرة أو مرتين. كان بابا سميكا ومتينا. وكان مغلقا بالمفتاح والمزلاج. وكانت فيرا قد ثبتت تحت أكرته مقعداً بحيث لا يمكن تحريكها من الخارج.

كان لابد من رجل أقوى بكثير من أرمسترونج لتحطيم هذا الباب.

وفكرت فيرا... أنها لو كانت مكان أرمسترونج للجأت إلى الحيلة بدلاً من القوة لتحطيم الباب.

وراق لها أن تفكر فى الطريقة التى يمكن أن يلجأ أرمسترونج إليها.

فى مقدوره، كما ذكر لومبارد، أن يزعم لها أن أحد الرجلين قد قتل، ولعله يزعم أنه هو نفسه أصيب إصابة قاتلة ويزحف بجوار الباب وهو يئن ويتألم.

ومرت بذهنها احتمالات أخرى، قد يقول لها مثلاً أن البيت يحترق، وقد يشعل هو نفسه حريقـاً. ويمكنه، بعد أن أستدرج الرجلين إلى الخارج أن يلقى عود ثقاب على سحابة من البنزين يكون قد سكبها من قبل، وتبقى هى، كالغبية، حبيسة فى غرفتها، ومضت إلى النافذة، لم يكن ارتفاعها عن الأرض مخيفا، وإذا ما أعوزتها الضرورة فإن فى استطاعتها أن تهرب منها. والمسافة إلى الأرض عالية بعض الشىء ولكن كانت هناك روضة من الزهور تحت النافذة ستخفف من وقع الوثبة.

وجلست أمام منضدتها وأخذت تكتب مذكراتها فى خط واضح، فقد كان لابد لها من أن تفعل شيئاً لكى تقتل الوقت.

وتوترت فى جلستها فجأة وأرهفت السمع، فقد سمعت صوتا.. خيل لها أنه صوت أطباق انكسرت فى الدور الأرضى، وظلت تنصت.

ولم تلبث أن سمعت، أو خيل لها أنها تسمع وقع أقدام متلصصة، وصريرا على السلم، ولكنها لم تستطع أن تحدد كنه الشىء الذى سمعته واقتنعت أخيراً، كما سبق أن فعل بلور، بأنها كانت واهمة.

ولكنها سرعان ما سمعت أصواتا أخرى... كانت واضحة جدا هذه المرة، فقد سمعت أشخاصا تسير فى الدور الأرضى، وهمسات ثم صعد بعضهم السلم، وفتحت أبواب ثم أغلقت. وصعدت الأقدام إلى غرفة الخدم حيث تضخمت الأصوات.

وأخيراً، اجتازت الأقدام الطرقة، وسمعت صوت لومبارد يقول: فيرا... أما زلت هنا؟...

ـ نعم. ما الخبر؟...

ـ هل لك أن تفتحى لنا؟..

سارت الفتاة إلى الباب، ورفعت الكرسى وأدارت المفتاح، ثم رفعت المزلاج، وفتحت الباب. ورأت الرجلين أمامها، وكانا يلهثان، وقد ابتلت قدماهما وأسفل ثيابهما، وقالت: ما الذى حدث؟

أجاب لومبارد: اختفى أرمسترونج.

أجفلت فيرا وصاحت: ماذا؟

ـ إنه اختفى من الجزيرة.. كما لو أن الأرض قد ابتلعته.

قالت فى امتعاض: ولكن هذا سخف، لا ريب أنه مختبىء.

أجاب بلور: أبداً. لا يوجد بالجزيرة أى مكان يصلح للاختباء.

قالت: لعله عاد إلى البيت.

أجاب بلور: خطر لنا ذلك، وفتشنا البيت من أسفله إلى أعلاه، ولا ريب أنك سمعتنا. كلا. إنه ليس هنا. وأؤكد لك أنه اختفى.

ـ لا أصدق ذلك.

قال لومبارد: إنها الحقيقة مع ذلك.

وسكت برهة ثم قال: وأريد أن أقول لك شيئاً آخر. لقد تحطم لوح من الزجاج بغرفة الطعام... ولم يبق فوق المائدة غير ثلاثة تماثيل.

* * *

جلس ثلاثة أشخاص فى المطبخ يتناولون إفطارهم.

وكانت الشمس تسطع فى الخارج، وبدأ اليوم جميلاً رائعاً، وهدأت العاصفة وأصبحت فى خبر كان.

وأحدث تغيير الجو تغييراً فى طباع أسرى الجزيرة.

بدأ لهم أنهم يخرجون من كابوس فظيع. كان الخطر لايزال قائما طبعا، ولكنهم يواجهونه الآن فى وضح النهار، فقد تلاشى جو الخوف الرهيب الذى شل حركاتهم طوال الليل والذى طواهم كالكفن بينما كانت الرياح تصفر وتهدر فى الخارج.

وقال لومبارد يقترح على زميليه: ما رأيكما فى أن نرسل إشارات شمسية بواسطة مرآة، ونحن وقوف فى أعلا قمة فى الجزيرة. قد يكون هناك، على الشاطئ صياد ذكى وشجاع فيرى هذه الإشارات ويفهم أنها طلب استغاثة، وقد نستطيع أن نشعل ناراً كبيرة بالليل، ولكن لسوء الحظ لا يوجد خشب كثير، ومن ناحية أخرى، فمن المحتمل أن يسىء الأهالى الظن ويحسبون أننا نقيم حفلة راقصة.

قالت فيرا: لا ريب أن هناك من يعرف المورس فيسرع إلى نجدتنا.. قبل هبوط الليل.

قال بلور: لقد راقت السماء، ولكن البحر لايزال هائجا، والأمواج عنيفة، ولا يمكن أن تقترب أية سفينة من الشاطىء قبل صباح الغد.



صاحت فيرا: معنى هذا أننا سنقضى ليلة أخرى هنا.

هز لومبارد كتفيه وقال: من الأوفق أن نستسلم للواقع. ومهما يكن فلن يزيد الأمر عن أربع وعشرين ساعة أخرى، وإذا استطعنا أن نصمد حتى آخرها فستكتب لنا النجاة.

تنحنح بلور وقال: من الأوفق أن ندرس الموقف عن كثب. ماذا حدث لأرمسترونج؟..

قال لومبارد: مهما يكن فلدينا دليل إثبات فلم يبق فى غرفة الطعام غير ثلاثة تماثيل، وهذا معناه أن أرمسترونج قد لقى حتفه.

أجابت فيرا: كيف لم تعثرا على جثته إذن؟..

قال بلور: إنك على حق.

هز لومبارد رأسه وقال: نعم. هذا غريب. إننا لم نستطع العثور عليها.

وقال بلور: ربما ألقيت فى البحر.

صاح لومبارد محنقا: ومن الذى ألقاها؟.. أنت؟.. أو أنا؟ إنك رأيته يخرج من الباب العمومى وأتيت إلى غرفتى لكى تخبرنى بذلك. وفتشنا الجزيرة والبيت معا، فمتى استطعت بحق الشيطان أن أقتله وأن أنقل جثته إلى آخر الجزيرة.

قال بلور: لا أعلم. ومهما يكن فإننى أعلم شيئا.

سأله لومبارد: وما هو؟

ـ بخصوص ذلك المسدس... إنه مسدسك، وهو معك الآن، ولا شىء يثبت أنه فارقك أبداً.

ـ ما هذا الذى تقول يا بلور؟ إنك تعلم جيدا أن كلا منا فتش تفتيشا دقيقا.

ـ هذا صحيح. ولكن لا ريب أنك أخفيته قبل التفتيش، ثم استعدته بعد ذلك.

ـ أنك غبى كالحمار. أقسم لك أن الذى سرقه من درجى أعاده إليه، وقد كدت أصعق لفرط الدهشة التى انتابتنى عندما رأيته.

صاح بلور: ولكن من تحسبنى؟.. ولماذا أعاده أرمسترونج أو أى شخص آخر إليك؟

هز لومبارد كتفيه يائساً وقال: ليست لدى أية فكرة. ولكن كل هذا يبدو لى عملاً جنونيا. أن هذه القصة ليس لها أول ولا آخر!

قال بلور موافقا: هذا صحيح. كان فى مقدورك أن تختلق قصة أفضل.



ـ وهذا أصدق دليل على أننى أقول لك الحقيقة.

ـ ليس هذا رأيى.

ـ كنت أتوقع هذا.

ولم تشترك فيرا فى هذا الحديث، ولكنها تدخلت أخيراً وقالت: أنكما تتصرفان كالأغبياء.

قال لومبارد وهو ينظر إليها: وكيف هذا؟..

ـ أنسيتما الأغنية؟..

وراحت تقول فى لهجة لها مغزاها:

أربعة أطفال هنود ركبوا البحر!

ابتلع سمك القرش واحداً فلم يبق إلا ثلاثة.

واستطردت تقول: أن أرمسترونج لم يمت. إنه أخذ التمثال الخزفى لكى تعتقدا أنه مات. ولكما أن تقولا ما تشاءان.. أما أنا فأقول أن أرمسترونج ما زال موجودا فى الجزيرة، وأن اختفاءه حيلة لخداعكما.

قال لومبارد وهو يجلس: لعلك على حق على كل حال.

ولكن بلور اعترض قائلاً: أن قولك هذا يدل على ذكاء كبير. ولكن أين يختفى صاحبنا إذن؟... إننا فتشنا الجزيرة كلها.

قالت فيرا فى إزدراء: ومع ذلك فقد فتشنا عن المسدس فى كل مكان، أليس كذلك؟... وضاعت كل أبحاثنا سدى، مع أن المسدس لم يغادر الجزيرة.

تمتم لومبارد: ولكن هناك اختلاف فى الحجم بين المسدس وبين الرجل على كل حال.

قالت فيرا: ليست هناك أية أهمية.. إننى واثقة أننى غير مخطئة.

تمتم بلور: أن مستر أوين قد فضح نفسه بهذه الأغنية. كان فى مقدوره أن يغيرها شيئاً ما.

ـ ألا تفهمان أننا نواجه مجنونا؟ من الجنون ارتكاب جرائم قتل طبقا لفقرات إحدى أغانى الأطفال. وأن ألباس القاضى ذلك المعطف الأحمر وقتل روجرز وهو يقتطع الخشب، ودس المخدر فى شراب مسز روجرز لكيلا تستيقظ، وإطلاق نحلة فى الغرفة فى الوقت الذى ماتت فيه مس برنت... كل هذه أعمال صبيانية قاسية. ولكن يجب أن يسير كل شىء حسب الأغنية.

وقال بلور: هذه صحيح.



وفكر لحظة ثم استطرد: مهما يكن فلا توجد حديقة حيوانات فى الجزيرة، وسيجد صعوبة كبيرة لكى يطبق هذه الفقرة من الأغنية.

صاحت الفتاة: ألا تفهمان؟.. حديقة الحيوانات؟.. حديقة الحيوانات.. إنما الحيوانات هى نحن. لقد فقدنا سمة البشر منذ مساء أمس، وأؤكد لكما أننا الآن لسنا أكثر من حيوانات.

قضوا الصبيحة جالسين فوق الصخرة يرسلون، كل بدوره، إشارات شمسية بواسطة مرآة إلى القرية.

ولكن يبدو أن أحداً لم ير هذه الإشارات، فلم تأتهم إشارة رداً على إشاراتهم على كل حال، كان الوقت جميلاً وقد انتشرت فى الجو سحابة خفيفة من الضباب، وتحت أقدامهم كان البحر يرسل أمواجه العنيفة العاتية فتنكسر على صخور الشاطئ.

ولم تظهر فى الأفق أية سفينة.

وكانوا قد قاموا بتفتيش الجزيرة مرة أخرى ولم يجدوا أى أثر للطبيب المختفى.

ورفعت فيرا عينيها ونظرت إلى البيت، من المكان الذى يجلسون فيه وقالت: إننى أشعر بأننى، هنا، فى الهواء الطلق، أحسن. لا يجب أن نعود إلى البيت.

قال لومبارد: أن فكرتك هذه رائعة، فإننا هنا فى أمان. وإذا أراد أحد أن يهاجمنا فسوف نراه وهو قادم.

قالت فيرا: حسنا. فلنبق هنا إذن.

وقال بلور: ولكن لابد لنا من العودة إلى البيت لقضاء الليل على كل حال.

ارتجفت فيرا وقالت: أن هذه الفكرة تخيفنى. لن أطيق قضاء ليلة أخرى كتلك التى انقضت.

قال فيليب مواسيا: ومع ذلك فليس هناك ما تخشينه.. بعد أن تغلقى عليك باب غرفتك.

تمتمت فيرا وهى لا تشعر باطمئنان كبير: ربما.

وبسطت يدها وأردفت تقول: إنه لجميل أن يرى المرء الشمس من جديد.

وفكرت تقول: ما أغرب هذا. إننى أكاد أكون سعيدة. ومع ذلك فإن أيامى فى خطر، ومهما يكن فلا شىء يزعجنى أثناء النهار، فإننى أشعر بأننى قوية جداً، وإننى فى مناعة ضد الموت.



نظر بلور إلى ساعة يده وقال:

ـ الساعة الثانية؟.. والغداء؟

ـ أقول لك إننى لن أعود إلى البيت... أريد أن أبقى هنا، فى الهواء الطلق.

ـ ولكن ليس هذا من الحكمة فى شىء يا مس كلايتون. لابد لنا من أن نقتات على كل حال.

ـ أن مجرد رؤى علبة من لحم البقر سيصيبنى بالغثيان.

ـ لا أريد أى طعام. أن بعض الناس يتبعون رجيما خاصا ويبقون بغير طعام أياما طويلة.

قال بلور:

ـ أما أنا فلا أستطيع أن أستغنى عن وجباتى الثلاث اليومية يا مستر لومبارد.

ـ إننى لا أحب لحم البقر كثيراً أنا الآخر، وسأبقى برفقة الآنسة كلايتون.

تردد بلور. وقالت له فيرا: أوه، لا تشغل بالك بى. لا أظن أنه سيقتلنى بمجرد أن تولينا ظهرك.. إذا كان هذا ما تخشاه فيمكنك أن تنصرف دون خوف.

قال بلور: إذا كان هذا رأيك فأنت وشأنك. ولكن لا تنسى أننا اتفقنا على ألا يفترق أحدنا على الآخر.

قال لومبارد: هل تصر على الذهاب إلى عرين الأسد؟.. سآتى معك، إذا أردت.

أسرع بلور يقول: كلا. لست بحاجة إليك. فلتبق مكانك.

انفجر فيليب ضاحكا وقال: إنا أثير هلعك إلى هذا الحد. ولكن لو أننى كنت أريد أن أقتلكما لأطلقت عليكما الرصاص الآن.

قال بلور: هذا صحيح. ولكنك ستغير برنامجك إذا فعلت ذلك، فيجب أن نختفى واحداً واحداً وبطريقة معينة.

قال لومبارد: يبدو أنك تعرف الكثير عن هذه المسألة.

ـ الواقع أننى لا أشعر بالاطمئنان لمجرد فكرة ذهابى وحدى إلى هذا البيت.

اختتم فيليب الحديث فقال ساخراً: وأظنك تريد أن أعيرك المسدس، أليس كذلك؟.. حسنا. إننى لن أعيرك إياه..

هز بلور كتفيه وهبط المنحدر المؤدى إلى البيت مسرعا. وقال لومبارد فى خبث: طعام الحيوانات المتوحشة الموجودة فى جنينة الحيوانات.. أن الحيوانات تحب أن تتناول طعامها فى أوقات محددة.



سألته فيرا في قلق: هل يتعرض بلور إلى خطر كبير بذهابه إلى البيت وحده؟

ـ كلا.. ليس بالمعنى الذى تتصورينه... أن أرمسترونج ليس مسلحا، ومن الناحية البدنية، فإن بلور أقوى منه بكثير، وفوق ذلك فإنه على حذر، ومن رأيى أن أرمسترونج ليس فى البيت، فإننى أعلم أنه ليس فيه.

ـ إذا لم يكن أرمسترونج هو القاتل فمن يكون؟

أجاب فيليب: إنه بلور دون أى شك.

ـ حقاً؟.. هل تعتقد ذلك؟

ـ اسمعى يا صديقتى العزيزة، إنك سمعت رواية بلور، وإذا كنت تعتبرينها صحيحة فإننى برىء تماما من اختفاء أرمسترونج، فإن أقواله تبرئنى، فهو يقول أنه سمع أصواتا أثناء الليل، ورأى رجلاً يهرب من الباب العمومى، ولكن ربما كان قوله هذا كله كذبا... وربما تخلص من أرمسترونج قبل ذلك بساعتين.

ـ بأية طريقة؟

هز لومبارد كتفيه وقال: أننا نجهل ذلك. ولكن إذا أردت أن تصدقينى فليس هنت من أشباه غير شخص واحد، وهو بلور. مـاذا نعرف عنه؟... إنه لم ينتم أبدا إلى رجال البـوليس دون أى شك، وفى المقدور أن يكـون كل مـا نريد... مليونيـر مخبـول... أو رجل أعمال مجنون... أو مـجنون هارب من مستـشفى المجاذيب. ولكن هناك حقيقة مؤكدة، وهى أنه استطاع ارتكاب كل هذه الجرائم.

امتقعت فيرا وهى تسمع هذا القول وتمتمت تقول فى همس:

ـ وإذا خطر له الآن... إذا هاجمنا الآن؟

أجاب لومبارد فى هدوء وهو يداعب قبضة مسدسه: إن عينى مفتوحتان، فاطمئنى.

ثم نظر إلى الفتاة نظرة غريبة وقال: إنك تضعين فى ثقة مطلقة يا فيرا، وإننى أشكرك على ذلك، ولكن لماذا تثقين هكذا فى أننى لن أقتلك؟

أجابت: يجب أن يثق المرء فـى شـخـص ما، وأظـن أنك تخطىء إذ تتـهم بلور. أما أنا فإننى أشك فى أرمسترونج.

وفجـأة تحولت نحو زميلها وقالت: ألا تـشعر ذلك الشعور الدائم بأن هناك من يراقبك؟

ـ إنها مجرد مسألة عصبية.



قالت فيرا فى إصرار: أنت أيضاً أحسست بهذا الإحساس إذن.

وانحنت نحو الشاب وهى تنتفض وقالت: قل لى... ألا تظن.

ثم أمسكت عن الكلام.

وسالهـا لومبارد يقول بعـد صمت وجيز: أنك تركت ذلك الطفل يغرق، أليس كذلك؟...

أجابت فيرا ساخطة: كلا، كلا. إننى أمنعك من التلميح بمثل هذا الشىء.

وراح يضحك وقال:

ـ بل هذه هى الحقيقة يا عزيزتى.. إننى لا أعرف السبب، ولكننى أخمن أن هناك رجلاً وراء ذلك.

استولى على الفـتاة إعياء مفاجىء وتعب شديد وتمتـمت تقول فى سأم: نعم... كان هناك رجل.

قال لومبارد: شكراً... هذا ما أردت أن أعرف.

واعتدلت فيرا فى جلستهـا فجأة وهتفت: ما هذا الذى أسمع؟... يخيل لى أن الأرض زلزلت.

قال لومبارد: كلا.. كـلا.. ولكن هذا غريب. يبدو أنه صوت ارتطام شىء، ويخيل لى أننى سمعت شخصا يصرخ. ألم تسمعيه أنت؟

ونظر كل منهما إلى البيت.

ـ أن الصوت جاء من هذه الناحية. هلمى بنا لكى نرى ما هناك.

قالت الفتاة: كلا، كلا، لن أذهب.

ـ كما تشائين. سأسرع أنا لكى أستطلع الأمر على كل حال.

وقالت فيرا على مضض: حسنا، إننى آتية معك.

وعادا إلى البـيت معا، وبدت الشرفـة تحت أشعة الشمس سـاكنة، يخيم عليها الهدوء. وترددا لحظة قبل أن يدخـلا من الباب العمومى، ودار بالبيت وهما يتوخيان الحذر.

واكتشـفا بلور ممدداً على الأرض، وذراعاه مـبسوطتان كـالصليب فوق الشرفة الصخرية من الناحية الشرقية من البيت وقد شجت رأسه من تأثير ضربة أصابته بقاعدة من الرخام الأبيض.

ورفع فيليب عينيه وقال: من الذى كان يشغل هذه الغرفة؟

أجابت فيرا فى صوت خافت مضطرب:

ـ أنا، وإننى أعرف الساعة الرخامية التى كانت فوق المدفأة.. أنها مصنوعة فى هيئة دب.

وكررت وهى ترتجف لفرط اضطرابها: أنها فى هيئة دب.

أمسكها فيليب من كتفيها وقال فى صوت كئيب: لقد وضح الأمر، أن أرمسترونج يختفى فى مكان ما من هذا البيت. لن يفلت منى هذه المرة.

ولكن فيرا أحتجزته قائلة: توخ الحذر. إن الدور علينا الآن، وهو يريد أن نمضى لكى نبحث عنه.

غير لومبارد رأيه وقال: لعلك على حق.

صاحت الفتاة: يمكنك أن تعترف هذه المرة أننى لم أخطىء.

ـ تماما. كنت على صواب. أن أرمسترونج هو الجانى تماما. ولكن أين يختبئ بحق الشيطان؟.. إننى فتشت أنا وبلور الجزيرة والبيت بكل دقة.

قالت فيرا: إذا كنت لم تجده هذه الليلة فإن الفرصة قليلة فى أن تجده الآن. نعم. ولكن...

ـ لا ريب أنه دبر لنفسه مخبأ أمينا قبل قدومنا إلى الجزيرة، ولا شك أن بالبيت مخبأ سريا لم نهتد إليه.

هز لومبارد رأسه وقال: هذا محال. إن هذا البيت حديث البناء، وليس به أية مخابىء سرية من تلك التى كان يتفنن أصحاب البيوت فى إقامتها فى العصور القديمة. وقد فتشنا كل غرفة وكل ركن فيها، ولم نجد شيئاً.

قالت فيرا: لا ريب أنكم أخطأتم.

ـ أود أن أتأكد...

ـ تود أن تتأكد... هذا هو ما يرجوه تماما.. إنه يختبىء فى مكان ما وينتظرك.

أخرج لومبارد المسدس من جيبه وقال: لا تنس أن معى سلاحاً.

ـ ولكنك كنت تقول عن بلور أنه ليس هناك ما يخشاه، وأنه يمكن أن يواجه أرمسترونج. إنه كان أقوى منه بدنيا، غير أن الآخر كان على حذر. ولكن الشىء الذى لا نحسب له حسابا هو أن أرمسترونج مجنون، والمجنون يتميز دائماً على غيره لأنه يبدى من الذكاء ما يفوق ذكاء الرجل الطبيعى.

أعاد لومبارد المسدس إلى جيبه وقال: سأبقى هنا.

سأل لومبارد زميلته فقال: ماذا سنفعل عندما يهبط الليل؟

لم تنطق فيرا فعاد يقول محنقا: ألم تفكرى فى هذا؟

كررت قوله فى يأس: ماذا سنفعل؟... أواه، يا إلهى، إننى خائفة.

قال لومبارد: أن الطقس جميل والقمر بدر، فلنبحث عن مكان فى أعلا الصخرة، ونجلس فيه وننتظر طلوع النهار. ولكن لا يجب أن يغلبنا النوم. ولنتول الحراسة بالمناوبة طوال الليل، وإذا أقبل أحد نحونا فسوف أقتله.

وقال بعد صوت قصير: ربما تصابين بالبرد بمثل هذا الثوب الرقيق.

ضحكة ضحكة مغتصبة وقالت: أصاب بالبرد؟.. بل إننى سأتعرض للإصابة به أكثر إذا أنا مت. هذا صحيح.

نهضت فيرا ومشت بضع خطوات وهى ترتجف وقالت: سوف أجن إذا بقيت هنا من غير أن أتحرك. فلنمش قليلاً.

قال لومبارد: كما تشائين.

وأخذا يتمشيان بطول الصخور التى تشرف على البحر. وكانت الشمس تنحدر نحو الغرب، وأخذت أشعتها تتحولى إلى ألوان غاية فى الرقة وتشملهما بضوء ذهبى.

وضحكت ضحكة صغيرة عصبية وقالت تخاطب لومبارد: مما يؤسف له أننا لا نستطيع أن نستحم.

وتحول فيليب بعينيه إلى البحر وصاح يقول فجأة: ما هذا الذى هناك؟.. هناك بجوار الصخرة الكبيرة؟... كلا... أبعد قليلاً، نحو اليمين.

حدقت فيرا فى المكان الذى أشار إليه وقالت: يخيل لى أنها كتلة من الثياب.

قهقه لومبارد وقال: هو شخص يستحم إذن.. غريب!.. بل أظن بالأحرى أنه كتلة من حشيش البحر.

قالت فيرا: فلنمض إليها لكى نتحقق.

قال لومبارد وهما يقتربان: إنها ثياب.... وهذا حذاء.. تعالى من هنا.

وتقدما فوق الصخور وهما يمشيان على أربع. وقالت فيرا فجأة:

ـ إنها ليست ثياب، إنما هو رجل.

كانت الجثة محشورة بين صخرتين حيث دفعتها الأمواج قبل ذلك بساعات.



وبمجهود أخير وصل لومبارد وفيرا بجوار الغريق، وانحنيا فوق الوجه الذى غاض منه اللون وأصفر... وتورم... وصاح لومبادر: يا إلهى!.. إنه أرمسترونج...!

خيل لهما أنه مرت دهور... وإن دنا تدور وتختفى فى العدم، وأن الوقت لا يمر، وأن آلافا من الأجيال تتعاقب.

ومع ذلك، فلم تمر بهما غير دقيقة واحدة. ووقفا أمام الجثة ولم يفارقاها بعينيهما. وفى بطء... فى بطء شديد، رفعت فيرا كلايتون رأسها، وكذلك فعل فيليب لومبارد، وتلاقت نظراتهما.

انفجر لومبارد ضاحكا وقال: حسنا. ما رأيك الآن يا فيرا؟

أجابت فى صوت خافت جدا حتى بدأ كالهمس: لا يوجد أحد فى الجزيرة.. لا يوجد أحد غيرنا نحن الاثنان.

ـ تماما.. وقد أصبحنا الآن على بينة من الأمر.

ـ كيف وقعت القاعدة الرخامية من النافذة فى اللحظة المناسبة؟

هز لومبارد كتفيه فقال: لا ريب أن فى الأمر سحرا.

والتقت عيناهما من جديد، وفكرت فيرا: كيف حدث أننى لم ألحظ وجهه أبدا؟.. إنه يبدو كوجه الذئب بأسنانه الطويلة الحادة.

قال لومبارد بصوت أشبه بزمجرة حافلة بالتهديد: هذه هى النهاية. أننا نقف الآن أمام الحقيقة... هذه هى النهاية...

أجابت فيرا بكل هدوء: نعم. إننى أفهم.

وجال بصرها بالمحيط. لقد تأمل الجنرال ماك أرثر البحر هو الآخر، وتأمله طويلاً. ولكن، متى كان ذلك؟ أمس؟ أو لعل ذلك كان أول أمس. وقد نطق هو أيضاً بهذه العبارة: «هذه هى النهاية». قالها فى استسلام، وسرور تقريبا. ولكن فيرا استولى عليها الغضب لهذه الذكرى.

ـ كلا، كلا. هذه ليست النهاية.

انحنت الفتاة فوق الجثة من جديد وقالت: يجب أن نحمله من هنا وأن ننقله إلى البيت.

قال متهكما: لكى يكون برفقة الجثث الأخرى؟... وبهذا ينتظم كل شىء... فيما يتعلق بى فإننى لن ألمسه.



قالت فيرا: أن أقل ما نستطيع عمله هو أن نرفعه قليلاً فوق الصخور لكى يكون فى منأى من الأمواج.

عاد لومبارد يضحك وقال:

ـ فليكن.

وانحنى، وجر الجثة نحوه. واعتمدت فيرا عليه لكى تساعده، وبذلت كل قواها، وراح لومبارد يلهث وقال: إنها مهمة شاقة.

وأخيراً، أفلحا فى جر الجثة إلى مكان بعيد عن الأمواج. واعتدل الشاب فى وقفته. وقال لزميلته: هل أنت راضية الآن؟

ـ نعم. تماما. وأدهشته لهجتها، فتحول إليها فجأة. وفى اللحظة التى رفع يده فيها إلى جيبه عرف أنه أصبح خاليا.

وكانت فيرا قد ارتدت خطوتين إلى الخلف، ووقفت تواجهه والمسدس فى يدها.

وقال ساخراً: إذن فهذا سبب اهتمامك النسوى. أردت أن تسرقى منى المسدس.

أومأت برأسها بالإيجاب وأمسكت المسدس بيد ثابتة، وراح الموت يحوم حول فيليب لومبارد الآن، ولم يشعر أبداً بأنه كان أقرب منه كما شعر فى تلك اللحظة.

ولكنه مع ذلك، لم يقر بالهزيمة.

وراحت فيرا تضحك بدورها، وقال لومبارد فى إصرار: كفى... أعطنى هذا المسدس.

وراح ذهنه يعمل فى وضوح. كيف يفعل لكى يسترد المسدس؟ هل يحدثها فى رفق ويهدىء مخاوفها أو يأخذه منها على غرة؟

كان لومبارد مجازفا طوال حياته. وقد اتخذ هذه المرة أيضاً طريقته المفضلة، فقال متمهلا وقد صمم على استخدام الحجج المقنعة.

ـ اسمعى يا صديقتى العزيزة... اصغى إلى جيداً.

واندفع نحوها فى هذه اللحظة بالذات... بأسرع من الفهد.

ولكن فيرا كانت أسرع منه فضغطت على الزناد.

وأصابته الرصاصة فى وثبته وردته إلى الخلف ووقع فوق الصخرة.



واقتربت فيرا منه والمسدس فى يدها على استعداد لإطلاق الرصاص مرة أخرى. ولكن لم يكن هناك أى داع لذلك، فقد مات لومبارد برصاصة أصابته فى قلبه.

أحست فيرا بارتياح لذيذ، فقد انقشع الكابوس ولم يعد هناك ما تخشاه، ويمكن لأعصابها أن تسترخى كما تريد.

فقد أصبحت وحدها فى الجزيرة.. وحدها مع تسع جثث.

ولكن ما المهم الآن؟.. ألم تبق على قيد الحياة؟

وجلست فوق الصخرة وراحت تتذوق سعادة غامرة، وهدوءا تاما. فلم يعد هناك ما تخشاه.

وكانت الشمس توشك على المغيب عندما قررت أخيراً العودة إلى البيت، فقد شل رد الفعل حركاتها حتى ذلك الوقت.

كانت أفكارها كلها قد تركزت حول ذلك الإحساس المريح بالأمان.

أما الآن فقد أحست بحاجتها إلى الأكل والنوم، ولم تعد تبغى شيئاً، غير الاستلقاء فوق الفراش والاستغراق فى النوم.

ربما يأتون لنجدتها غدا، ولكنها لم تعد تشعر بأى انزعاج، وقد طاب لها البقاء فى الجزيرة الآن بعد أن أصبحت وحدها.

أوه، شد ما تستمتع بهذا السلام الذى طالما اشتاقت إليه.

ونهضت واقفة وحولت بصرها نحو البيت.

لم تعد تخاف شيئاً، وهذا البيت الحديث الجميل لم يعد يوحى إليها بأى ذعر، ومع ذلك فمنذ ساعات فقط لم تكن تستطيع أن تنظر إليه من غير أن ترتعد. الخوف... ما أغربه من شىء!

لقد تغلبت على مخاوفها الآن، وبفضل ذكائها وسرعة بديهتها قلبت الأمور وحطمت ذلك الذى كان يريد أن يقتلها. ومضت فيرا نحو البيت.

وفى الغرب، كانت الشمس ترسل خيوطا حمراء برتقالية اللون، وكان السلام والأمان يخيمان على الجزيرة كلها.

وفكرت فيرا قائلة: لعله لم يكن غير حلم فظيع.

شد ما تشعر بالتعب.... وبالتعب الشديد... أن أعضاءها تؤلمها وجفنيها ينطبقان... ليس هناك ما تخشاه بعد... ولكنها تتمنى أن تنام فى هدوء، وقد أصبحت الآن وحدها فى الجزيرة.



طفل هندى ألفى نفسه وحيداً..

ودخلت البيت من الباب الأمامى... كان كل شىء فيه ساكنا.

وفكرت فيرا: كالعادة أن المرء لا يخاف أن ينام فى بيت فى كل غرفة منه تقريباً جثة.

ومرت أمام باب غرفة الطعام، ورأت أنه لا يزال هناك ثلاثة تماثيل صغيرة فوق المائدة فانفجرت ضاحكة وقالت فى صوت عال:

ـ يبدو لى أنكم لا تسايرون الأحداث يا أصدقائى.

وأخذت اثنين منهما وطوحت بهما من النافذة فتحطما فوق الشرفه ثم التقطت الثالث وحدثته قائلة.

ـ تعال معى يا صغيرى. إننا كسبنا المعركة... كسبناها بحق.

ولم يكن ينير البهو غير ضوء الشفق الضعيف.

وضغطت فيرا على التمثال الصغير فى يدها، وصعدت السلم فى بطء فقد كان التعب شديداً بحيث راحت تجر قدميها.

طفل هندى ألفى نفسه وحيداً...

ولكن كيف تنتهى هذه القصة؟.. آه... إننى أتذكر.

تزوج ولم يبق منهم أحد.. تزوج... ما أغرب هذا... ومن جديد خامرها إحساس بأن هوجو موجود فى البيت. نعم... هوجو موجود فوق وينتظرها. وقالت تحدث نفسها: لا تكونى حمقاء، إنك متعبة وتتولد فى ذهنك أغرب الأشياء.

وإذ بلغت أعلا السلم تركت شيئاً يفلت من يدها خففت السجادة السميكة من وقع سقطته. ولم تلحظ عندئذ أن المسدس وقع من يدها لأنها لم تكن تفكر إلا فى تمثال الهندى الذى تضغط عليه.

وقفت الآن أمام باب غرفتها. كان هوجو ينتظرها فى الداخل... كانت واثقة من ذلك.

وفتحت الباب، وأطلقت صرخة تنم عن الدهشة.

ما هذا الذى يتدلى من الحلقة التى فى السقف... حبل وفى طرفه أنشوطة جاهزة، وكرسى لكى تصعد عليه... كرسى تقلبه بعد ذلك بركلة من قدمها. هذا هو ما يريده هوجو.

وهذا ما يقوله المقطع الأخير من الأغنية طبعا.

فشنق نفسه ولم يبق منهم أحد. وأفلت التمثال الصغير من يدها، ولم تهتم به، وتدحرج واصطدم بحافة المدفأة وانكسر.

وتقدمت فيرا فى حركات آلية. سينتهى كل شىء فى هذا المكان، حيث لمست عنقها يد رطبة باردة.. يد سيريل طبعا.

ولكن شد ما عذبها تبكيت الضمير بعد ذلك.

وصعدت فوق الكرسى، وعيناها ثابتتان ومفتوحتان كما يفعل الشخص الذى يمشى وهو نائم.. ووضعت الأنشوطة حول عنقها.

لقد كان هوجو موجودا وهو يحرص على أن تفعل ما يريد.

وبركلة من قدمها قلبت الكرسى.

* * *

قال سير توماس ليج مساعد مدير البوليس بإدارة اسكوتلانديارد فى لهجة محنقة: ولكن هذه قصة لا يمكن تصديقها.

أجابه مفتش البوليس مين فى احترام: أعرف هذا أيها الرئيس.

واستطرد مساعد مدير البوليس يقول: عشرة من الموتى وما من أحد على قيد الحياة فى الجزيرة.. إن هذا غير معقول.

أجاب المفتش فى هدوء: ولكن هذا ما تحققنا منه أيها الرئيس.

ـ عجبا. لابد أن أحداً قد قتلهم يا مين.

ـ وهذا ما يثير حيرتنا أيها الرئيس.

ـ أليس هناك أى دليل فى تقرير الطبيب الشرعى؟

ـ كلا أيها الرئيس. قتل كل من وورجريف ولومبارد برصاصة من مسدسه. الأول فى رأسه والآخر فى قلبه. وماتت مس برنت ومارستون من تأثير جرعة كبيرة من الكورال. وشجت رأس روجرز ببلطة. وتحطمت رأس بلور بقاعدة ثقيلة من الرخام، ومات أرمسترونج غريقا. ومات ماك أرثر متأثراً من ضربة شديدة أصابته على نافوخه. أما فيرا كلايتون فقد ماتت شنقا.

قطب مساعد مدير البوليس جبينه وقال: قصة قذرة جداً.

وفكر بضع لحظات ثم قال محتدا: ألم تستطع الحصول على أية معلومات من أهالى ستيكلهافن؟.. هذا غريب.. ومع ذلك فلابد أنهم يعرفون شيئاً.

هز المفتش كتفيه وقال: إنهم من الصيادين البواسل، وكل ما يعرفونه هو أن الجزيرة اشتراها رجل يدعى مستر أوين.

ـ ومن الذى كان يهتم بشراء التموين ويحرص على راحة القوم؟

ـ رجل يدعى موريس... إسحق موريس.

ـ وماذا يقول عن كل ذلك؟..

ـ إنه لا يستطيع أن يقول شيئاً أيها الرئيس، فقد مات.

تجهم وجه الرئيس وقال: وهل لدينا معلومات عن هذا المدعو موريس؟...

ـ نعم أيها الرئيس.. معلومات لا بأس بها. إنه لم يكن رجلاً محترماً أبداً، فقد اتهم فى قضية التهريب الكبرى التى كان يتزعمها بنيتو منذ ثلاث سنوات... ولكننا لم نستطع أن نجمع ما يكفى من الأدلة لإدانته، وقد اشترك كذلك فى فضيحة المخدرات، وافتقرنا إلى الأدلة فى هذه القضية أيضاً.. لقد كان موريس هذا رجلاً حريصاً جداً.

ـ وهل هو الذى قام بإجراءات شراء الجزيرة؟

ـ نعم أيها الرئيس، ولكنه أكد أنه يشتريها لحساب عميل مجهول.

ـ قد يستطيع أن نهتدى إلى سر هذه الجريمة إذا نحن فحصنا سجلات حساباته.

ابتسم المفتش وقال: أرى أنك لا تعرف موريس هذا. إنه كان بارعا فى تزييف الأرقام بحيث أن أقدر الخبراء لا يمكن أن يكتشف شيئاً، وقد تأكدنا من ذلك فى قضية بنيتو. تأكد أنه عقد أموره بحيث لا نهتدى إلى أى أثر.

تنهد مساعد مدير البوليس واستطرد مين: قام موريس بكل الإجراءات. واتفق مع موردى سيتكلهافن بصفته مندوبا لمستر أوين، وهو الذى روى للأهالى أن هناك تجربة فى الجزيرة وأن بعض أصدقاء مستر أوين راهنوا على أن فى استطاعتهم الإقامة ثمانية أيام فى جزيرة مهجورة، وأوصى الأهالى ألا يهتموا بأى نداء قد يصدر من الجزيرة فى هذه الأثناء.

تململ مساعد مدير البوليس فى مقعده متضايقا وقال: هل تريد منى أن أصدق أن هؤلاء الناس لم يداخلهم الشك بعد ذلك؟..

أجاب مين: إنك تنسى أيها الرئيس أن الجزيرة كانت ملكاً قبل ذلك للشاب المر روبسون، المليونير الأمريكى، وأنه كان يقيم فيها حفلات



صاخبة. لقد أثار دهشة الأهالى فى البداية، ولكنهم لم يلبثوا أن اعتادوا ذلك وقبلوا فكرة أنه لا يمكن أن يمر بهم يوم إلا ويروا الغرائب والعجائب فى الجزيرة، وهذا تصرف طبيعى من الأهالى إذا أردت رأيى.

وافقه سير توماس ليج على مضض، وأردف مين يقول: وقد أبدى فريدفاراكوت، الذى نقل المدعوين إلى الجزيرة ملاحظة لها معناها، فقد أدهشه نوع هؤلاء المدعوين لأنهم كانوا يختلفون كل الاختلاف عن مدعوى مستر روبسون. وذلك لأنه رآهم هادئين وطبيعيين بحيث أنه، على الرغم من تحذيرات مستر موريس مضى إلى الجزيرة بمجرد أن سمع عن إشارة الاستغاثة التى صدرت منها.

- ومتى ذهب فاراكوت ورجاله إليها؟..

- شاهد بعض الصبية الكشافة الإشارات صباح يوم 11، ولكن كان من المتعذر بلوغ الجزيرة فى ذلك اليوم لأن البحر كان شديد الهيجان، ولم يستطع الزورق الاقتراب منها إلا بعد ظهر يوم 12، والجميع يؤكدون أن ما من أحد قد تمكن من مغادرة الجزيرة قبل وصولهم، فقد ظل البحر هائجا بعد العاصفة.

- هل أنت متأكد أن أحداً لم يبلغ الشاطئ سباحة؟

- إن المسافة بين الجزيرة والشاطىء لا تقل عن ألف وخمسمائة متر. وكانت الأمواج تأتى وتتكسر على الصخور فى عنف، ثم إن جماعة من الصبية الكشافة والصيادين ظلوا رابضين فوق الصخور، ينظرون إلى الجزيرة ويراقبون الأرباض.

تنهد مساعد مدير البوليس وقال: وبهذه المناسبة، ألم تستفد من تلك الأسطوانة فى التحقيق.

أجاب المفتش مين: إنها أثارت حيرتى، وقد ثبت أن محلا من محلات معدات المسرح والسينما هو الذى قام بإعدادها وأنه أرسلها إلى أ. ن. أوين، طرف مستر إسحاق موريس لاستخدامها فى مسرحية يقوم بها بعض الهواة لأول مرة. وقد أعيد المخطوط اليدوى مع الاسطوانة.

قال ليج: وماذا جاء بهذه الأسطوانة؟

تنحنح المفتش مين ثم قال: تحريت البيانات التى جاءت بتلك الأسطوانة بكل دقة. وأبدأ بمستر روجرز وزوجته، وهما أول من هبطا إلى الجزيرة.



كانا يقومان بخدمة امرأة عجوز تدعى مس برادى، ماتت فجأة. ولم أستطع أن أعرف شيئاً محدداً من الطبيب الذى كان يعالجها. ومن رأيه أنهما لم يقتلا مس برادى، ولكنه يميل إلى الظن بأن المرأة العجوز ماتت نتيجة لإهمال خادميها، بل أنه أردف وقال: إن هذا شىء لا يمكن إثباته.

وننتقل بعد ذلك إلى القاضى وورجريف... لا يمكن أن نلومه على شىء أبداً. صحيح أنه هو الذى أصدر حكم الإعدام على سيتون، ولكن هذا الأخير كان مذنبا حقا، وقد حصلنا على الدليل القاطع بإدانته بعد وقت طويل من تنفيذ الحكم. ولكن أثناء نظر القضية، كانت الأغلبية العظمى من الجمهور تؤمن بأنه برىء وتتهم القاضى بأنه أشبع رغبة خاصة فى الانتقام.

وثبت من تحرياتنا أن مس كلايتون كانت تعمل مربية أطفال لدى أسرة غرق ابنها الصغير، وليس هناك ما يشير إلى أنها مسئولة عن هذا الحادث. والواقع أنها حاولت أن تنقذ الطفل بأن ألقت بنفسها فى الماء لكى تلحق به، ولكن التيار جرفها نحو البحر وأعادها إلى البر فى الوقت المناسب.

قال مساعد البوليس: استمر.

أخذ مين نفسا طويلاً ثم استطرد يقول: سأحدثك الآن عن الدكتور أرمسترونج، وهو طبيب مشهور جداً، معروف بنزاهته ومقدرته، ولا يمكن أن نوجه إليه أى لوم من الناحية العملية. ومع ذلك ففى أثناء المدة التى عمل بها فى مستشفى ليتمور فى سنة 1925 أجرى عملية إلتهاب البريتون لامرأة تدعى جليس. وماتت هذه المرأة على مائدة العمليات، ولعل ذلك الطبيب لم يكن قد اكتسب بعد ما يكفى من خبرة، ومهما يكن فلا يمكن أن نصف مثل هذا الخطأ بأنه جريمة قتل.

وتأتى بعد ذلك مس أميلى برنت... كانت تعمل بخدمتها فتاة تدعى بياتريس تايلور. وإذ رأت أميلى أن هذه الفتاة أصبحت حاملا طردتها من خدمتها، وانتحرت الفتاة المسكينة بدافع اليأس، وهذا عمل غير كريم من الآنسة برنت ولكن لا يمكن أن نصفه هو الآخر بأنه جريمة قتل.

قال مساعد مدير البوليس:

- هذه هى السمة الجوهرية المشتركة بين كل الضحايا. كان مستر أوين مهتما بالمجرمين الذين تفلت أخطاؤهم من طائلة القانون العادى.

استأنف مين حديثه فقال فى هدوء: وكان مارستون سائقا أرعن من أسوأ الأنواع. وأوشك أن يحرم من رخصة القيادة مرتين. وقد صدم الطفلين جون ولوسى كومبس على مقربة من كمبريدج، وشهد بعض أصدقائه فى صالحه وأفلت من العاقبة بمخالفة عادية.

أمام الجنرال ماك أرثر فليس هناك ما يلام عليه بصفة خاصة، إنه أبلى بلاء حسنا أثناء الحرب العالمية. وكان كل شىء فى صالحه. وكان أرثر ريتشموند يشترك فى الحرب فى فرنسا ويعمل تحت قيادته وقتل فى إحدى المعارك. ولم يكن هناك أى خلاف بينه وبين الجنرال، بل إنهما كانا صديقين حميمين. وقد ارتكبت فى ذلك الوقت أخطاء مؤسفة، ولقى ضباط وجنود كثيرين مصرعهم بغير داع، ولا ريب أن مقتل أرثر ريتشموند كان من بين هذه الأخطاء.

قال مساعد الرئيس: هذا جائز.

- وننتقل الآن إلى فيليب لومبارد. اشترك هذا الرجل فى عدد من الفضائح فى الخارج، وأوشك أن يسجن مرة أو مرتين. وقد اشتهر بأنه مغامر معدوم الضمير لا يحجم عن ارتكاب مئات الجرائم على شرط ألا يقع تحت طائلة القانون.

ونصل الآن إلى بلور.

وتردد مفتش البوليس قليلاً ثم قال: أن هذا الرجل ينتمى إلى هيئتنا.

تململ رئيس البوليس وقال: كان بلور هذا وغداً.

- هل تعتقد ذلك أيها الرئيس؟

طالما اعتقدت عنه ذلك. ولكنه كان داهية، ويعرف كيف يتخلص من مشاكله. ولكننى أعتقد اعتقاداً جازماً بانه ارتكب شهادة الزور فى قضية لاندور. وقد خيب تصرفه هذا ظنى كثيراً، ولكننى لم أستطع العثور على أدلة ضده، وقد كلفت هاريس بالتحقيق ولكنه لم يجد شيئاً هو الآخر، إلا أننى لم أغير رأيى فيه على الرغم من ذلك. لقد كان بلور رجلاً غير شريف.

واستطرد سير توماس يقول بعد فترة: إذن فأنت تقول أن إسحاق موريس مات؟.. ولكن متى حدث ذلك؟

- كنت أتوقع هذا السؤال أيها الرئيس. لقد مات موريس فى مساء يوم 8 أغسطس. أخذ مجموعة كبيرة من المنوم، وليس هناك ما يدل على إذا كان موته قد وقع قضاء، أو إذا كان قد انتحر.

سأله الرئيس: هل تريد أن تعرف رأيى يا مين؟

- إننى أخمنه شيئاً ما أيها الرئيس.

- لقد وقع موت إسحاق فى لحظة مناسبة جداً.

أومأ المفتش مين برأسه وقال: إننى أشاركك هذا الرأى يا سيدى.

هوى سير توماس ليج بيده على المكتب فى قوة وقال: أن كل هذه القصة عجيبة... لا تصدق.. لا يعقل أن يجد عشرة أشخاص حتفهم قتلاً فوق صخرة جرداء فى عرض البحر، ولا نعرف شيئاً عن هذه الجرائم ولا عن ظروفها أو أسبابها.

سعل مين وقال: إننى أختلف معك فى هذه النقطة أيها الرئيس، فإننا نعرف لماذا قتل ذلك الرجل. إنه رجل مجنون بدون شك، تسيطر عليه فكرة معينة، وهى العدالة التامة. وقد عنى بالبحث عن المجرمين الذين لا تستطيع العدالة العادية النيل منهم، واختار منهم عشرة، ولا يهمنا إن كانوا مذنبين أو غير مذنبين.

تحرك الرئيس فى انفعال وقال: لا يهمنا... يبدو لى....

وأمسك عن الكلام، وانتظر المفتش مين فى احترام، ولكن ليج تنهد وهز رأسه وقال:

- استمر.. خيل لى لحظة أننى أحدس شيئاً. ظننت أننى أهتديت إلى أثر.. ولكنه أفلت منى، تابع تقريرك يا مين.

- جمع هذا الرجل المجنون عشرة أشخاص فى الجزيرة.. ولنقل أنه أصدر حكمه عليهم بالإعدام، ونفذ أحكامه. وإذ فرغ من عمله اختفى من الجزيرة كما تختفى سحابة من الدخان.

قال رئيس البوليس: لو أن هذا هو الذى حدث فإنه ليكون سحراً عجيباً يا مين. ولكن لا ريب أن هناك تفسيرا آخر.

قال مين: لو أن هذا الرجل كان موجوداً فى الجزيرة أيها الرئيس لما استطاع مغادرتها حقا. وطبقا للمذكرات التى كتبها الضحايا فإن مستر أوين هذا لم يهبط إلى الجزيرة أبداً. وعلى ذلك فإن الحل الوحيد المعقول هو أن مستر أوين كان واحداً من هؤلاء العشرة.

هذا الحل يبدو رائعا، ولكنه لا يلبث أن ينهار بسبب نقطة بالذات، فيجب قبل كل شىء أن نحسب حساب تقرير الطبيب الشرعى، فإنه هبط إلى



الجزيرة فى وقت مبكر من صباح 13 أغسطس. ولم تقدمنا استنتاجاته خطوة واحدة فى تحرياتنا، وكل ما استطاع أن يخبرنا به هو أن هؤلاء القوم ماتوا منذ ستة وثلاثين ساعة على الأقل. وفيما يتعلق بأرمسترونج فقد صرح بأن الجثة بقيت فى الماء من ثمانى إلى عشر ساعات، قبل أن تقذفها الأمواج إلى الصخور، وهذا معناه أن أرمسترونج غرق فى عشية اليوم الحادى عشر من أغسطس، وسأذكر لك الأسباب. أننا عثرنا على المكان الذى قذفت الأمواج الجثة إليه، فقد انحشرت بين صخرتين، وعثرنا هناك على قطع من ثيابه، وبعض شعره. وقد ألقى المد بالجثة يوم 11... فى نحو الساعة الحادية عشرة، وبعد ذلك هدأت العاصفة، والآثار التى تخلفت عن المد والجزر بعد ذلك، تدل على أن الأمواج لم تصل إلى الصخور.

وقد تفترض أن أرمسترونج تخلص من الثلاثة الآخرين قبل أن يلقى بنفسه فى البحر، ولكن هنا أيضاً يجب أن نستند على نقطة بالذات، فإن جثة أرمسترونج جرت جرا فوق الصخور، إلى ما بعد العلامة التى خلفها المد، فقد وجدناها فى مكان لا تستطيع الأمواج أن تصل إليه، وكان ممدداً فوق ظهره على الصخر، كما كانت ثيابه منسقة.

واستطرد يقول بعد صمت قصير: وإليك الآن الموقف كما كان فى صباح يوم 11... اختفى أرمسترونج بأن غرق، وبقى لدينا ثلاثة أشخاص: لومبارد وبلور وفيرا كلايتون. وقتل لومبارد برصاصة من مسدس، وقد وجدنا جثته فوق الصخور بجوار جثة أرمسترونج. ووجدنا فيرا كلايتون مشنوقة فى غرفتها، وجثة بلور فى الخارج، وكل الشواهد تدل على أن القاعده الرخامية ألقيت، من إحدى النوافذ فوق رأسه وهشمتها.

قال رئيس البوليس: أية نافذة؟

- نافذة فيرا كلايتون، لندرس الآن كل حالة من هذه الحالات على حدة، ولنأخذ حالة فيليب لومبارد أولاً. لنفرض أنه أوقع القاعدة الرخامية فوق رأس بلور، ثم أعطى الفتاة جرعة مخدرة وشنقها بعد ذلك، ثم ذهب إلى الشاطىء وانتحر بطلقة من المسدس.

ولكن، لو أن هذا هو الذى حدث، من الذى نقل المسدس بعد ذلك، ذلك لأننا عثرنا عليه فى البيت، فى أعلا السلم، أمام باب وورجريف.

سأله رئيس البوليس: هل وجدتم عليه بصمات؟



- نعم.

- إذن؟..

- إننى أخمن ما تريد أن تقوله يا سيدى الرئيس. أن فيرا كلايتون هى الجانية، وأنها قتلت لومبارد وأعادت المسدس إلى البيت، وأوقعت القاعدة الرخامية فوق رأس بلور ثم شنقت نفسها بعد ذلك.

«هذا الافتراض مقبول حتى نقطة معينة، فإننا وجدنا فى غرفتها، وعلى أحد المقاعد نفس حشيش البحر الذى وجدناه فى حذائها، وهذا يحملنا على الاعتقاد بأنها صعدت فوق المقعد، ووضعت الأنشوطة حول عنقها ثم ركلت المقعد بعد ذلك بقدمها.

ولكننا لم نجد المقعد مقلوبا كما كان مفروضا أن يكون، وإنما كان موضوعا بجوار الحائط، كغيره فى المقاعد الأخرى... أنه أعيد إلى مكانه بعد موت فيرا.. وأعاده شخص آخر غيرها.

باقى بلور. إذا قلت لى أنه بعد أن قتل لومبارد، دفع فيرا إلى أن تشنق نفسها ثم خرج وأوقع القاعدة الرخامية فوق رأسه بواسطة قطعة من الدوبارة أو بواسطة أى شىء آخر فإننى لن أصدقك. فإن الرجل لا ينتحر بهذه الطريقة. ولم يكن بلور متعطشا إلى العدالة إلى هذا الحد، ونحن نعرفه جيداً لكى أؤكد ذلك.

قال سيرليج: هذا صحيح.

واستأنف المفتش حديثه فقال: والنتيجة أيها الرئيس هى أنه كان هناك شخص آخر فى الجزيرة، وهذا الشخص رتب كل شىء بعد أن انتهت مهمته المشئومة. ولكن أين كان يختبئ طوال الوقت، وأين ذهب؟ أن أهالى ستريكلهافن متأكدين تماما أن أحداً ما كان ليستطيع مغادرة الجزيرة قبل قدوم زورق الإنقاذ ولكن، فى هذه الحالة.

وأمسك عن الحديث، فقال مساعد رئيس البوليس: فى هذه الحالة؟

تنهد المفتش وهز رأسه وانحنى إلى الأمام وقال: فى هذه الحالة، من الذى قتلهم؟..

مخطوط عثر عليه ربان سفينة الصيد

أيماجين وأرسله إلى إدارة اسكوتلانديارد.

أنا رجل معقد، وأتمتع بخيال كبير، وكنت ألتهم وأنا طفل روايات المغامرات، كما كنت مشغوفاً جداً بحكايات البحر التى تدور حول المخطوطات الهامة التى توضع فى زجاجات مختومة ويلقى بها فى عرض المحيط.

وما زالت هذه الطريقة عالقة فى ذهنى لما فيها من خيال ورومانسية. وهذا هو السبب فى أننى أطبقها اليوم بالذات. وهناك فرصة واحد فى المليون، لكى يكشف هذا الاعتراف الذى أدونه الآن بخطى والذى سأضعه فى زجاجة ألقى بها فى عرض البحر سر الجثث العشر التى وجدت فى جزيرة الهندى، وهو سر بقى مستغلقا حتى اليوم (ولعلنى أغبط نفسى على ذلك).

منذ حداثتى الأولى وأنا أستمتع برؤية الموت، وبتوقيعه على الغير بنفسى، وكنت أبحث عن الدبابير والحشرات الضارة فى حديقة أهلى لكى أقتلها، وكنت أشعر بسرور لا يوصف وأنا أقتل.

ومن ناحية أخرى، كان هناك تناقض عجيب فى حالتى، فقد كنت أحب العدالة كل الحب، ومجرد فكرة أن يتعذب رجل برىء أو أن يموت نتيجة لخطأ يصدر منى كانت تؤرقنى كل الأرق. وتمنيت طوال حياتى أن ينتصر القانون.

وكان يجب أن ترشدنى هذه العقلية فى اختيار المهنة التى اتخذها بطبيعة الحال، فلا عجب إذن إذا كنت قد اخترت مهنة القضاء، وقد أطلقت العنان لميولى القضائية، وطبقت العقوبة على الجريمة بكل دقة.

وفى أثناء اضطلاعى بعملى، وعندما كنت أرأس المحكمة لم أكن أشعر حين أرى بريئاً فى قفص الاتهام. وأعترف طواعية أنه بفضل براعة وإخلاص رجال البوليس، كان أغلب المتهمين الذين يمثلون أمامى مذنبين حقاً.

وكانت هذه هى حالة إدوار سيتون بالذات. ولكن موقفه وتصرفاته أحدثت أثراً طيباً فى نفوس المحلفين. ومع ذلك فإن الأدلة التى جمعها البوليس أثناء تحرياتهم لم تكن تترك أى شك فى إجرامه، فقد وثقت به امرأة عجوز، وكان أن كافأها على ثقتها بأن قتلها.

وقد قيل عنى أننى أجد لذة كبيرة فى الحكم على الناس بالإعدام شنقا. وهذا غير صحيح اطلاقا. فإننى بذلت جهدى دائماً فى مراعاة الحقيقة التامة حين أصدر بيانى الأخير الذى يسبق مداولات هيئة المحلفين.

كان لابد من ارتكاب جريمة قتل، على أن تكون جريمة قتل مثيرة، وعجيبة.

وعلى الرغم من غرابة هذه النقطة فإن حبى الغريزى للعدالة تدخل فى اختيار ضحيتى لأن البرىء لم يكن ينبغى أن يتعذب.

وانبثقت فكرة غريبة فى ذهنى أثناء حديث تبادلته صدفة مع أحد الأطباء، فقد قال لى أن كثيراً من جرائم القتل تفلت من العدالة وتظل بمنأى عن العقاب.

وذكر لى، على سبيل المثال، موت عانس عجوز، كان يتولى علاجها، وكان يقوم على خدمتها خادم وزوجته، ويبدو أنهما حرصا على ألا يعطياها جرعة الدواء التى كان يجب أن تتعاطاها، وتسبب بذلك فى وفاتها. وقد ورث الخادمان مبلغا لا بأس به.

فتح لى هذا التصريح آفاقا لم أكن أشك فيها، وعقدت العزم فجأة على ألا ارتكب جريمة واحدة وإنما عدة جرائم.

وعادت إلى ذهنى أغنية للأطفال كنت قد تعلمتها فى حداثتى.. أغنية الهنود العشرة، فما كدت أبلغ الثانية من عمرى حتى أذهلنى ذلك المصير الذى لقيه هؤلاء الهنود الذين راح عددهم يتناقص فى كل مقطوعة. وهكذا رحت أبحث عن ضحاياى.

وكنت قد أقمت بضعة أيام فى إحدى المصحات لإجراء عملية، وهناك عنيت بى ممرضة من أنصار جمعيات مكافحة الخمور.

وتأييداً للنتائج السيئة للمشروبات الروحية روت لى حالة وقعت منذ سنوات عدة فى إحدى مستشفيات لندن، فقالت أن طبيبا معروفا أجرى عملية لامرأة وهو مخمور، فتسبب فى موتها. وسألتها عن اسم تلك المستشفى التى وقع فيها الحادث، واستطعت أن أقوم بتحرياتى عندئذ، وعرفت أن ذلك الطبيب يدعى أرمستروج.

وجرى حديث بين ضابطين فى الاستيداع، فى النادى الذى انتمى إليه، عرفت فيه ما نسب إلى الجنرال أرثر.

وأخبرنى رجل عادى أخيراً من أفريقيا بما يعزى للمدعو فيليب لومبارد.

أما قصة أميلى برنت التقية الورعة، فى وخادمتها، فقد أطلعنى عليها رجل من أهالى جزيرة مايوركا أغضبته قسوة الفتاة العانس، ورأيت اسم أنتونى

مارستون فى الصحف عندما نشرت نبأ الحادث الذى تسبب فى وقوعه، أما المفتش بلور فقد سمعت به طبعا ذات يوم، حين تحدث بعض زملائه عن قضية لاندور أمامى.

وعرفت، أخيراً، بحادث فيرا كلايتون أثناء رحلة بحرية كنت أقوم بها فى الأطلنطى، فقد وجدت نفسى، فى ذات ليلة، فى غرفة التدخين، مع شاب وسيم مشهور يدعى هوجو هاملتون.

وكان لابد لى من ضحية عاشرة فوجدتها فى شخص المدعو موريس، وهو رجل باهت الشخصية كان يقوم بتجارة المخدرات بين غيرها من التجارات غير المشروعة، وكنت أعرف أنه مجرم لأنه حرض ابنة أحد أصدقائى على تناول المخدرات، وقد انتحرت الفتاة المسكينة وهى فى الحادية والعشرين من عمرها.

وفى أثناء ذلك كانت الفكرة قد نضجت فى ذهنى، وتشكلت على أثر حديث دار بينى وبين طبيب بشارع هارلى. وكما سبق أن قلت فقد سبق أن اضطررت إلى إجراء عملية لاستئصال ورم خبيث، وقد أكد لى ذلك الطبيب أن أية عملية أخرى لن تأتى بأية نتيجة.

وعقدت العزم على الفور على ألا أطيل حياة معرضة للمرض لم يكن هناك مفر من أن تنتهى بميتة بطيئة مؤلمة. ومن غير أن أذكر شيئاً عن مشروعى لذلك الطبيب قررت أن أعيش حياتى وأن استمتع بها قبل الساعة المحتومة.

واشتريت جزيرة الهندى عن طريق موريس وباسم مستعار، واستعنت بالمعلومات التى جمعتها عن ضحاياى المقبلة، وأرسلت لكل منهم الطعم المناسب، وطبقا لتوقعاتى هبطوا جميعا فى الجزيرة يوم 8 أغسطس، واختلطت بهم بصفتى أحد المدعوين.

وكنت قد حددت مصير موريس من قبل. ولما كان يعانى من سوء الهضم فقد أعطيته قبل رحيلى من لندن قرصا ونصحته بأن يأخذه ليلاً قبل النوم، وأكدت له أن هذا القرص سيخفف من آلام معدته كثيراً فأخذه دون أن يرتاب فى شىء. وكنت أعرف الرجل بما فيه الكفاية لكى أطمئن بأنه لن يترك بعده أى مستند يورطه أو يورط غيره.

وقمت بتنفيذ خطتى بكل دقة. وكنت قد عزمت على أن يختفى أقل المجرمين ذنبا قبل غيرهم، وبهذا أخفف عنهم الآلام العقلية الطويلة التى أدخرها لأكثرهم ذنبا.

ومات أنتونى مارستون ومسز روجرز قبل غيرهما، فقد كت واثقا من أن مسز روجرز خضعت لإغراء زوجها، وأنه هو المسئول الرئيسى عن جريمتها.

ومن السهولة الحصول على سم السيانور وذلك بحجة القضاء على الحشرات الضارة، وقد حصلت على كمية منه وانتهزت فرصة استماعنا للأسطوانة ودسست بعضا منه فى كأس مارستون، وكان قد جرع نصفه تقريبا.

ولا داعى لأن قول أننى كنت أنظر أثناء ذلك إلى وجوه ضيوفى، وقد تأكدت، بفضل خبرتى الطويلة التى اكتسبتها فى المحكمة، من أن الجريمة كانت تثقل على ضمير كل منهم.

وكنت أثناء إحدى زياراتى الأخيرة والمؤلمة جداً قد أشار على طبيبى أن أتناول جرعة صغيرة من الكورال لكى تساعدنى على النوم. ولكننى قضيت بضعة أيام وأنا أتحامل على نفسى ولا أتناول هذه الجرعة بحيث وجدت معى كمية كافية لكى تسبب الموت.

وعندما جاء روجرز بالبراندى لأجل زوجته وضع الكأس فوق المائدة، ولم يكن الشك قد انتاب جماعتنا بعد حتى هذه اللحظة، وكان من السهل على أن أدس السم فى الكأس عندما اقتربت من المائدة.

أما الجنرال ماك أرثر فقد مات من غير أن يتألم، فقد اخترت اللحظة المناسبة لكى أغادر الشرفة، وتسللت خلفه فى سكون، وكان غارقا فى أحلامه فلم يسمعنى وأنا أقترب منه.

وفتشوا الجزيرة تفتيشا دقيقا كما توقعت، وأقتنع الجميع بأنه لا يوجد أحد آخر غيرنا نحن السبعة، وبهذا تولد الشك بين المدعوين.

وكانت خطتى تقوم على أن أجد لى شريكا عندما أصل إلى هذه المرحلة، ووقع اختيارى على الدكتور أرمسترونج لكى يقوم بهذا الدور. كانت



شكوكه كلها تتجه إلى لومبارد. وزعمت أننى أشاركه رأيه، وعرضت عليه خطة لكى نوقع القاتل فى الشرك. ولم يدرك أرمستروفج الحقيقة طبعا.

قتلت روجرز فى صباح العاشر من أغسطس. كان يقطع الخشب لكى يشعل النار. وضربته بالبلطة من الخلف ثم فتشت جيوبه وأخذت منه مفتاح غرفة الطعام، وكان قد حرص على إغلاق بابها بالأمس.

وانتهزت فرصة الانفعال الذى أصاب الجميع عقب اكتشاف جثته، وتسللت إلى غرفة لومبارد وأخذت المسدس. وكنت أعرف أن معه مسدسا، لأن موريس ان قد أوحى إليه، بناء على تعليماتى، بأن يأتى بالمسدس معه.

وفى أثناء تناول طعام الإفطار، وأنا أصب القهوة فى قدح مس برنت، وضعت فيه الكمية المتبقية من الكورال، وغادرنا غرفة الطعام، فيما عدا الفتاة العانس. وبعد قليل تسللت إليها على طرفى قدمى، وكانت العانس قد بدأت تفقد الشعور، واستطعت بكل سهولة أن أحقنها بحقنة من السيانور. وكانت مسألة إدخال النحلة فى الغرفة مسألة صبيانية حقا، ولكن هذه الفكرة أطربتنى كثيراً وقد حاولت، بقدر المستطاع أن أمتثل لمقاطع أغنية الهنود العشرة.

وبعد موت أميلى برنت تعرضنا جميعا لتفتيش دقيق. والواقع أننى أنا الذى أوحيت بذلك، وكنت قد حرصت على إخفاء المسدس فى مكان خفى، كما أننى كنت قد تخلصت من الكورال والسيانور.

وعرضت على الدكتور أرمستروفج بعد ذلك أن نقوم بتنفيذ مشروعنا. وكان المشروع يقوم على الإدعاء بأننى لقيت حتفى، فقد كان يجب أن يعتقد الجميع بأننى رحت ضحية القاتل، وأوعزت إلى الدكتور بأن القاتل سوف ينزعج عندما يعلم بذلك، وإننى سأستطيع فى نفس الوقت أن أتحرك بكل حرية للتجسس على القاتل المجهول.

وراقت هذه الفكرة لأرمستروفج، وما أن حل المساء حتى كنا قد أعددنا كل شىء، فوضعت لزقة من الطين الأحمر فوق جبينى. وساعدت الستارة الحمراء ولفيفة الصوف الرمادى التى فقدتها أميلى برنت فى إتمام المنظر، كما ساعدت أضواء الشموع الباهتة فى أحداث الأثر المطلوب، ثم إن الدكتور أرمستروفج كان الوحيد الذى سيرانى عن كثب.



وسار كل شىء على أحسن ما يرام، فقد راحت مس كلايتون تصرخ صراخا هستيريا عندما لمسها شريط حشيش البحر الذى كنت قد علقته فى سقف غرفتها. واندفع الجميع نحو السلم، وانتهزت الفرصة لكى اتخذ وضع القاضى المقتول.

وفاق الأثر الذى حدث كل الآمال، وقام أرمستروفج بدوره خير قيام، وحملونى إلى غرفتى وأرقدونى فى فراشى. وبعد ذلك لم يعد يهتم بى أحد، فقد أحس كل منهم بخوف من زملائه، مستطير.

وكنت قد تواعدت مع الدكتور أرمستروفج على اللقاء فى الخارج فى الساعة الثانية بعد منتصف الليل، واصطحبته حتى قمة الصخور، خلف البيت بمسافة قصيرة، بعيداً عن عيون المتلفلين، لأن نوافذ غرف النوم تشرئب على واجهة البيت، وزعمت له أننا، فى مكاننا هذا سنرى من يأتى للقائنا.

وفجأة أطلقت صيحة دهشة وقلت لأرمستروفج أن يقترب من الشاطىء ويتأكد إذا لم يكن ذلك الذى أراه فتحة مغارة. وانحنى دون أى حذر، وعندئذ دفعته على غرة وألقيت به بين الأمواج الهادرة التى تأتى وتنكسر أسفل الصخور.

وعدت إلى البيت، ووقع أقدامى هى التى سمعها بلور دون أى شك، ودخلت غرفة أرمستروفج ثم غادرتها محدثا هذه المرة صوتا كافيا لكى يصل إلى الأسماع، وانفتح باب فهبطت السلم، ولا ريب أن الذى فتح الباب رآنى فى نفس اللحظة التى تسللت فيها خارج الباب العمومى.

ومرت دقيقة أو دقيقتان قبل أن يبدأ الآخرون بمطاردتى، فدرت بالبيت ودخلت من نافذة غرفة الطعام، وكنت قد تركتها مفتوحة. وقد أغلقتها بعد أن كسرت لوحها الزجاجى ثم صعدت واستلقيت فى فراشى، واتخذت هيئة الميت.

وكنت أعرف أنهم سيفتشون البيت من جديد وأنهم سيفحصون الجثث فحصا غير دقيق.. لا لشىء إلا لكى يتأكدوا أن أرمستروفج لا يمكر بهم وأنه لم يحل محل أحداها.

وهذا ما حدث بالذات.



نسيت أن أقول أننى كنت قد أعدت المسدس إلى غرفة لومبارد، ولعلكم تريدون الآن أن تعرفوا أين أخفيته أثناء عملية التفتيش.. فى دولاب المطبخ حيث توجد كمية من المعلبات. وقد فتحت العلبة الموجودة أسفل العلب، وهى علبة بسكويت، ووضعت المسدس فيها، ثم أعدت الشريط اللاصق مكانه من العلبة، ووضعتها أسفل العلب من جديد، ووقع ما حسبت، فلم يخطر لأحد أن يفحص العلب التى تبدو سليمة فى الظاهر، خاصة وأن العلب التى فوق القمة كانت ملتحمة.

وكنت قد أخفيت الستارة الحمراء تحت مفرش أحد المقاعد الموجودة بغرفة الصالون، وذلك بعد أن طويتها عدة طيات بحيث لم يظهر منها شىء تحت المفرش. أما لفيفة الصوف فأخفيتها داخل مسند أحد المقاعد بعد أن أعددت فيه ثقبا مناسبا لذلك، وجاءت عندئذ اللحظة التى كنت أنتظرها فى فروغ صبر، فقد بقى فى الجزيرة ثلاثة أشخاص سيطر عليهم الخوف وراح كل منهم يتوقع أسوأ الأمور... وواحد منهم يملك مسدسا.

وأخذت أراقبهم من نوافذ البيت، وعندما رأيت بلور يقترب وحده، وضعت القاعدة الرخامية على حافة النافذة، وما هى إلا لحظات حتى انتهت حياة مفتش البوليس السابق.

ومن مكانى، رأيت فيرا كلايتون تطلق النار على لومبارد، وكنت أعرف أن هذه الفتاة الجريئة سوف تكون ندا للومبارد.

وأعددت المشهد الختامى فى غرفة فيرا على الفور، وانتظرت فى قلق نتيجة هذه التجربة النفسية.

فهل كان يكفى للتوتر العصبى المتتابع للجريمة التى ارتكبتها لتوها وللقوة الإيجابية لجو الغرفة، ووخز الضمير الذى تعانى منه بسبب جريمتها السابقة، هل كان يكفى كل ذلك لحملها على الانتحار كما كنت أرجو؟..

ولم أخطىء أبداً، فقد شنقت فيرا كلايتون نفسها تحت بصرى. كنت مختبئاً بداخل الدولاب وتابعت كل حركاتها.

وآتى الآن إلى الفصل الأخير من المأساة.

فقد غادرت مخبئى وأخذت الكرسى ووضعته بجوار الحائط. وكان المسدس قد وقع من الفتاة فى أعلا السلم فالتقطته وأنا أحرص على ألا أزيل بصمات فيرا من عليه.



وهنا تنتهى قصتى، وسأضع هذه الصفحات فى زجاجة ثم أختمها وألقى بها فى عرض البحر، فهل تعرفون لماذا؟

كنت أطمح دائماً لارتكاب جريمة غامضة يظل مرتكبها مجهولا إلى الأبد. ولكن الفن وحده لا يمكن أن يشبع رغباتى، فإن كل فنان يتعطش إلى المجد. وإنى أعترف بكل تواضع أننى أشعر بتلك الرغبة التى يشعر بها كل إنسان يحس ويشعر وأود لو أن يعرف الجميع إلى أى حد بلغ دهائى وذكائى.

وأكتب هذا الاعتراف وأنا أعلل النفس بالأمل فى أن يبقى سر جزيرة الهندى مستغلقا. ولكن من يدرى؟.. ربما يكون البوليس أذكى مما أظن.

ومهما يكن فإنهم يعرفون جرم إدوارد سيتون، وسوف يستنتجون إذن أن أحد الأشخاص العشرة الموجودين فى الجزيرة لم يكن قاتلاً بالمعنى الحقيقى لهذه الكلمة، وأنه على النقيض من ذلك برىء، وأن هذا البرىء لابد أن يكون طبقا للمنطق السليم هو القاتل المنتقم.

لا يبقى أمامى الكثير. فإننى بعد أن ألقى إلى الأمواج بالإجابة التى وضعت فيها رسالتى هذه سأصعد إلى غرفتى وأستلقى فى فراشى. وأن بنظارتى شريطا رفيعا أسود هو فى الواقع خيط طويل مطاط. وسأضع النظارة تحتى وأثقل عليها بكل جسدى.. وسأثبت المسدس فى نهاية الخيط بعد أن ألفه بأكرة الباب، وإليكم الآن ما سوف يقع، كما أتوقع.

سآخذ منديلى وأمسك به المسدس وأضغط على الزناد. وستسقط يدى جنبى، أما المسدس فسوف يرتد ثانية بقوة انجذاب الخيط الرفيع المطاط، ويقع على الأرض، وسيرتخى الخيط نفسه بعد ذلك ويتعلق ببراءة نظارتى التى ستبقى تحت جسمى. أما منظر المنديل فوق الأرض فلن يحتاج إلى أى تفسير.

سيجدوننى ممداً فى فراشى، وقد أصابتنى رصاصة فى رأسى طبقاً لمذكرات زملائى. وعندما تكتشف الجثث فسوف يتعذر تحديد الوقت الذى مات فيه كل منا.

وعندما تهدأ الأمواج ويأتى الصيادون بالسفينة لنجدتنا فسوف يجدون فى الجزيرة عشر جثث وسرا مستغلقاً يستعصى على الأفهام.





أجاثا كريستي

ولدت أجاثا كريستي Agatha Christie في عام 1890 من أب أمريكي وأم إنجليزية، عاشت في بلدة (ساوباولو) معظم طفولتها..

ففي قصصها ورواياتها كما في مسرحياتها نجد ذلك (الكم) الهائل من (الألغاز) و(الحبكات الغامضة) سواء كان ذلك في البناء القصصي أو المعمار الدرامي أو في الحوار أو الشخصيات، بل حتى في اختيار مواقع الأحداث التي غالباً ما تكون مشوقة، أنهار لها تاريخ.. وفي العادة تلجأ الكاتبة إلى تكنيك قصصي يستند إلى (الحيلة أو الخدعة) كأسلوب إثارة وتشويق مفعم بالغموض..



دار الحياة
للنشر والتوزيع

Design
010 65086008